* الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية *

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم–

كلية الأداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة

بعنوان

تجليات نظرية أفعال الكلام في الدرس البلاغي العربي
مفتاح العلوم للسكاكي- أنموذجا-

إعداد الطالبة:

غالي فاطيمة

تحت إشراف:

د. مكاوي خيرة

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور: بن يشو الجيلالي	رئيسا	جامعة مستغانم
الدكتورة: مكاوي خيرة	مشرفا مقررا	جامعة مستغانم
الدكتور: لعسال لخضر	عضوا ومناقشا	جامعة مستغانم
الدكتور: معراجي أعمر	عضوا ومناقشا	جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2013–2014

* الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية *

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم–

كلية الأدب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة

بعنوان

تجليات نظرية أفعال الكلام في الدرس البلاغي العربي
مفتاح العلوم للسكاكي- أنموذجا-

إعداد الطالبة:

غالي فاطيمة

تحت إشراف:

د. مكاوي خيرة

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور: بن يشو الجيلالي	رئيسا	جامعة مستغانم
الدكتورة: مكاوي خيرة	مشرفا مقررا	جامعة مستغانم
الدكتور: لعسال لخضر	عضوا ومناقشا	جامعة مستغانم
الدكتور: معراجي أعمر	عضوا ومناقشا	جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2013–2014

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ

وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيرا»

سورة الإسراء: الآية:80.

صدق الله العظيم

دعـــــاء

يا ربّ ....لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت

ولا أصاب باليأس إذا فشلت

بل ذكّرني دائما بأنّ الفشل هو التّجارب التي تسبق النّجاح

يا ربّ .....علّمني أنّ النّجاح هو أكبر مراتب القوّة

وأنّ حبّ الانتقام هو أكبر مظاهر الضّعف

وإذا جرّدتني من نعمة المال أترك لي نعمة الإيمان

يا ربّ....إذا أساء لي النّاس فأعطيني شجاعة العفو

وإذا أعطيتني تواضعا لا تأخذ اعتزازي بكرامتي

آميـــــــــن

إهـــــــداء

إلـــــــى من خلق في نفسي روح التّحدي، وغرس في قلبي حبّ العلم

منذ نعومة أظافري....والدي العزيز أطال الله في عمره

إلـــــــى أمثولة التّضحيّة والوفاء .....والدتي الحبيبة حفظها الله

إلى روح أخي الفقيد الّذي طالما رجى أن يراني في هذا المستوى غفر

الله له ،وشمله برحمته الواسعة.

إلـــــــى من كان تشجيعهم، ودعمهم لي شمعة أنارت دربي .....إخوتي

إلى النور الذي أضاء حياتي خطيبي – حفظه الله –

إلـــــــى كلّ من وقف إلى جانبي في مشواري الدّراسي

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

كلمة شكر

نحمد الله ونشكره على نعمه، وعونه لنا في إتمام هذا البحث .

يطيب لي أن أسطّر بمداد من نور كلمات جيّاشة في طيّاتها شكري و ثنائي العاطر إلى أمّي العزيزة التي لن توفيها الكلمات حقها، فقد كانت لي خير معين بدعائها وتشجيعاتها، وإلى معلّمي الأول والدي العزيز ،كما أتقدّم بعميق الشكر ، وخالص التّقدير، والاحترام إلى الأستاذة المشرفة: "الدكتورة مكاوي خيرة" الّتي أفدت من أخلاقها قبل إفادتي من معرفتها، إذ كانت صبورة عليّ، مشجعة لي،مهوّنة الصّعاب، محاولة دوما أن تجلو عني كلّ غمامة ...لك أستاذتي الفاضلة أسمى آيات الثّناء ،والعرفان، والشّكر موصول إلى أعضاء مكتبة النور الإلكترونية . ولأنّ المقام لا يسمح لي بالوقوف عند كلّ فردٍ فشكراً جزيلا لكلّ من مدّ لنا يد العون الماديّ والمعنويّ في مسيرة هذا البحث،لذا لا أملك إلا أن أنشد مع الشاعر:

فلو كان للشكر شخص يبين *** إذا ما تأمله النّاظـر

لـــــــمثلته لك حتّى تـراه *** لتعلم أنّي امرؤ شاكـر

مقدّمة

تنوعت الدراسات اللّغوية الحديثة اليوم بشتى فروعها ،إذ أخذت حظّها الوافر من الدّراسة منهجًا ، وإجراءً باعتبارها حقلا خصبًا امتزجت فيه فروع لغويّة عديدة، فأصبحت تدرس وفق مناهج علميّة، موضوعيّة ،قائمة على التّحليل والتّفسير لخوض غمار البحث فيها؛ وفي حديثنا عن الدّرس اللّغويّ نخصّ بالذكر التيّار التّداولي الّذي لطالما اكتسى طابع الذاتية في المجال الأدبيّ .

يعدّ التّيار التّداولي مبحثا من مباحث الدّراسات اللّسانيّة الحديثة الّتي تطورت إبّان السبعينيّات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية ،وقامت على أنقاض المدرسة السلوكيّة، يهتم البحث بدراسة كيفية فهم النّاس بعضهم بعضا، وبطريقة إنتاجهم لفعل تواصلي في إطار موقف كلاميّ ملموس، ومحدد، يتمّ من خلاله التّعامل مع المعاني الّتي يتغاضى عنها علم الدّلالة، لذا ركّزت التّداوليّة على دراسة الأساليب الكلاميّة ، ومراقبة الآثار الدّلالية المرتبطة بالموقف الدّلاليّ.

في خضم تلك البحوث يعتبر الدرس التّداوليّ ثريا جدّا لما يقدّمه من إجراءات علميّة سواء على مستوى الاستعمال اللّغوي الطّبيعيّ ، أو على مستوى الخطاب الأدبيّ، حيث تمدّد في مساحة واسعة من مساحات الدّرس اللّغوي الحديث ليتّصل بدراسات أخرى لها صلة بعلم اللّغة والسّيمياء، والمنطق، وغيرها .

انطلاقا من هذا التقاطع ، وتفاديا لإحداث الانفصام بين الدّرس اللّغويّ العربيّ ، والدّرس اللّغويّ الغربيّ جمعت الدّراسة بين التّراث، والحداثة، موظّفة نظريّة الأفعال الكلاميّة الّتي تركز بدورها على مرجع العلامة في اللّغة، أو المكوّن التّداوليّ للكلمة، أو الجملة، أو النّصّ الّذي أصبح

مضبوطا بوظائف تداولية ،محدّدة ،ترتبط بسيّاقات وتطبيقات مقاميّة ، وبجملة من العلاقات المختلفة مثل: العلاقات الاجتماعية المنظّمة لمقاصد المتخاطبين، والعلاقات المنطقيّة الّتي تضبط محاوراها .

لـمّا كان لأيّ باحث – وهو يخوض مجال البحث العلميّ – دوافع ذاتيّة في معالجة موضوع ما، فإنّ من الدّوافع الرّئيسيّة إيماننا العميق بما تقدّمه اللّسانيات التّداوليّة بوصفها آخر مولود لسانيّ يدرس النّصّ الأدبيّ دراسة لغوية ، ويكون نافذة على دراساتنا المستقبلية .

أمّا الدّوافع الموضوعيّة فيرتبط بعضها بالتّراث النّقديّ نفسه ، وبعضها الآخر بتقريب التّراث العربيّ من مجال تداولنا المعاصر تنظيرا ، وممارسة ؛ أضف إلى ذلك محاولة إسكات بعض الأصوات القائلة بعدم صلاحيّة مثل هذه المناهج ، وعلى رأسها المنهج التّداوليّ ، ويمكن أن نجملها في النّقاط الآتيّة:

– أوّلاها: أهميّة التّحليل التّداوليّ للتراث بما يحتويه من تواصليّة، وملفوظيّة، وقوى إنجازيّة ،ومقاصد ، ووظائف ، وأفعال ، وحجاج...وغير ذلك.

– ثانيتها: حاجة التّراث العربيّ إلى الدّرس، والتّمحيص من خلال إعادة قراءته بمناهج حديثة.

– ثالثتها: ندرة المقاربات التّداوليّة لمدوّناتنا التّراثيّة العربيّة، إذ أنّنا عثرنا على نزر يسير من الدّراسات في هذا المضمار معظمها مترجم حدّ الالتباس أحيانا ، من ذلك على سبيل المثال ترجمة كلمة"pragmatique" بـ"التّداوليّة، والمقاميّة، والسّياقيّة والنّفعيّة، والذّرائعيّة وعلم المقاصد، وعلم

التّخاطب..." وجلّ الدّراسات اهتمّت بالجانب النّظريّ على حساب نظيره التّطبيقيّ.. ونظراً إلى ما قدّمه (أبو يعقوب السّكاكيّ) اخترناه ليكون محور الدّراسة، وحصرناها في القسم الثّالث من المفتاح لما أولاه عناية بعلم المعانيّ ،والأساس الّذي بنى عليه بلاغته.

لمّا كنّا ننتسب إلى مشروع "ماجستير" في اللّغة العربيّة، وآدابها الموسوم بـ"**التّراث النّقديّ العربيّ، ومناهج القراءة الحديثة** " وجدنا في الدّرس البلاغيّ العربيّ حقلا خصبا، وفي أدب (السّكاكيّ) تجربة جديرة بالدّرس البلاغيّ، والنّقديّ ؛وهكذا قد حصرنا بحثنا في تجربة واحدة تتمثل في البلاغة العربيّة لـ (أبي يعقوب السّكاكيّ) في مدوّنتة "مفتاح العلوم" الملحوظ فوائدها ،المتعدّد مناهجها الإجرائيّة الّتي يمكن أن تطبق على نصوصها.

يطرح الموضوع إشكاليّة أساسيّة تبحث في العلاقات بين مكونات التّراث النّقديّ ،والبلاغيّ ؛ العربيّ (مكون تواصليّ تخييليّ حجاجيّ) التي ترتبط أساسا بقضايا الاستقبال ،والفهم، والتأويل لكن مظاهر التّداوليّة، وطبيعتها تختلف من نص إلى نص، ومن خطاب إلى خطاب ،وتتفرّع إلى إشكاليات أخرى تطرح طبيعة المنهج الملائم لتحليل مختلف القضايا الّتي تثيرها مدوّنة (مفتاح العلوم) ذات الطّابع البلاغيّ ،والنّقديّ.

كما أنّ البحث يسعى لكشف غموض إشكاليات أخرى تتمثل في مدى إسهام الأفعال الكلامية في إثراء عمليّة التّواصل ممّا يجرّنا إلى الكشف عن الوجود الفعليّ لتلك العلاقة في مدونة (مفتاح العلوم)، وقد يتجاوزها الإشكال إلى البحث في خبايا التّراث النّقديّ والبلاغيّ، وهل وفّق

التّراث النّقديّ، والبلاغيّ في إيجاد علاقة بين التّخييل والإقناع ؟كما أنّه جدير بالبحث في جهود الغربيّين ، أمثال " أوستين، وسيرل" في تأسيس نظريّة الأفعال الكلاميّة .

تعد نظريّة الأفعال الكلاميّة أهمّ نظريّة في اللّسانيات التّداوليّة، حيث إنّ دراسة الأفعال وما يقوم به المتكلمون باللّغة من تأثير، وتبليغ، وإنجاز أفعال يعتبر من أهمّ مجالات الدّراسات التّداوليّة على الإطلاق، بوصفها تمثّل البنية الصّغرى التي يتعيّن تحليلها، والوقوف على طبيعتها قبل الانتقال إلى البنية الكبرى الّتي تتمثل في مختلف أنواع التّبادل الكلاميّ في مجتمع من المجتمعات .

إنّ تركيز(السّكاكيّ) على "علم المعاني" جعله مصدر اهتمام اللّسانيات التّداوليّة حاليا عند الباحثين العرب، لأنّه يركّز على تراكيب الكلام المفيد، ومطابقته لمقتضى الحال، وتمييز الجيّد من الرديء، وهذا بالضبط ما تسعى إليه التّداوليّة المعاصرة .

اقتضت منّا طبيعة موضوع البحث الموسوم بـ:"**تجليات نظريّة أفعال الكلام في الدّرس البلاغي العربي مفتاح العلوم لـ "السّكاكي- أنموذجا-**" الاعتماد على المنهج التّداوليّ، خصوصا في الفصل الثّاني الّذي يقارب نصوص المدوّنة من منظور إجرائيّ تداوليّ بالإضافة إلى اعتمادنا أيضا على المنهج التّاريخي الّذي سيساعد على تتبّع مسار الدّرس التّداوليّ منذ نشأته، والمنهج الوصفيّ، والتّحليليّ في الفصل الأول .

قد سبق البحث دراسات سابقة توزعت بين المطبوع، والمخطوط من أهمّ الأعمال المطبوعة:(مفتاح العلوم) لـ" أبي يعقوب السّكاكي" و(الإيضاح في علوم البلاغة) لـ"الخطيب القزويني" ،و(الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية) لـ "أبي سريع ياسين عبد العزيز"،أمّا الأعمال

المخطوطة فتمثلت في رسالة (بلقندوز هواري): التّداوليات النّصيّة ،مقاربة في فهم الخطاب، وتأويله قسم اللّغة العربيّة ،وآدابها "جامعة وهران،2008، 2009،". رسالة "دكتوراه" مخطوط تحت إشراف:(أحمد يوسف) ،ورسالة (خفيف علي): شعرية الخطابة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة "باجي مختار عنابة،"(2007 ،2008) ،ورسالة "دكتوراه" مخطوط، تحت إشراف: (عبد المجيد حنون).و(بعيطيش يحي):نحو نظريّة وظيفيّة للنّحو العربيّ: قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة "منتوري قسنطينة"(2005،2006)،ورسالة "دكتوراه دولة" مخطوط، تحت إشراف:(عبد الله بوخلخاج).

لا ينبغي أن نتجاهل بعض الصّعوبات الّتي واجهتنا في الدّراسة باعتبارنا نواجه موضوعا بكرا يجمع بين التّراث، والحداثة، فكانت تنفرج بين الحين ،والآخر تم تجاوزناها بالصبر، وبذل الجهد كقلّة الدّراسات التّطبيقيّة في مجال اللّسانيات التّداوليّة الّذي يمكن أن يخدم هذه الدراسة ولكن ما جعلني أقف في وجه الظروف، وأتحدّى كل ما يمكنه أن يعيق البحث حب الاستطلاع إلى كلّ ما يصب في اللّسانيات التّداوليّة.

لتحقيق ما نصبو إليه قسّمنا بحثنا إلى مدخل نظريّ ، وفصلين، ينطوي تحت كلّ فصلين مبحثان تسبقهما مقدمة، وتعقبهما خاتمة ،تناولنا في المدخل :الدّرس اللّسانيّ التّداوليّ: (الماهيّة والأصول) وهو دراسة نظريّة حاولنا من خلالها التّعريف باللّسانيّات التّداوليّة، وأدرجنا تحته مجموعة من العناصر أسهمت في بناء الجانب النّظريّ، والمعرفيّ للمجال اللّسانيّ على النحو الآتي :التّداوليّة

في الثّقافة العربيّة، ونشأة اللّسانيّات التّداوليّة وتطورها في الفكر العربيّ، وفي منظومة البحث اللّغويّ المعاصر، وفي الأخير تحدثنا عن أهم المحاور التي شكّلت الاتجاه اللّساتي.

أمّا الفصل الأوّل فخصصناه لنظرية الأفعال الكلاميّة بين التأسيس، والتأصيل، وأدرجنا تحته مبحثين، اهتمّ المبحث الأوّل بدراسة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ ضمن ظاهرة الخبر، والإنشاء؛ أمّا المبحث الثّاني اختص بالبحث عن أصول نظريّة الأفعال الكلاميّة عند اللّغويّين المعاصرين، حيث قمنا بالبحث والتّقصي عن الخلفية لهذه النّظريّة منذ أن كانت مجرد أفكار طرحها "أوستين" في مجموعة من المحاضرات إلى أن قوّمت الأفكار وعدّلت، وأصبحت نظريّة أساسيّة، يرتكز عليها المنهج التّداوليّ ،وذلك بفضل مجموعة من الفلاسفة من بينهم "سورل".

كرسنا الفصل الثّاني للظّواهر التّداوليّة في (مفتاح العلوم) لـ "أبي يعقوب السّكاكي"،وهو دراسة تحليليّة وظيفيّة تداوليّة، جاءت هي الأخرى في مبحثين: اهتم المبحث الأول بتحديد الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالإسناد الذي يندرج تحته الإسناد الخبريّ، وأحواله، وظواهر تداوليّة متعلّقة بالمسند ،وظواهر تداوليّة متعلّقة بالمسند إليه.

أما المبحث الثّاني فخصّصناه للحديث عن آليات علم المعاني، وأبعادها التّداوليّة، ويندرج تحته مجموعة من العناصر أسهمت في بناء نظريّة شاملة حاولنا من خلالها إبراز أهميّة علم المعاني في البلاغة العربيّة ذلك عن طريق ضبط مفهوم التّقديم، والتّأخير، وتحديد أنواعه، والبحث في الإيجاز، والإطناب، وأسلوب الطّلب، وما يتعلّق به من ظواهر تداوليّة، وظاهرة الأفعال الكلاميّة

عند "السّكاكي"... وفي الأخير خلصنا إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث.

لم نغفل تذييل بحثنا بملاحق حسبناها مفاتيح مهمّة من مفاتيح البحث على النّحو الآتي: ملحق للمصطلحات التّداوليّة (عربي، فرنسي)، وملحق الشّواهد الشّعريّة ،وملحق الآيات القرآنيّة وترجمة موجزة لـ "أبي يعقوب السّكاكي" .

نأمل أن يقدّم البحث قراءة مختلفة، ومقاربة خاصة لمدوّنتنا البلاغيّة النّقديّة "مفتاح العلوم "من منظور تداوليّ، ولا يفوتنا أن ننوّه إلى أنّ ما توصّلنا إليه في البحث كان نتيجة حوارات عميقة، وتوجيهات صارمة من "الدكتورة" ***مكاوي خيرة*** الّتي تولّت مهمّة الإشراف على هذا العمل مذ كان فكرة حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم، فإليها أتقدم بالشّكر الخالص، فقد كان لملاحظاتها الدّقيقة ،وتشجيعها المستمرّ، وروحها الطيبّة ،المرحة دور كبير ، فعال في إخراج هذا العمل من الظّلمات إلى النّور ؛ حفظها الله .

نسأل الله التّوفيق، والسّداد في عملنا، فإنّ وفّقنا فمن الله، وإن أخفقنا فمن أنفسنا، والله ولي التّوفيق، وهو وراء كلّ مقصد.

يقول العلامة أبو يعقوب السّكّاكي:

أحقّ الكلام أن تنهج به الألسنة، أن لا يطوى منشوره على توالي الأزمنة، كلام لا يفرغ إلّا في قالب الصّدق، ولا ينسج خبره إلاّ على منوال الحقّ، فبالحريّ تلقيه بالقبول إذا ورد يقرع الأسماع، وتأبّيه أن يعلق بذيل مؤداه، ريبة إذا حسر عن وجهه القناع، وهو مدح الله تعالى، وحمده.

[مفتاح العلوم: ص 35].

المدخـل

الدّرس اللّسانيّ التّداوليّ: الماهيّة، والأصول

1- التّداوليّة: المصطلح، والموضوع.

1-1- التّداوليّة في الثقافة العربيّة

1-2 - التّداوليّة: النشأة، والتّطور.

2- الفلسفة التّحليليّة: النشأة، والتّأصيل.

3- محاور اللّسانيّات التّداوليّة.

توطـــئـــة:

كانت التّغيّرات العميقة الّتي عرفتها الدّراسات المعرفيّة، واللّسانيّة في السّنوات الأخيرة من القرن العشرين ثمرة من ثمار تطوّر الفكر الحديث عبر كامل إنجازاته العلميّة، المعرفية، الّتي ما لبثت تدعو إلى الاعتقاد أنّ العقل البشريّ أوشك أن يستنزف قدراته الكامنة، وطاقاته الخلاّقة؛ وفي هذا السّياق سُجّل بزوغ تيارات، ونظريّات لغويّة متباينة في الأسس المعرفيّة كالتّيار التّوليديّ، البنيويّ ... كانت آخر ثمرة تمخّضت عن الدّرس اللّسانيّ انبثاق تيار جديد كان مثل البديل، والأفق الّتي تسعى إليه الأبحاث اللّغوية المعاصرة.

لقد تجسّد الأفق في النّظريّة التّداوليّة[1]، فأصبحت في السّنوات الأخيرة موضوعا مألوفا في اللّسانيّات، والدّراسات الأدبيّة بعد أن كانت السّلّة ترمي العناصر، والمعلومات الّتي لا يمكن معالجتها، وتوصيفها بالأدوات اللّسانيّة التّقليديّة.

لا مندوحة أن تكون اللّغة في عصرنا مؤسّسة تختزل فيها الثّقافة برّمتها، من حيث إنّ الحياة اليوميّة للإنسان أصبحت منصهرة في الخطاب "التّكنولوجيّ" للّغات الاصطناعية، والذّكاء الاصطناعي[2]؛ ونظرا إلى الاهتمام الكبير بالمصطلح، فإنّ التّكلّم في مسألة وظيفة اللّغة يقودنا إلى

[1]– نتيجة لتداخل التداولية pragmatique بحقول مجاورة، فإنّ لها الكثير من الترجمات في اللغة العربية، منها: التبادلية والاتصالية، والنفعية إلى جانب الذرائعية. من كتاب ميجان الرويلي، سعد اليازغي، دليل الناقد الأدبي. إضافة لأكثر من خمسين تيارا أو مصطلحا نقديا معاصرا، لبنان بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص100.

[2]– يهدف علم الذكاء الاصطناعي إلى فهم طبيعة الذكاء الانساني عن طريق عمل برامج للحساب الالي قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء من مثل حل مسألة ما ،أو التواصل إلى قرار معين من خلال العمليات الاستدلالية تي تم تزويد البرنامج بها .ومن أبرز مواصفات الذكاء الاصطناعي :التمثيل الرمزي ،الاجتهاد ،تمثيل المعرفة ،القدرة على التعلم من

التّسليم بحاجة الإنسان إلى تجاوز مستوى الاتصال للقيام بمهمات جوهرية من مثل: تمثيل المعلومات، وإبلاغها؛ ومن ثمّة تنتقل وظيفة اللّغة في جوهرها من التّواصل إلى تمثيل المعرفة، وبرمجة المعلومة، وإبلاغها[1]. قد كان لـ"أوستين" التفاتة ثمينة في نظريّة اللّغة حيث رأى أنّها: "ليست أداة أو وسيلة للتّخاطب، والتّفاهم، والتّواصل فحسب، وإنّما اللّغة وسيلتنا للتّأثير في العالم، وتغيير سلوك الإنسان من خلال مواقف"[2]. وهكذا نسلّم بفكرة التّخلي عن اختزال اللّغة في نظام ترميزيّ شفّاف، مبدؤه التّواصل الحرفيّ للّغة مادام استعمالها ممثلا في إنتاج الجمل، وفهمها يتطلّب معارف غير لغويّة، ويستلزم عمليّات استدلاليّة تقوم أساسا على "استراتيجيّة" المؤوّل، والملبسات السّياقيّة للعمليّة التّواصليّة[3].

من هذا المنظور نقدّر أنّه من الضّروريّ الإشارة إلى تشكّل مفهوم التّداوليّة تنظيرا، ومراسا تأسيسا، وتأصيلا. فما التّداوليّة؟ وما هي جذورها، ومصادرها الكبرى؟

1- التداولية: المصطلح، والموضوع:

تعدّ التّداوليّة مبحثا من مباحث الدّراسات اللّسانيّة الّتي تطوّرت إبّان سبعينيات القرن العشرين، ومن أهمّ المفاهيم الحديثة الّتي شدّت انتباه الدّارسين، والباحثين، لاسّيما في العقود

الأخطاء .آن بونيه :الذكاء الاصطناعي :تر:علي صبري فرغلي ،الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ،العدد : 172 ،1995 ص 11،17.

– ينظر: بلقندوز هواري: التداوليات النصية، مقاربة في فهم الخطاب وتأويله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران،2008، 2009، رسالة دكتوراه، مخطوط ،تحت إشراف: أحمد يوسف، ص9

[2]– أوستين: نظرية الأفعال الكلاسيكية ،،تر: عبد القادر قنيني، المغرب ، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق،1991 ، ص06.

[3]– بلقندوز هواري :التداوليات النّصية:ص 10.

الأخيرة، فالمبحث يدرس كيفيّة فهم النّاس بعضهم بعضا، وإنتاجهم لفعل تواصليّ كلاميّ في إطار موقف ملموس، محدّد، كما أنّه يبدو على درجة غير قليلة من الغموض ما يجعله مستعصيا على الضّبط الدّقيق، إذ ما انفك يقترن في اللّغة الفرنسيّة بالمعنيين التّاليين: "محسوس، وملائم للحقيقة أمّا في الإنجليزيّة باعتبارها اللّغة الّتي كتبت بها غالبيّة النّصوص المؤسّسة للبحث التّداوليّ؛ فإنّ مصطلح "pragmatic" يدلّ في الغالب الأعمّ على ماله علاقة بالأعمال، والوقائع الحقيقيّة"[1].

هنا تجلّى مصطلح التّداوليّة في المعاجم، والقواميس (اللاّتينيّة) يعني القيمة العمليّة والتّطبيقيّة للأشياء المرتبطة بالواقع؛ وهو "مشتق من الجذر (اليونانيّ) "pragma" بمعنى الفعل، ومنه "pragmatikos" باليونانيّة و"pragmatika sanctio" باللاّتنيّة، ثمّ أصبحت الكلمة بفضل اللاّزمة تطلق على كل ما هو عمليّ أو واقعيّ"[2].ثم إنّ المفهوم الاصطلاحي للتّداوليّة تتقاذفه مصادر معرفيّة عديدة ، فقد اعتبرت ملتقى لمصادر أفكار، وتأمّلات مختلفة يصعب حصرها "إضافة إلى أنّها تتداخل مع علوم أخرى ممّا جعل مجالها ثريّا وواسعا، وعسيراً"[3].فليس اللّسانيّون وحدهم المعنيين بالتّداوليّة ؛بل إنّها تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة و(السّيميولوجيّين)؛ تتجاوز اهتماماتها إلى الأبحاث المتعلّقة بالمعنى، والتّواصل، وتطغى على

[1]– ينظر :فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، سورية، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، 2007، ص17.

[2]- Cf .Hachette dictionnaire du français, Ed Mair Ga tard paris 1995 (pragmatique).

[3]– خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ط1،2009،ص 63.

موضوع الخطاب لتصبح نظريّة عامة للنّشاط الإنسانيّ[1] ؛ ونظرا إلى اتّساع حدودها، أقرّ العديد من الدارسين غموض معالمها، فهي درس جديد، غزير إلّا أنّه لا يملك حدودا واضحة... ولعلّ من أهمّ الصعوبات الّتي تصادف التّعريف بالتّداوليّة عدم استقرارها على مصطلح يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة، بحيث تعددّت التّسميات العربيّة للمصطلح الأجنبي" pragmatique"، "فقيل (البراغماتيّة) بعدها نقلا حرفيا عن المصطلح الأجنبيّ، وقيل التّداوليّة، المقاميّة، الوظيفيّة ،السّياقيّة الذّرائعيّة، والنّفعيّة، وبين تلك الألفاظ – في الواقع – فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة لتكون مقابلا للمصطلح الأجنبّي"[2].

فإذا كانت (البراغماتيّة) تعنى بخصائص استعمال اللّغة عند المتكلّمين، وردود أفعال المستقبلين، والنّماذج الاجتماعية للخطاب حتى ... ثمّ تحوّلت فيما بعد مع "أوستينAustin"[3]إلى

[1] – بوقصة عبدالله :تداوليات الخطاب الصوفي في ديوان أسرار البلاغة لمصطفى محمد الغماري:قسم اللغة العربية و آدابها جامعة مستغانم .2009، 2010،رسالة ماجستير ،مخطوط ،تحت إشراف :حنيفي بناصر، 03ص.

[2] – خليفة بوجادي:في اللسانيات التداولية،ص 65.

[3] –الفيلسوف ج– ل – أوستين John longshou Austin:كان أستاذ الفلسفة الأخلاقية بجامعة أكسفورد وهو شخصية معروفة في الأوساط الأكاديمية البريطانية والأمريكية، توفي سنة (1960) وكان عمره آنذاك 48سنة،من كتبه:كيف تكتب الأشياء بالكلمات، ينظر:محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،مصر، الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية،دط،2002،ص 61.

دراسة أفعال اللّغة، ثم امتدّت بعد ذلك، واتّسعت لتشمل نماذج الاستعمال، والتّلفّظ، وشروط الصّحة، والتّحليل الحواريّ[1].

إنّ مصطلح الذرائعيّة "pragmatism" يحيل إلى توجّه فلسفيّ معيّن، أو بالأحرى نظريّة فلسفيّة عامّة للعقلانيّة الّتي تؤطّر جملة من الاهتمامات الإنسانيّة، يتمّ بموجبها الحكم على قانون ما من خلال التّطبيقات العمليّة، والنّتائج المتوخّاة منها، وقد تطورت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في منعطف القرن العشرين، ويبدو ذلك التّوجه مستلهما نوعا ما من الاستعمال "الكانطيّ" لمصطلح "pragmatish" الّذي سرعان ما حظي باهتمام بالغ، وسرعة في التّداول لدى "شارل بيرس"، وزملائه نحو "وليام جيمس"، الذي استخلص من هذه الفكرة نظرية في الحقيقة سنة 1906،ساخرا من مواقف "بيرس" وبالتوازي مع ذلك استخلص "جون ديوي" نظرية أداتية سنة 1903[2].ومن ثـمّ كانت الذرائعيّة تهتمّ بالفائدة العلميّة للفكرة كمعيار لصدقها، واعتبرت فكرة الموضوع ما هي إلاّ مجموعة أفكار لكلّ الوقائع المتخيّلة، فهي نظريّة فلسفيّة تلح على المكوّن العمليّ الفاعل للإنسان قصد بلوغ المعرفة[3].

[1]- ينظر: نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، عنابة،منشورات جامعية باجي مختار، دط،2006ص171،وينظر: بوقصة عبدالله :تداوليات الخطاب الصوفي في ديوان أسرار البلاغة لمصطفى محمد الغماري: ص03.

[2]- ينظر:فيليب بلانشيه،التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص28،وبلقندوز هواري:التداوليات النّصية:ص 11.

[3]- ينظر: بوقصة عبدالله :تداوليات الخطاب الصوفي في ديوان أسرار البلاغة لمصطفى محمد الغماري،ص 03.

في حين نجد مصطلح التّداوليّة "pragmatique" يغطي عمليّة إنتاج المعنى في رحاب أنظمة العلامات، فهو لا يراعي العقلانيّة إلاّ في علاقتها بالخطاب، والسّيّاق، وعندئذ لا يفتأ يغمر الجذور الفكريّة، والفلسفيّة للبحث التّداولي"[1].ممّا جعل الباحث يقف أمام تداوليّات لم تتحدّد بعد مع أنّها في قمّة ازدهارها؛ وهكذا نجد تداوليّة "مونتاغ Montague " غير متأثّرة بذرائعيّة "بيرس".

لاشكّ أنّ إطلالة سريعة عند توثيق استعمال مصطلح "pragmatique" في بداياته المبكّرة وبمفهومه الحديث، يحيلنا إلى أبحاث الفيلسوف (الأمريكيّ) "تشارلز موريس"1938 بوصفه دالاّ على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات، أو "السّيميائية[2]Sémiotique" ،واعتبر "موريس" التّداوليّة جزء من السّميائيّة الّتي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعمليها، أو مفسّريها (متكلّم – سامع – قارئ – كاتب...)وتمثّل التّداوليّة حسب رأيه إحدى نواح ثلاثة يمكن معالجة اللّغة من خلالها:

---

[1] - GF.Francisejaques, pragmatique,Encyclopaedia,universalis 2000 CD,Rom,V:6 .12 وينظر:بلقندوز هواري :التداوليات النّصية:ص

[2]–من المعلوم أنّ اللساني السويسري فرديناند دي سوسير(1913،1957م)هو مبتدع مصطلح Sémiotique وهو علم يدرس حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية، والمراد هو دراسة كل أنظمة التواصل دون الاقتصار على نظام التواصل اللغوي، ومن الأنظمة العلاماتية نجد: الخط وأبجدية الصم والبكم وعلامات التأدب والإشارات... من كتاب: أحمد الوردني قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م،لبنان،بيروت،دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني ط1،2004 ، ص711.

*علم التراكيب: "Syntaxe" : "يعنى بدراسة العلاقات الشّكليّة بين العلامات بعضها ببعض"[1] ؛أي يتّجه – العلم – إلى دراسة اللّغة دراسة نسقيّة دون الأخذ بالاعتبار سيّاق الحدث اللّغويّ ومصاحباته سواء أتعلّق الأمر بالعمليّة الإنتاجيّة للّغة (الّتي تتعلّق بمنتج الكلام) أم بالعملية التّأويليّة التّفسيريّة لها (الّتي تتعلّق بالملتقّي)؟

*علم الدّلالة: "Sémantique": "يدرس علاقة العلامات بالأشياء الّتي تحيل عليها في الواقع"[2] بمعنى أنّه ذلك العلم الّذي يوجه اهتمامه إلى دراسة علاقة الكلمات بالعالم الخارجيّ.

*التّداوليّة:pragmatique":" تهتمّ بدراسة علاقة العلامات بمفسريها"[3]؛ بمعنى أنّها ترتكز على الإطار التّواصليّ في محاولتها تحديد علاقة الإشارة بمن يستخدمها في الاتصال اليوميّ العادي، ووفق الطّرح لا يمكن اعتبار أيّ جملة، أو عبارة بنية شكليّة معزولة عن سيّاقها (التّواصليّ/التّفاعليّ).

أما كتخصّص، أو فرع معرفيّ لغويّ، فإنّ التّداوليّة تهدف إلى دراسة الظّواهر التّابعة للمكوّن التّداوليّ من مكوّنات اللّغة ،وعليه تعرف بأنّها دراسة اللّغة في الاستعمال [4].

في الواقع إنّ الفكرة الّتي يحملها "موريس" عن التّداوليّات تنبؤنا بمدى وفاء هذا التّصوّر للنّظام اللّسانيّ عامة، ونظريّة العلامة على وجه الخصوص، ومن ثّمة لا تعدو أن تكون فكرة

1- محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002،ص09.

2-المرجع نفسه :ص 09.

3- المرجع نفسه :ص 09.

4- محمد الأخضر الصبيحي :مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، لبنان، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 ، 1429،2008هـ ،ص 48.

اختمرت في خلد أحد أقطاب (السّيميائيّات) الأمريكيّة لتتجسد فيما بعد وجودا مكتملا مع أنصار اتجاه التّداوليّة المندمجة[1].

بإمكاننا تقديم تعريف عامّ بالتّداوليّة على" أنّها دراسة اللّغة في الاستعمال "usage " في مقابل دراسة النّظام اللّسانيّ "Système l'inguistique" الّذي يصرف اهتمامه مباشرة إلى البنى اللّسانية المجرّدة".[2] و تأسيا على ما سلف فإنّنا نجد صناعة المعنى تتمثل في تداول اللّغة بين المتكلّم، والسّامع في سّياق محدّد (ماديّ، واجتماعيّ، ولغويّ)،وصولا إلى نفي كلام ما، وبالتّالي لا يمكننا أن نتصوّر الاستعمال اللغويّ بمعزل عن أحداثه الفعليّة مثل الإجراء التّواصليّ، والنّظام اللّسانيّ نفسه، عندئذ يغدو موضوع البحث في التّداوليّة مركّزا على: " المعنى بمعزل عن شروط الحقيقة بتعبير "Gazdar" ، وبالتالي يتحدّد المجال الإجرائيّ للبحث التّداوليّ في ثلاثة أبواب: باب أغراض الكلام، وباب مقاصد المتكلّمين، وباب قواعد التّخاطب"[3]؛ من ثمّة تعمل (استراتيجيّة) البحث التّداوليّ وفق الأبواب السّابقة على استعادة المحتوى السيّاقيّ لنسقيّة "سوسير" التّجريديّة من حيث يتمحور رهان البحث اللّساتي الجديد حول المكوّن (السوسيوثقافيّ) للوحدات اللّسانيّة في علاقته مع العالم.

[1]- بلقندوز هواري : التداوليات النّصيّة: ص 12.

[2]-محمود أحمد نخلة:أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

[3]-GF.J. Moschler, Anne Raboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Ed Seuil paris p 32.

1-1- التّداوليّة في الثّقافة العربيّة:

لا مناص لنا – ونحن نباشر تعريف التّداوليّة – من أن نبدأ بتدّبر المفهوم اللّغويّ للمصطلح الّذي قد نستمدّ منه بعض المؤشّرات الّتي يمكن أن تضيء لنا دروب الاهتداء إلى التّأصيل للمفهوم، وتكوين عنه فكرة عامّة، شاملة قبل الدّخول في تشعّباته النّاتجة عن تعدّد الرّؤى، والمنطلقات، والغايات.

لقد أجمعت جلُّ المعاجم العربيّة على أنّ الجذر اللّغوي لمصطلح التّداوليّة (الفعل الثّلاثي "دول" الّذي ينصرف مفهومه إلى معانٍ كثيرة منها :"التناوب، والنّزاع، والنّصرة، والتّنقّل .....فقولهم :تداولنا الأمر، معناه: أخذناه بالتّداول ... وقالوا :دواليك أي: مداولة على الأمر ودالت الأيام أي: دارت؛ والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته مرّة، وهذه مرّة ...وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاوننا عليه ،فعمل هذا مرّة وعمل هذا مرّة."[1] تكاد تلك الإحالات اللّغويّة جميعها تؤسّس لوجود طرفي التّداول (الباث Emetteur)، والمتلقّي "Recapture" كتداول المال مثلا ،وعندئذ يكون مقتضى التّداول عمليّة وصل بين القول، والفعل، أو قل تحقيق الأفعال في الواقع التّجريبيّ من خلال إنجاز الأقوال في نطاق التّواصل اللّغويّ حسب ما تنصّ عليه نظريّة الأفعال الكلاميّة .

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور:لسان العرب، لبنان ،بيروت ،دار صادر، ط 1، 1999، مج،11 مادة:دول.

ضمن هذا الإطار أخذت التّداوليّة في حسبانها النّظر في اللّسان، والمنطق على أنّهما قوام حاجة المرء في التّواصل، والتّفاعل[1].

من شواهد استخدام مصطلح التّداوليّة في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[2]. وبيان (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي : "كي لا يكون ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرّة في أبواب البرّ، وسبيل الخير"[3]؛ ويقول "عمرو بن العلاء"- في معنى الآية- : "إنّ الدَّولة بالفتح الظّفر في الحرب، وغيره، وهي المصدر، وبالضّم اسم الشيء الّذي يتداول من الأموال".[4] وفيه أيضا قوله تعالى: ﴿ **وتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[5]. وقد ذكر صاحب الكشّاف بشأنها : "... نداولها: نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء، وتارة لهؤلاء، كقوله: -وهو من أبيات الكتاب-:

[1]- ينظر: أحمد يوسف سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، الجزائر، دار الرشاد،منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، دط،2004، ص209.

[2]-سورة الحشر، الآية 07

[3]- القرآن الكريم بهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيجني مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان عطية، قدم له وراجعه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7 ،1995، ص546.

[4]- أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، دط ،1963، الجزء 18 ص19.

[5]- سورة آل عمران: الآية 140.

فَيْومًا عَلَيْنَا، وَيَومًا لنَّا *** وَيَومًا نُسَاءُ، وَيَومًا نُسَرُ**[1].

إنّ هذا التّصور ليس ظفرة في فراغ ،ذلك أنّ لفظ التّداوليّة، ومشتقاته استعمل في الآيات بمعنى التّغيّر من حال إلى حال، أو الانتقال، أو التّعاقب، والتّناوب، ونلمس من خلالها عدم الثّبوت، والاستقرار، والتّحول، كما الأمر بالنّسبة إلى اللّغة، بحيث تنتقل من المتكلّم إلى السّامع في سّياق ما يمكن أن يفهم، أو يؤوّل إلى عدّة معانٍ، وبذلك يكون المعنى غير ثابت، بل متحوّل، وغير مستقرّ بين باحثه، ومتلقّيه .

إنّ المتتبّع لنشوء التّداوليّة، وتطوّرها يصل من فحصه تاريخَها إلى خلاصة مفادها أنّها لا علاقة لها بالقواعد الدّاخليّة للنّسق اللّسانيّ الصّوريّ من مثل (الصّواتة[2]، الدّلالة، التّركيب) من حيث أنّها لا تقتصر على جانب واحد، بل من الممكن أن تستوعب كلّ الجوانب، فهي تنكبّ أساسا على دراسة اللّغة من وجهة نظر وظائفية بتركيزها على دراسة جوانب السِّياق الّتي تشفّر شكليّا في تراكيب اللّغة بوصفها جزء من مقدرة منجز الخطاب، وهكذا تعدّ التّداوليّة تخصّصا لسانيّا يدرس كيفيّة استخدام النّاس للأدّلة اللّغويّة في صلب أحاديثهم، وخطاباتهم لأنّها تسعى إلى كيفيّة اكتشاف السّامع مقاصد المتكلّم، وأغراض كلامه حتّى[3].

---

[1]–الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر (د.ت) ج2، ص435.

[2]– الصواتة: العلم الذي يدرس الأصوات.

[3]– ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص10، وبلقندوز هواري: التداوليات النّصية ص14،15.

تقوم ثلاثة مستويات في المعنى على التّوالي: المعنى اللّغويّ، والمعنى المعجميّ ، ومعنى الكلام (السّياقيّ)، ومعنى المتكلّم (الموقفيّ)؛ ومادامت التّداوليّة تقصي من مجال اهتمامها مراعاة شروط الحقيقة المتواضع عليها ضمن القواعد اللّغويّة ،ومنطق الكلام ،فإنّها تنتمي إلى المستوى الثّالث من دراسة المعنى، ونحسّ أنّ النّموذج "الإبستمولوجي" الّذي حازته التّداوليّة ضمن نظرية المعنى أشبه ما يكون بالتّصنيف الّذي أشار إليه الباحث اللّسانيّ "luredR-E" من حيث أنّ التّداوليّة تنتمي إلى لسانيّات الجيل الثالّث [1].

أوّل الاتجاهات الّتي تصادفنا كون التّداوليّة تعدّ امتدادا للسانيّات التّلفّظ، ولمفهوم الدّلالة باللّغة والدّلالة التّوليديّة.....[2] . حيث ميّز الدّارسون بين دلالتين: دلالة ترتبط باللّغة حسب المقترح (السويسري)، ودلالة ترتبط بلسانيّات الكلام حسب المقترح (الأوستينيّ) الّذي يمثّل أحد مفاهيم التّداوليّة.

باتساعنا أن نرى غالبا أنّ التّداوليّة تغمر الإطار العامّ للخطاب كي تصبح نظريّة عامّة للفعل الإنسانيّ، ومن ثمّة نجد أنّها تتداخل مع جملة من العلوم المعرفيّة الّتي لها علاقة بالبحث اللّغويّ من مثل: (الدّلاليّات، والسّوسيولسانيّات، والسّيكولسانيّات، وتحليل الخطاب) ممّا أفرز أنواع متعدّدة للتّداوليّات أبرزها التّداوليّة الاجتماعية، والتّداوليّة اللّسانيّة، والتّداوليّة التّطبيقيّة، والعامة[3].

[1]- بلقندوز هواري: التداوليات النّصية: ص 15.

[2]- أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، لبنان، بيروت، مركز الإنماء القومي، دط، 1986، ص09

[3]- ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 52،وينظر:بلقندوز هواري: التداوليات النّصية ص15.

والواقع أنّ "مبدأ الواقع الفعّال"Réalité agissante" الّذي يعدّ عنصر أساس الوعي التّداوليّ، يمثّل نمطا أصليّا، تأليفيّا في الوقت ذاته ضمن الإطار العامّ لعلوم الإنسان " Sciences de l'homme" ويعرّف التّداوليّة بوصفها تحليلا للوقائع الملاحظة، وينظر إليها في علاقتها بسيّاقات وجودها الواقعيّة؛ إنّه تحديد مبدأ علميّ، وإذا كان ينزع إلى تأسيس حقل، وموضوع مفضّلين هو التّواصل (لأن كلّ شيء عند الإنسان تواصل) جامعا هوامش الاختصاصات الأكثر كلاسيكيّة فإنّه لا يقتصر عليها، ومن ثمّة، فإنّه لا يمكننا أن نعتبر التّداوليّة اختصاصاً بالمعنى المتعارف للفظ الاختصاص ".[1]

لن نبالغ إذا ما قلنا: إنّ مصطلح التّداوليّة يغطّي اهتمامات متشعبّة، وذات مرجعيّات مختلفة في العلوم الإنسانيّة على نحو يكاد يتّفق فيه الباحثون على أنَّ حقل اهتمام التّداوليّة على وجه الخصوص، يشمل الإشارات "Deixis"، والافتراض السّابق "Presupposition"، والاستلزام الحواري "Implication"، والأفعال الكلاميّة " Actes de langage" والحجاج[2].

1-2- التّداوليّة: النشأة والتطور:

إنّ التّعرّض لنشأة النّظريّة التّداوليّة ليس بالأمر الهيّن لاسيّما أنّها مدينة لعدد من التّيّارات الفلسفيّة، ولطبيعتها الّتي تمسّ الواقع المعيش اليوميّ، والجدير بالذّكر أنّ نشأة التّداوليّة قد توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفيّة "Sciences cognitive"، الّتي تمخّضت عن التّفكير في الذّكاء

[1]- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15.

الاصطناعي من مثل: علم النّفس، واللّسانيّات، وفلسفة العقل... الّتي كانت ردّ فعل على تيّار علم النّفس السّلوكيّ عقب ظهوره في أمريكا منذ بداية القرن العشرين.

قد يكون من المناسب الإشارة إلى أنَّ البذور التّأسيسيّة الأولى لبرنامج العلوم المعرفيّة يرجع إلى" الخمسينيّات من هذا القرن، وبالتّحديد مع مقالات "ن.تشومسكي" (سنة 1956) و"ميلر G.Miller نيوالA.Newelle وسيمون.H -simon." وبخاصّة محاضرات "أوستين" بجامعة (هارفارد الأمريكيّة سنة 1955)[1].

في ظلّ الاتجاه (الابستمولوجي) الّذي سارت عليه العلوم المعرفيّة نشأت التّداوليّة عن برنامج بحث تجريديّ له أسسه، ومفاهيمه الخاصّة، ولاشكّ أنّ ما يميّز التّداوليّة كونها عبارة عن مجموعة من النّظريات، والأفكار نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتّفقة في أنّها تدرس اللّغة من خلال استعمالها ضمن سيّاق معيّن دون إهمالها المعنى، وعلاقته بظروف الكلام فهي تهتمّ بالمخاطبين، ومقاصدهم . "ومن الأسئلة المثيرة الّتي من شأنها أن ترسم حدود التّداوليّة، وتشرح وظيفتها في تناول الخطاب الأدبيّ الرّاهن من جهة، ودراسة اللّغة أساسا من جهة ثانية؛ ماذا نصنع حين نتكلّم؟ وماذا نقول بالضّبط؟ ومع من نتكلم؟"[2]، فالتّداوليّة إذن هي ملتقى أطراف عدّة نحو العلوم الاجتماعية، والفلسفيّة، والتّربويّة، والنّقديّة، والمعرفيّة حتى، ذلك ما يجسّد الطّابع الشّموليّ الّذي تنزع إليه .

[1]- المرجع السابق :ص 47.

[2]- أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، ص 07.

تظهر بعض المداخل النّظريّة، إلى أنّ بداية انطلاق التّداوليّة كانت مع أبحاث فلاسفة اللّغة المنتمين إلى مدرسة (أكسفورد البريطانية) مع غياب أيّ تمثل إجرائيّ لمصطلح "تداوليّة"؛ وهم:"ج. ل/ أوستين 1955". و"ج. ر/ سيرل"، و "بول غرايس1957"، ذلك ضمن دائرة اهتمامهم بدراسة فلسفة اللّغة الطّبيعيّة "Natural language" أو العاديّة "Ordinarg" في مقابل اتّجاه مدرسة اللّغة الصوريّة، أو الشّكليّة "formal language" الّذي يمثّله "كارناب arnap"[1].فكانوا جميعا مهتمّين بطريقة توصيل معنى اللّغة الإنسانيّة الطّبيعيّة من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسّرها .

الغالب أنّ الحديث عن نشأة التّداوليّة يذهب بنا إلى "استحضار الاختلاف الحاصل في تحديد مفهومها، ودورها في الأخذ بأسباب التّأسيس المعرفيّ. ذلك أنّ التّداوليّة تهتمّ بإدماج السّلوك اللّغويّ ضمن نظريّة الفعل في نظر بعض الباحثين ، ويرى بعضهم الآخر أنّ مهمّة التّداوليّة تتوقّف على مدارسة التّواصل، أو بالأحرى التّفاعل الإنسانيّ الحيّ بكل أنواعه؛ في حين يرى بعضهم أنّها تعالج أساسا استعمال العلامات في السيّاق ممّا دفع ب "ماكس بليك Max Bleak" إلى تسميتها بالسيّاقيّة، وهو منظور أحد المؤسّسين الأوائل الباحث (السّيميائيّ الأمريكيّ) "و. شارل موريس 1938" [2].

[1]– محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 09، 10 وينظر: بلقندوز هواري: التداوليات النّصية:ص17.

[2]– هواري بلقندوز: التداوليات النصية: ص 17.

كما يدرك "أ. ماس U.Masse"، و"د.فندرليشD. Venderlich" في كتابهما الموسوم" pragmaticsandsprachlichers" أربعة أصول في تكوين اللّسانيّات التّداوليّة:

- (السّيميائيّات) المنطقيّة المرتبطة بنادي "فينا Cercle de vienne".

- (سيميائيّات) "ش.موريس" الّتي تفرّع عنها تيار طاغ أعيد التّفكير فيه من خلال مكوّن العمل (composant de travail)، ويمثّله "ج. كلوس G.Klaus ".

- الذّرائعيّة الأمريكيّة "pragmatism"(ش.س/بيرس G.S.peice[1].

أهمّ ما يلفت النّظر أنّ ثمّة فرقا جوهريّا حول اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم التّداوليّة الّذي يرجع بالدّرجة الأولى إلى الاختلاف الحاصل في إدراك المعنى السيّاقيّ للمتكلّمين وتصوّره بوصفه المعطى الأساس الّذي ما برح البحث التّداوليّ يراهن عليه تطبيقيّا، وتنظيرا؛ وعليه، فإنّ حقيقة موضع ذلكم المعطى في محور تكاد تتداخل فيه التّداوليّات مع علم الدّلالة أدّى إلى جدل علميّ بين الباحثين يقودنا أساسا إلى التّسليم بنوعين من التّداوليّة[2].

أ- التّداوليّة التّكامليّة: "pragmatique intégrée" في النّظام اللّسانيّ، واشتهر تداول مصطلح التّحليلات التّداوليّة المنجزة مع أبحاث "أنسكومبر" و"ديكرو"؛ انطلاقا من تصور نظريّة

[1]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: يحياتن، الجزائر بن عكنون ديوان المطبوعات الجامعية، ص 4،5.

[2]- ينظر: هواري بلقندوز: التداوليات النصية: ص 18.

دلاليّة اكتملت ضمن اللّسانيّات، لا سيّما مع أطروحات الملفوظيّة، مهمتها دراسة المعنى غير الحرفيّ في مستوى الأفعال الكلاميّة[1].

ب- **التّداوليّة الأصليّة**: "**pragmatique Radicale**" أي مستقلّة عن النّظام اللّساتي، وعن علم الدّلالة على وجه الخصوص[2].

تمتدّ الأولى على مساحة معرفيّة واسعة ابتداء بإسهامات "و.شارل موريس" في حقل (السّيميائيّات)، وانتهاء عند جهود المدرسة اللّسانيّة الفرنسيّة الّتي حمل رايتها "ديكرو"، وهي تداوليّة "تراهن على مفهوم الكفاءة اللّسانيّة "competence l'inguistique" انطلاقا من أنّ الدّلالات اللّغويّة تتأثّر بشروط استخدام اللّغة، في حين يشغل الأنموذج الثّاني للتّداوليّة حيّزا (ابستمولوجيّا) يمتدّ من جهود فلاسفة مدرسة (أكسفورد)، وبخاصة نظريّة "أوستين" و "سيرل" حول الأفعال الكلاميّة، ومحاضرات "غرايس" حول الكلام المضمر، والإستلزام الحواريّ إلى غاية أبحاث الفيلسوف الأمريكيّ "يورغين هابرماس" حول ما يسمّى بالتّداوليّة الكليّة "Pragmatique Universelle" ذلك أنّ الأنموذج ينتمي إلى دراسة الإنجاز اللّغويّ "performance l'inguistique" ، فهو لا يعدو أن يكون تداوليّة أصليّة"[3]radicale

[1]- ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، دط،2008 ،ص82.

[2]-GF. Maingueneau les termes clés l'analyse de discours, Ed seuil paris:1996-p65

[3]- هواري بلقندوز: التداوليات النصية: ص 18.

الحقيقة أنّه على الرغم ممّا أقرّه بعض اللّسانيّين، والمصطلحين ظلت التّداوليّة طيلة عقود من الزمن لا تغطي أي بحث فعليّ، ولم يعتدّ بها في الدّرس اللّغويّ إلى أن جاء العقد السّادس من القرن العشرين، وبالضّبط في (سنة 1955) عند ما ألقى "جون أوستينJohn Austin" محاضراته في جامعة (هارفارد) "William James Lecture " حيث استعرض أوّل مفهوم تداوليّ، وأهمّه متمثلا في نظريّة الأفعال الكلاميّة الّذي استوحاه من مجال فلسفيّ عامّ، هو تيار الفلسفة التّحليليّة[1]؛ وبما أنّ "الفلسفة التحليلية"[2] الينبوع المعرفيّ لأوّل مفهوم تداوليّ، وهو "الأفعال الكلاميّة "، فقد بات ضروريا التّعريف بذلك التّيار الفلسفيّ، وبمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياه لأنّه يجسّد الخلفيّة المعرفيّة، والمحضن الفكريّ لنشوء الظّاهرة اللّغويّة -الأفعال الكلامية- الّتي تمثّل أهمّ محور من محاور النّظريّة التّداوليّة.

2- الفلسفة التّحليليّة: النّشأة والتّأصيل:

ظهر الاتّجاه بمفهومه العلميّ الصّارم بزعامة الفيلسوف الألمانيّ " غوتلوب فريجه" (Gottlobfrege) (1848-1925) في العقد الثّاني من القرن العشرين في "فيينا بالنّمسا" في كتابه: " أسس علم الحساب" الّذي أجرى فيه بعض التّحليلات اللّغويّة من مثل: تمييزه بين مقولتين لغويّتين هما: اسم العلم، واسم المحمول اللّذان يعدّان عماد القضيّة الحملية، حيث بيّن أنّ

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 09.

[2]- الفلسفة التحليلية: نسق حديث يشكل أرضية معرفية فلسفية لنشوء آخر نظرية لسانية وهي نظرية النحو الوظيفي وينطلق من مسلمة أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفهم، ومن أبرز التيارات التي أطرت تصور المدرسة التحليلية: الوضعانية المنطقية، وفلسفة اللغة العادية والظاهراتية اللغوية، ينظر:محمد رشوان فلسفة اللغة العادية، ص 28.

المحمول يقوم بوظيفة التّصور[1]، أي إسناد مجموعة من الخصائص الوصفيّة الوظيفيّة إلى اسم العلم في حين يشير اسم العلم إلى فرد معيّن، أو بعبارة أخرى فإنّ الوظيفة الأساسيّة لاسم العلم إشارته إلى فرد معيّن في مقابل الوظيفة الأساسيّة للمحمول، وتعني الدّلالة مجموع الخصائص، أو بعضها الّتي أفرزت –إن صحّ التّعبير– بزئبقيّة المعنى عند بحثها عن طبيعة هذا الأخير في كلام الرّجل .

تلك حقيقة يجب أن لا يغفلها كلّ من يروم الخوض في دراسة التّراث، ومفادها أنّه ميّز بين المعنى والمرجع أيضا، وذلك التّجديد اللّغويّ في الفلسفة ينمّ عن رؤيته الدّلاليّة، وهكذا أحدث قطيعة بين الفلسفة القديمة، والفلسفة الحديثة[2].

من أهم روادها الّذين يرجع إليهم الفضل في وضع أسسها، وإقامة دعائمها، وتطويرها: "جورج ادوارمو[3]Ge.Moore" و"برتراند راسل [4]B.Russell"و"لود فيج فتغنشتاين[5]L.Wittgmstein"

[1]– ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 27،28.

[2]– ينظر: المرجع نفسه: ص 29.

[3]–جورج ادوارمو Ge.Moore : فيلسوف انجليزي (1873–1958) كان صديقا لراسل وفتغنشتاين، وشارك في تأسيس الحركة التحليلية إضافة إلى دوره الطلائعي في تحديد الواقعية في بلده انجلترا، لكنه يرزح تحت وطأة المثالية الهيجلية له عدة أعمال فلسفية مهمة مثل: " دفاع عن الحس المشترك" و" مبادئ الأخلاق " ينظر: مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة ص 28 وما بعدها.

[4]– برتراند راسل B.Russell: (1872،1970)فيلسوف من رواد الفلسفة التحليلية، لم يكن فيلسوفا فحسب بل كان رياضيا، منطقيا وسياسيا وأدبيا ورجل تربية وإصلاح، ثار على الفلسفة المثالية مستخدما المنهج التحليلي الجديد، تتمثل مساهماته الأساسية في محاولته الجمع بين المنهج التجريبي والعقلي من جهة وكذلك محاولته تزويد الفلسفة بالمنهج العلمي، من كتبه " أصول الرياضيات" و"برنكيبا ماتيماتيكا"، ينظر المرجع نفسه ص 32، وما بعدها.

[5]–لودفيج فتغنشتاينL.Wittgmstein : منطقي نمساوي تحصل على الجنسية البريطانية(1889،1951) ، أستاذ الفلسفة في كمبريج، بحث في أسس الرياضيات، وبداية من سنة 1903 اتجه إلى دراسة اللغات الطبيعية، وضع نظرية لعبة اللغة(jeu de langage) ، من مصنفاته "Philosophical investigation" . ينظر المرجع نفسه، ص 38 وما بعدها.

هذا الأخير الّذي كان له الفضل، والدّور الفّعال في انبثاق ظاهرة الأفعال الكلاميّة، والّذي سار على درب "فريجه" منتقدا مبادئ (الوضعانيّة) المنطقيّة مؤسّسا اتّجاه جديداً سمّاه: "فلسفة اللّغة العاديّة" قوّامها الحديث عن طبيعة اللّغة، وطبيعة المعنى في كلام الرّجل- الإنسان - العادي فوصلت إلى نتيجة مفادها أنّ المعنى ليس ثابتاً، ولا محدّدا، ودعت بذلك إلى تفادي البحث في المعنى المنطقيّ الصّارم[1]؛وهكذا اتّخذت الفلسفة التّحليليّة اللّغة موضوعا للدّراسة باعتبارها الأداة المعرفيّة التي تستطيع بواسطتها فهم الكون فهما صحيحا ،ضاربة بذلك ما جاءت به الفلسفة الكلاسيكيّة خاصّة مبدأ اللّغات الطبيعيّة الّذي لم تلتفت إليه هذه الأخيرة، ولم تله ما يستحق من الدّراسة، والبحث، ونفس المبدأ الّذي اهتمّت به الفلسفة التّحليليّة يعدّ من صميم البحث التّداوليّ، فهي بذلك فلسفة تقوم على ثلاثة مبادئ :[2]

- ضرورة التّخلي عن أسلوب البحث الفلسفيّ القديم، خصوصا جانبه (الميتافيزيقيّ).

- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفيّ من موضوع " نظريّة المعرفة" إلى موضوع " التّحليل اللّغويّ".

- تحديد بعض المباحث اللغوية، وتعميقها، لاسيّما مبحث الدّلالة، والظّواهر اللّغويّة المتفرّعة عنه.

في حين قام "شوليموفسكي Sholimowisk " بتقديم بعض الخصائص المميّزة للفلسفة التّحليليّة. إذ يرى أنّها اسم يطلق على نوع من فلسفة القرن العشرين ،الّتي تتميّز بالخصائص التّالية[3].

[1]- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 29.

[2]- المرجع نفسه ص 31،32.

[3]- ينظر: محمد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، ص 13، 14.

*الاعتماد على دور اللّغة، واعتبارها دعامة أساسيّة في التّفكير الفلسفيّ.

*تفتيت المشكلات الفلسفيّة إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا.

*خاصيتها المعرفيّة.

*المعالجة المشتركة بين الذّوات أو (البين الذّاتية) Inter subjective لعمليّة التّحليل .

الملاحظ على الرّؤى النّقديّة المعاصرة أنّ الكثير من الفلسفات، والأنساق الفلسفيّة تنهض على تلك المقوّمات، والمرتكزات، ولكن المظهر الكفيل بزرع الحدّ الفارق بينها، وبين الأنواع الفلسفيّة الأخرى اجتماعها معاً في آن واحد داخل الفلسفة التّحليليّة [1].

انطلاقا من اختلاف وجهات النّظر بين الفلاسفة التّحليليّين، والأسس المعرفيّة المتّبعة، فقد انقسمت، وتشعّبت الفلسفة التّحليليّة إلى ثلاثة اتجاهات كبرى[2]:

1-الوضعانيّة المنطقيّة "Positivismelogique" : بزعامة (رودولف كارناب Rudolph Garnap)

2-الظاهرتيّة اللّغويّة "phénoménologie du langage:" بزعامة (هوسرل Edmond Husserl)

3-فلسفة اللّغة العاديّة: "philosophie du langage ordinaire" بزعامة (فيتغنشتاين Luducigwettgentein.

[1]- ينظر: المرجع السابق ص 28.

[2]- ينظر:مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 31،32.

والفرع الأخير أي " فلسفة اللّغة العاديّة " نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلاميّة الّتي تعتبر من أهم محاور الدّرس التّداوليّ المعاصر بحكم أنّها ظاهرة استمراريّة، وتطوير نظريّة الألعاب اللّغوية الّتي أسس لها الفيلسوف (فتغنشتاين)[1].

إنّ نظريّة ألعاب اللّغة حسب (فتغنشتاين) تنظر إلى الكلمة بوصفها إنتاج لعدّة معان وتأتي الإنتاجات المختلفة وفقا لاستخدامها المتغيّر لها في الحياة اليوميّة، باعتبار السّياق الّتي تردّ فيه، وبالتالي حطّم (فتغنشتاين) تلك الرّؤية الّتي كانت تعتبر أنّ اللّغة تخضع لحسابات منطقيّة دقيقة والّتي لطالما اعتبرت أنّ لكلّ كلمة في اللّغة معنى واحدا، محددا،[2]وعليه، فإنّ أيّة محاولة لفهم لفظ معيّن مرهون بإدراك، وفهم استعمالاته الفعليّة على الواقع، وكيفيات صيّاغته في سياقات مختلفة.

يبدو أنّ "فنغتشتاين" من خلال نظريّته "ألعاب اللّغة "خرق القواعد الّتي تضع الحدود والحوافر بين النّشاط اللّغويّ، والحياة اليّوميّة الاجتماعية الّتي تمارس فيها عمليّة التّواصل "فقد جعل من اللّغة مجموعة كلمات حاملة لعدّة معان تظهر من خلال استخداماتنا المتعدّدة وفق سياقات

[1]– يؤثر الكثير من الباحثين استخدام عبارة فتغنشتاين الأول والثاني، للتفريق بين مشروعه الأول والثاني، فإذا كان فتغنشتاين الأول يقول أن مهمة الفيلسوف ليست إقامة نظريات فلسفية وإنما مجردة توضيح منطقي للأفكار أو تحليل منطقي للقضايا ومن القضايا ما لا يصور الواقع مثل قضايا الرياضيات والمنطق وهذه القضايا " تحصيلات حاصل" ومن القضايا ما يصور الواقع وهي قضايا الحياة اليومية، وكانت مهمة الفيلسوف عنده في هذه المرحلة تحليل هذين النوعين من القضايا .أما الثاني: رفض هذه المهمة واستبدلها في مهمة جديدة تكمن في المعالج النسبية وذلك بعادة الفلاسفة إلى اللغة العادية و تركم أي محاولة لإقامة لغة مثالية أو استخدام مصطلحات اخترعها الفلاسفة.

[2]– ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة ،لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، دط،1985، ص 57.

محدّدة ترّد فيها "[1]، وذلك التّطور يفضي بنا إلى نظرة أكثر إنسانيّة يقول:" يمكننا اعتبار اللّغة مدنيّة قديمة: متاهة من الأزّقة، والسّاحات، والمنازل القديمة، والجديدة الّتي بها إضافات من أحقاب مختلفة، وكل هذا محاط بسلسلة من الضّواحي ذوات أزقّة مستوية و منتظمة بها منازل موحدة الشّكل"[2]

أجاد "فتجنشتاين" في دراسته؛ فجعل اللّغة المادّة الأساسيّة في فلسفته، واعتبرها "المفتاح السّحريّ الّذي يفتح مغاليق الفلسفة، ذلك أنّه كان يعتقد أنّ الخلافات، والتّناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسيّ سوء فهمهم اللّغة، أو إهمالهم إيّاها فراح يطوّر فلسفته الجديدة الّتي توصي بمراعاة الجانب الاستعماليّ في اللّغة "[3] ،ففهم اللّفظ، وإدراك معناه مرهون بإدراك استعمالاته الفعليّة، واستيعاب السّياق الّذي ورد فيه؛ إذن: الممارسة، والاستعمال هما اللّذان يكسبان تعليم اللّغة، واستخدامها، وتعدّ دعوة صريحة إلى التّحول من النّموذج البنيويّ إلى النّموذج التّداوليّ الاستعماليّ للّغة؛ وعليه يمكن القول:" لابدّ من تحديد الطّريقة الّتي يتمّ بها استخدام لغتنا في الواقع، والكيفيّة الّتي يتمّ بها من أجل حلّ تلك المشكلات الفلسفيّة، لأنّ وظيفة اللّغة الأساسيّة، المحوريّة التّواصل كما هو معلوم، بديهيّ إلى جانب التّفاهم مع الآخرين، والتّأثير فيهم ويمكن تلخيص موقع الاتّجاهات الثّلاثة من التّداوليّة، وموقفها منها في المخطّط الآتي:[4]

[1]- المرجع السابق: ص 57.

[2]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 21.

[3]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب،ص 34.

[4]- المرجع نفسه: ص 35.

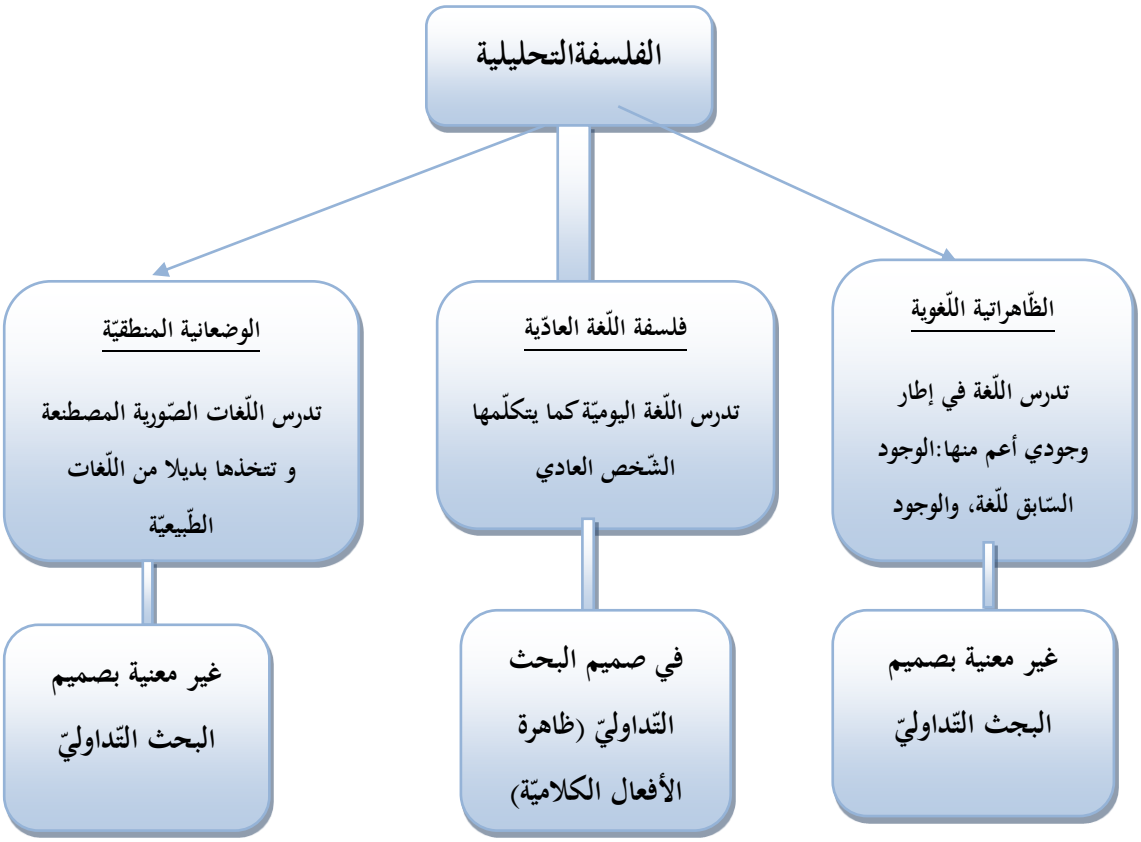

بناءً على ما تقدّم فإنّ ظاهرة الأفعال الكلاميّة نشأت في مناخ فكريّ عامّ، ميزته أنّه ولّ ظهره ل(ميتافيزيقيا)، وانفتح على اللّغة دراسة، وفهما، وتوضيحا، فأسهمت إسهاما معمّقا في دراسة ظواهر لغويّة، ودلاليّة، وتداوليّة كانت مهمّشة، أو مهملة، بالإضافة إلى هذا، فإنّ للمفاهيم التّداوليّة الأخرى أصولها المعرفيّة الخاصّة، ومنابعها الفكريّة الّتي أخرجتها إلى الوجود، وأعطتها شرعيّة الحياة.

3- محاور التّداوليّة:

لقد حجم جلّ الدّارسين عن إعطاء هذا التّخصّص تحديداً معيّنا، ذلك أنّه لا يستمدّ تسويغه إلاّ من خلال استخداماته، فضلا عن كونه يزجّ الباحث في إطار ضيّق، كما أنّ تعدّد توجّهات اللّسانيّات التّداوليّة حال دون إعطاء تحديد معين لمفاهيمها، غير أنّه –انطلاقا من

مفهومها- استطاع الباحثون أن يتناولوا بعض مفاهيمها، فهي لسانيّات الحوار، والأفعال الكلاميّة، والعلم الّذي يتناول اللّغة بوصفها ظاهرة خطابيّة، واجتماعيّة وتبليغيّة[1]؛ ونصدق القول هنا إنّنا سنتناول بعض مفاهيم التّداوليّة بشيء من الشّرح على سبيل المثال لا الحصر من الأفعال الكلاميّة، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواريّ، والاشاريّات .

3-1- الأفعال الكلاميّة "Les Actes de language"

انطلاقا من مفهوم التّداوليّة المبني على أساس أنّها نظريّة تبحث في علاقة العلامة بمستعمليها، والتّركيز على السّياق العرفيّ المؤسّساتي[2]، متجاوزة بذلك استعمال اللّغة إلى الإنجاز فإنّ الحديث عن التّداوليّة يحيل مباشرة إلى الحديث عن أفعال الكلام لأنّها تعكس لنا الجانب الماديّ للأعمال التّداوليّة .

جاءت نظريّة الأفعال الكلاميّة للفيلسوف (الإنجليزي جون أوستين) لتجسد موقفا مضادّا للاتّجاه السّائد بين فلاسفة (الوضعانيّة المنطقيّة) "logiqualpositivasm" الّذين دأبوا يعتبرون أنّ للّغة وظيفة واحدة تنحصر في رسم وقائع العالم "state of affaires "ووصفها وصفا يكون إمّا صادقا، أو كاذبا حيث أطلق (أوستين) بالمغالطة الوصفيّة "descriptivepallacy".[3]

[1]- ينظر :الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 43.

[2]- يعتبر مفهوم السّياق المؤسساتي النواة المركزية لهذه النظرية، ولكنه ظل مفهوما غائبا في نظر الكثير من الدارسين الذين لا يعرفون إلى أي مدى يعتبر قول الفعل، أو فعل قوة التلفظ مسألة عرفية وهل هي قصدية أو أنّها مرتبطة بإحداث أثر ما .ولهذا السبب طرح أوستين في كتابه :"كيف ننجز الأشياء بالكلمات "قائلا:" إنّه من الصعب أن تحدد أين يبدأ العرف وأين ينتهي".

[3]- ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34

كما يعدّ – الفعل الكلاميّ – نشاطا ماديّا، نحويّا، يتوسّل بأفعال قوليّة" Actes lecutoires" إلى تحقيق أغراض إنجازيّة" Actes illocutoireS" كالطّلب، والأمر، والوعد ،والوعيد... وغايات تأثيريّة "Actes peslocutoires" تخصّ ردود فعل المتلقّى كالرّفض، والقبول ،ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريّا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيّا، أو مؤسّساتيّا، ومن ثمّ إنجاز شيء ما [1].والرّسم الآتي يوضح ذلك:

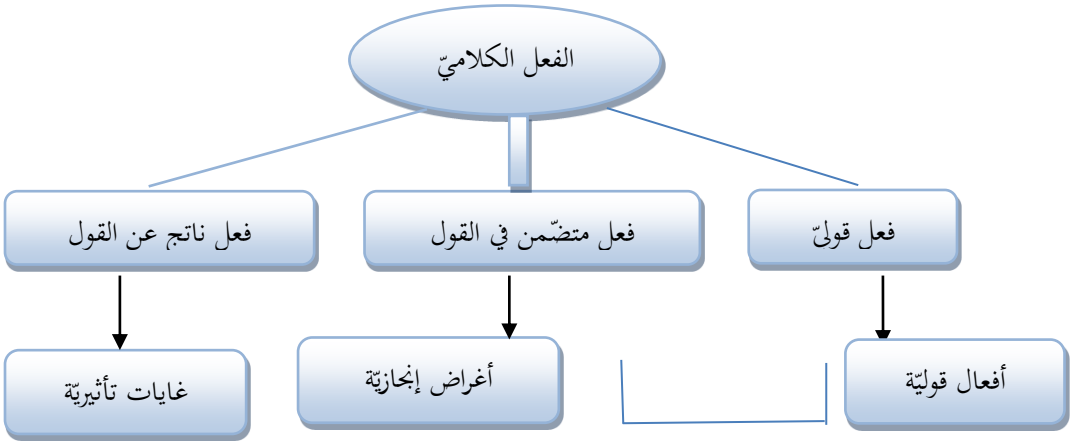

المرسل

وكان "أوستين" قد وضع ذلك عندما قسّم الفعل الكلاميّ إلى ثلاثة أقسام:

*فعل القول"Act elocutoire" :يراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحويّ، سليم وذات دلالة؛ [2]بمعنى أنّ فعل التّلفّظ تلك الأصوات الّتي يخرجها المتكلّم، والتي تمثّل قولا ذات معنى معيّن .

[1]– ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 54،55.

[2]– ينظر :المرجع نفسه : ص 56،57.

*الفعل المتضّمن في القول "Acteillocutoire": يعني الفعل الإنجازيّ الحقيقيّ إذ أنّه عمل ينجز بقول ما، وهذا الصّنف من الأفعال الكلاميّة المقصود من النّظريّة برّمتها.

*الفعل النّاتج عن القول"Acteperlocutoire": يقصد به الأثر الّذي يحدثه الفعل الإنجازيّ في السّامع[1]، أي مجموع المقاصد الّتي يحملها المتكلّم في بنية لغويّة من الكلمات، وفي سيّاق معيّن لإحداث أثر لدى المتلقّي كالإقناع، والتّأثير، وتتلخّص فكرته في أنّ وظيفة اللّغة استعمال مجموعة من الأفعال اللّغويّة وإنجازها، وبذلك تصير الوحدة اللّغويّة الصّغرى المعتمدة في التّواصل الفعليّ بدل الجملة.

3-2- الافتراض المسبق "Pré-supposition"

ينطلق المتحدّثون عند كلّ عمليّة من عمليّات التّبليغ من افتراضات مسبقة، معترف بها افتراضات لا يصرّح بها المتكلّمون؛ لأنّها تشكّل خلفيّة التّبليغ لنجاح العمليّة التّواصليّة[2]؛ فقولنا "أغلق النّافذة"، "لا تغلق النّافذة" يفترض سلفا أن نسلّم بصحّة أنّ النّافذة مفتوحة، وأنّ ثمّة مسوّغ يدفعنا لإغلاقها، وأنّ المخاطب في منزلة الأمر قادر على الحركة؛ وكلّ ذلك مرتبط بسّياق الحال، وعلاقة المتكلّم بالمخاطب.

[1]- ينظر :المرجع السابق : ص 56،57.

[2]-Oswald Ducrot ,le dire et le dit,Edition de minuit ,1984,p :33,43.

على هذا الأساس ميّز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة [1]:الافتراضات المسبقة الدّلاليّة الّتي تخضع لمعيار الصّدق بين قضيتين: فإذا كانت القضيّة (س) صادقة مثلا، استلزم صدق القضيّة (ص)؛ فمثلا قولنا: "إنّ المرأة الّتي تزوّجها (عمرو) كانت مطلّقة"، وكان القول صادقا، ومطابقا للواقع، لزم صدق القول الآخر، وهو: "(عمرو) تزوّج مطلقة". أمّا الافتراضات المسبقة التّداوليّة، فهي غير مشروطة بقضيّة الصّدق، والكذب؛ فإذا قلت مثلا: "جهاز الحاسوب لديّ غني بالمعلومات"، ثم قلت: "جهازي غير غني"؛ فعلى الرّغم من التّناقض الحاصل بين القولين، فإنّ الافتراض السّابق هو "أنّ لي جهاز حاسوب" لا يزال قولا قائما، صحيحا؛ وعليه يمكن القول إنّ الافتراض المسبق يؤدّي دورا مهمّا في عمليّة التّواصل، وهي محتواة ضمن السّيّاقات والبنى التّركيبيّة العامّة في أيّ عمليّة إنتاجيّة للكلام،وفي الصّدد نفسه تقول "أركيوني Orecchioni:" تلك المعلومات الّتي لم يفصح عنها، فإنّها- وبطريقة آلية – مدرجة في القول الّذي يتضمنها أصلا بغض النّظر عن خصوصيته"[2]. فنجاحها يتعلّق بوجود خلفيّة من الافتراضات المسبقة، في حين يؤدّي الافتقار إلى مجموع الافتراضات المسبقة الضّرورية لعمليّة التّبليغ إلى سوء التّفاهم .

[1]- ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص 34،35.

[2]- ينظر: ذهيبة حمو الحاج: لسانيات التلفظ، وتداولية الخطاب، الجزائر، جامعة تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات مخبر تحليل الخطاب،2005 ، ص 124.

مهما يكن من الأمر؛ فإنّ الافتراض المسبق إجراء معرفيّ تواصليّ، ينطلق فيه المتخاطبون على أساس معطيات، وافتراضات مسبقة أملا في تحقيق النّجاح للعمليّة التّخاطبيّة؛ وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ مفهوم الافتراض المسبق لم ينل حقّه نيلا مستقلاّ في الدّرس اللّغويّ العربيّ .

3-3- الاستلزام الحواريّ "Implication conversationnelle "

تعدّ نظريّة الاستلزام الحواريّ من أهمّ النّظريّات الّتي سعت إلى العمل من أجل الوصول إلى تحديد مقصديّة المتكلّم، وتأويل المعنى تأويلا صحيحا، ولإبعاد اللّبس عن الطرف الثّاني (المستمع أو المتلقّي) أسّس له "غرايس H.PGrice أحد المنظرين للتّداوليّة، ومن فلاسفة (أوكسفورد) المتخصّصين في دراسة اللّغات الطّبيعيّة" Natural language"، تتجلّى قيمته في إيضاح الاختلاف بين ما يقال" entre ce qui est dit "،وما يقصد" ce qui est implicite "فما يقال ما تعنيه الكلمات، والعبارات بقيّمها اللّفظية، وما يقصد ما يريد المتكلّم تبليغه المخاطب بطريقة غير مباشرة[1]، على أساس أن السّامع قادر على الوصول إلى مراد المتكلّم بما يسمح له من أعراف الاستعمال، ووسائل الاستدلال.

مثلت الآراء الدّاعيّة إلى ضرورة توسيع مجال الدّراسة اللّغوية، وتعميقه حججا قويّة، مقنعة مهّدت للتفريق بين ما تحمله الجملة من معنى متضمّن، وبين المعنى الصّريح؛ فنشأت عنده فكرة الاستلزام الحواريّ، وهو على نوعين[2]: استلزام عرفيّ، واستلزام حواريّ.

[1]- ينظر:محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص 32،33.

[2]- ينظر:المرجع نفسه: ص 33.

***الاستلزام العرفيّ "Conventional implicatur"**:

قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفكّ عنها مهما اختلفت بها السّيّاقات، وتغيّرت التّراكيب[1]؛ فما يعنيه المتكلّم، وما يقصده واحد لا يتغيّر، وإن تغيّرت السّيّاقات، والظّروف المحيطة بالعمليّة التلفّظيّة .

***الاستلزام الحواريّ "Conversational implicatur":**

مفهوم لسانيّ تداوليّ، "متغيّر دائما بتغيّر السّيّاقات الّتي يرد فيها " [2]؛ فقد يفهم المستمع ما يقصده المتكلّم، كما قد لا يتوصّل إلى ما يعنيه الباثّ لعدم الإلمام الشّامل بملابسات الخطاب والأسس الّتي تنظّم العلاقات الحواريّة بين المتكلّمين .

الحقيقة أنّ ظاهرة الاستلزام الحواريّ نجدها قريبة ممّا ورد في المؤلّفات اللّغويّة العربيّة القديمة، كما الحال في مفتاح العلوم لـ (السّكّاكي) الّذي يلتقي معه (غرايس) مثلا فيما يسمّيه البلاغيّون بإجراء المعنى على الأصل. من هنا بلور (غرايس) في بحثه الموسوم ب:(المنطق، والمحادثة، سنة 1970) مبدأ اعتبره متحكّما في المحادثة، أسماه مبدأ التّعاون بين المتكلّم، والمخاطب؛ ويشتمل على أربع مسلّمات أساسيّة يتعيّن على المشاركين في المحادثة احترامها، وحسن توظيفها ؛تضمّ كل مسلّمة عددا من المبادئ الفرعيّة[3]:

[1]- المرجع السابق: ص 33.

[2]-المرجع نفسه: ص 33.

[3]- ينظر :مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 46.

1 - مسلمّة الكيف "Qualité": مفادها أن لا تقول ما تعتقد أنّه خطأ، ولا تتحدث عن شيء لا تملك بشأنّه دليلا كافيا .

2-مسلمّة الكمّ "Quantité": أن تجعل مساهمتك في الحوار بالقدر المطلوب دون زيادة، أو نقصان .

3- مسلمّة الملائمة "Pertinence" :عبارة عن قاعدة واحدة متمثّلة في أن تجعل كلامك مناسبا للموضوع .

4-مسلّمة الجهة[1] Modalite": تنصّ على الوضوح في الكلام، وتتفرّع إلى ثلاث قواعد فرعية:

- تجنّب اللّبس.
- تحرّ الإيجاز .
- تحرّ الترتيب .

بهذه المبادئ يتحقق التّعاون بين المتكلّم، والمخاطب وصولا إلى حوار مثمر، بنّاء، وأيّ خرق لقاعدة من قواعد التّعاون الحواريّ الرئيسيّة كفيل من وجهة (غرايس) أن يؤدّي إلى ما يعرف بظاهرة الاستلزام الحواريّ .

[1]- ينظر :المرجع السابق ص 46.

المسألة أنّ نظريّة الاستلزام الحواريّ عند (غرايس) تنبني على أساس مبدأ التّعاون[1]، وقواعده الأربعة، وتفريعاته الّتي تهدف بالأساس إلى إيجاد الطّريقة، والوسيلة الفعّالة الّتي يستطيع بها طرف العمليّة التّواصليّة إيصال المعاني المقصودة، وإدراكها من لدن المتلقّي، أو المستمع من خلال العبارات المستعملة أثناء العمليّة التّخاطبيّة بغية الإفادة، والتبليغ، الأمر الّذي حدا ببعض الباحثين إلى إعادة النّظر في المبدأ، وذلك بإرساء بعض القواعد الإجرائيّة، والتّنظيريّة .

3-4- الإشاريّات "Deictique":

يعتبر أهل التّداوليّة الاشاريّات أحد الأقطاب المهمّة في البحث التّداوليّ، إذ تعدّ من الوحدات اللّغويّة الّتي تستدعي معلومات سيّاقيّة أكثر من غيرها ليسّير فهمها، ولا يمكن تفسيرها بمعزل عنه لذلك فقد كان العرب يطلقون عليها المبهمات[2]؛ وتتمثل الاشاريّات في: أسماء الإشارة والضمائر، وأسماء الموصول، وظروف الزمان، والمكان، ويعدّ (السّيميائيّ) "بيرس" أوّل من أرسى معالمها[3].

[1]-يعرف بول غرايس مبدأ التعاون على النحو الآتي :"أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب ،وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه "،ج.ب براون، و.ج.يول :تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق :محمد لطفي الزليطي ،منير التركي ،دار النشر والمطابع، الرّياض 1997،ص40.

[2]-ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15،16.

[3]-ينظر: المرجع نفسه: ص 16.

للاشاريّات في الدّراسة اللّغويّة أهميّة بالغة عند عدد من الباحثين أمثال "هانسون" و"بارهيل" و"بول كوشي" الّذين أدمجوها ضمن تداوليّة الدّرجة الأولى المتمثّلة في النّظريّة التّلفّظيّة[1]، وتقوم على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللّغويّ الّتي يجعلها الدّارسون خمسة أنواع ،ولكل نوع دوره في الكلام[2].

1- الإشاريّات الشّخصيّة "personal Deictics ": تشمل جميع ضمائر المتكلّم، أو المخاطب وضمير الغائب، شريطة أن لا يعرف مرجعه من السّياق اللّغويّ.

2- الإشاريّات الزّمانيّة " Temporal Deictics ": تعني جلّ الكلمات الدّالة على الزّمان الّذي يحدّد السّيّاق، بالقياس إلى زمان التّكلّم الّذي يعتبر مركز الإشارة الزّمانيّة في الكلام، ويساهم في إدراك السّامع، أو القارئ لمعنى تلك الإشاريّات.

3- الإشاريّات المكانيّة "Spatial Deictics ": تشمل جميع أسماء الإشارة، وظروف المكان ،ولا يتمّ تحديد المكان الّذي تدلّ عليه إلا بمعرفة موقع المتكلّم، واتّجاهه[3].

4- الإشاريّات الاجتماعيّة "Social Deictics ": تتضمّن ألفاظا، وتراكيب تحيلنا إلى بيان العلاقات الاجتماعيّة بين المتكلّم، والمخاطب كصيغ الألقاب، والتّبجيل، أو ما يعرف بالعلاقات الرّسميّة، وهذه الإشاريّات مشتركة بين التّداوليّة، وعلم اللّغة الاجتماعيّ.

---

[1]- ينظر: فراستواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 41،42.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص17-وما بعدها

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 15،16..

5- إشاريّات الخطاب "Discouse Deicties": تتمثّل في العبارات الّتي تذكر في النّصّ مشيرة إلى موقف خاصّ بالمتكلّم مثل: مهما يكن من آخر، بل فعلا عن ذلك...، كما أنّها تستعير إشاريّات زمنيّة، ومكانيّة كقولنا: "الفصل الماضي من الكتّاب، الرّأي السّابق، أو هذا النّصّ، أو تلك القصّة، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من هذا الصّنف (الإشاريّات)[1].

للإشاريّات وظيفة مهمّة تكمن في مساعدة المتلقّي على معالجة الملفوظات، وتأويلها تأويلا صحيحا، أي بواسطتها يستطيع الوصول إلى التّفسير الصّحيح على أساس أنّ الكثير من "ألفاظ اللّغة ما لا يفسر إلاّ بمعرفة السّيّاق الماديّ للمتكلّم"[2]؛كما تظهر الأهميّة البالغة للإشاريّات من خلال الحكم على تماسك الخطاب من عدمه، وفي إدراك المتلقّي معنى الخطاب حتّى يغدو كتلة متراصّة لا تقبل الإنقسام، والتّجزئة .

5-3- نظريّة الملاءمة "Theorie de la pertinence":

تعدّ نظريّة الملاءمة[3] نظريّة تداوليّة معرفيّة، أرسى معالمها الباحث الفرنسيّ "دان سبربرD.sperb"، والبريطاني "ديردر ولسن D.wilson[4]". تهتم بمقولة المقام حيث تقوم بتفسير الظّواهر الكلاميّة، وسماتها البنيويّة في طبقاتها المقاميّة، فقد "استفادت النّظريّةَ القالبيّةَ خاصّة فيما

[1]- ينظر: المرجع السابق :ص 25،26.

[2] - جورج بول:معرفة اللغة، تر:محمد فراج عبد الحافظ، مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص137.

[3]- تعد نظرية الملاءمة نظرية إدراكية لاستفادتها من علم النفس المعرفي ،خاصة النظرية القالبية، modularité لفودور:ينظر: مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب :ص 37.

[4]- ينظر: المرجع نفسه: ص49.

يتعلّق برصد وقائع الحياة الذّهنيّة، وتفسير طرق المعالجة الإخبارية "[1]. اشتغال العقل البشريّ –كما يرى "فودرو"[2]– عمل ممنهج ذو طبيعة منظّمة، إذ يتمّ فيه معالجة المعلومة الصّادرة من المتكلّم عبر مراحل متلاحقة: مرحلة اللّواقط، ومرحلة الأنظمة الدّخل، والأنظمة المركزيّة .

لعل أهمّ ميزة تميّزت بها نظريّة الملاءمة تصوّرها الخاصّ مفهوم السّيّاق، فهي تنظر إليه على أنّه" شيء غير معطى إعطاء نهائيا، أو محدّد قبل عمليّة الفهم، وإنّما يبنى تبعا لتوالي الأقوال"[3]. أي لا وجود للسّيّاق قبل العمليّة الحواريّة المتكوّنة من متحدّث، ومتلق يحاول تأويل هذه الأقوال تأويلا صحيحا، كما تعدّ في الوقت نفسه – نظريّة الملاءمة – نظريّة إدراكيّة لأنّها تنتمي إلى العلوم المعرفيّة، الإدراكيّة . يتألّف السّيّاق من زمرة من "الافتراضات السّيّاقيّة "تستمدّ من مصادر ثلاثة تتمثّل في:[4] تأويل الأقوال السّابقة، والمحيط الفيزيائيّ، وذاكرة النّظام المركزيّ .

في ضوء ما سبق تقديمه تبيّن لنا أنّ التّداوليّة تنطوي على قدر كبير، هائل من المحاور والمفاهيم، ولا ندّعي أنّنا تعرّضنا في السّطور السّابقة إلى كلّ صغيرة، وكبيرة تعلّقت بجوانب الدّرس اللّغويّ المعاصر، بل هناك الكثير من النّظريّات، والمفاهيم الّتي حضنتها التّداوليّة، وتبنّتها باليسير وفقا في تعاملها مع اللّغة كالنّظريّة التّلفّظيّة، والنّظريّة الحجاجيّة؛ ويعود ذلك إلى طبيعة البحث وحدوده الّتي فرضت علينا التّعرّض للجزء اليسير من جوانب الدّرس التّداوليّ.

---

[1]– المرجع السابق : ص 50.

[2]–جيري فودورJerry Afodor:فيلسوف وعالم نفس أمريكي، (ولد سنة 1935)،باحث في مخبر متخصص في الالكترونيات ،يدرس الفلسفة وعلم النفس منذ سنة 1963في معهد ساشوستس للتكنولوجيا mit من الذين أوجدوا مفهوم المنظومية الذي كان شائعا في الدراسات اللسانية النفسية ، وقد أعطاه صيغة جديدة في كتابه modularityOF Mind (83) ينظر آن روبول .جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ،ص 245،246.

[3]– ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص 52.

[4]– المرجع نفسه :ص 52،53.

يقول الجاحظ:

«لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ،ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك »

[أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) ج 01، ص17]

الفصـل الأوّل

نظريّة الأفعال الكلاميّة بين التّأسيس والتّأصيل

المبحث الأوّل: الأفعال الكلاميّة عند التّراثيّين اللّسانيّين العرب

المبحث الثاني: الأفعال الكلاميّة عند اللّغويّين المعاصرين

المبحث الأوّل: الأفعال الكلاميّة عند التّراثيّين اللّسانيّين العرب

1-معايير التّمييز بين الخبر والإنشاء عند العلماء العرب

1-1- الخبـر

1-2- الإنشـاء

توطـــئة:

اهتمّت الدّراسات اللّغوية في التّراث اللّسانيّ العربيّ ببعض الجوانب الّتي تعدّ اليوم من أهمّ الأسس الّتي تأسّست عليها اللّسانيّات التّداوليّة بحيث اشتغل العرب القدامى بدراسة كل ما له صلة بالتّواصل اللّغويّ من الاهتمام بالسّامع، واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلّم في إنتاج الخطاب، وقد عني هؤلاء بمعيار الصّدق، والكذب، ومطابقة الكلام لمقتضى الظّاهر أو مخالفته له[1].ضمن هذا الإطار تعدّدت أشكال الاهتمام بظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث العربيّ اللّسانيّ، فأدرجت في مباحث علم المعاني، وتحديدا ضمن نظريّة الخبر والإنشاء، وما يتعلّق بها من قضايا، وفروع، وتطبيقات.

لا مندوحة أنّ ظاهرة الخبر، والإنشاء في التّراث العربيّ كانت حقلا مشتركا بين تخصّصات علميّة متعدّدة، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة، والبلاغيّون والنّحاة والأصوليّون على اختلاف مذاهبهم، واتّجاهاتهم الفكريّة أمثال: "سيبويه (ت180هـ)"، و"القاضي عبد الجبّار (ت415هـ)" و"أبو علي ابن سينا (ت428هـ)" و"عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)" و"أبو يعقوب السّكّاكي(ت626هـ)"...وغيرهم. هؤلاء العلماء- وإن تعدّدت تخصّصاتهم العلميّة، وتباينت آراؤهم في كثير من أصول الظّاهرة، أو فروعها، أو تطبيقاتها- فإنّهم يلتقون على صعيد إجرائيّ مهمّ، ولاسيّما المتأخّرين منهم، وهو أنّهم توغّلوا في استعمال أدوات التّحليل المنطقيّة، وهي على

[1]-ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 76.

قدر كبير من الدّقة، والتّجديد حتى صار من المستعصي على من لم يتمرّس بتلك الأدوات أن يتابعهم في جلّ ما كتبوه إلّا بصعوبة وإعنات[1].

إنّ دراسة أولئك العلماء ظاهرةَ الخبر، والإنشاء مقتصرة على التّراكيب الدّالة المفيدة دون غيرها، وإيضاحا للأصل بيّن (السّكاكي) أنّ موضوع علم المعاني:" تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان، وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بخواص التّراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التّركيب جاريا مجرى اللاّزم له، وأعني بالفهم: فهم ذي الفطرة السّليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: إنّ زيدا منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودا به نفي الشّكّ، أو رد الإنكار، أو من تركيب: زيد منطلق من أن يلزم مجرّد القصد إلى الإخبار، أو من نحو: منطلق بترك المسند إليه من أنّه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة ممّا يلوح بها مقامها"[2].

الخطاب في نظر (السّكّاكي) تركيبة لغويّة لها علاقة وطيدة بالمعنى، الأمر الّذي يستدعيه إلى ربط قصد المتكلّم بشكل اللّغة الدّال عليه انطلاقا من افتراض عامّ؛ إنّ لكل معنى نمطا لغويّا يحيل عليه وفق مواضعة اللّغة، وبناءً عليه يتجلّى لنا التّفريق بين المعنى الّذي يدلّ عليه الخطاب مباشرا والمعنى الخفيّ للمتكلّم في الخطاب أي المعنى الّذي يستلزمه.

[1]- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 75،76.

[2]- أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ،2000،ص 247،248.

في الواقع إنّ الفكرة الّتي يحملها (السّكاكي) تنبؤنا بمدى وجود آليات ذهنيّة تتدخّل للخروج عن معنى اللّغة الحقيقيّ، ثم تأويل الخطاب مع وجود قرائن دالّة على ترجيح قصد دون آخر سواء في إنتاج الخطاب، أو تأويله، ذلك أنّ (السّكاكي) ينطلق من اعتقاد مفاده أنّ الخطاب يمكن أن يأخذ وضعه الحرفيّ الحقيقيّ فيتضّح فيه القصد مباشرة دون عمليّات ذهنيّة للاستدلال عليه.

هذا التّمرد الواضح على جبريّة علم المعاني ؛يفسر لنا حرص (السّكاكي) على أنّ التركيب يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرّد فيه علم المعانيّ؛ فهو يركز على التّراكيب الدّالة، أي الّتي لها دلالات مباشرة (حرفيّة)، أو غير مباشرة (ضمنيّة)، تفهم منها، أو ملازمة لها، وكلّها تفهم من المقام بحسب مقصد المتكلّم، وهو ما تقوم عليه الدّراسات التّداوليّة الحديثة "القصد والإفادة". وبالتّالي تصبح العلاقة فيما بينهما علاقة لازم بملزوم، أو ملزوم بلازم [1].

من بين الدّراسات ذات الطّابع البلاغيّ – أيضا– ما بلوره الخطيب (القزوينيّ) في دراسته على أساس أنّ اللّغة دليل على تحقّق الكفاءة الخطابيّة الّتي يعتمدها المتكلّم في بلورة خطابه ولظاهرة الخبر، والإنشاء بالتّحديد على مطابقة المقال Formeالمقام Situationالّذي يرّد فيه

[1] – ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص77. وينظر : حلوفى قدور :الجهاز المفاهيمي ، المصطلحاتي للدرس التداولي المعاصر :نظرية الأفعال الكلامية أنموذجا ،قسم اللغة العربية و أدابها ،2008- 2009،رسالة ماجستير مخطوط، تحت إشراف لزعر مختار، ص 134.

مراعاة مقتضى الحال، ويُعرف علم المعانيّ: "بأنّه علم يعرف به أحوال اللّفظ الّتي بها يطابق مقتضى الحال"[1].

1- معايير التّمييز بين الخبر، والإنشاء عند العلماء العرب:

لقد توصّل العلماء العرب إلى وضع معايير علميّة متفاوتة الدّقّة، مختلفة في الهويّة المعرفيّة للتّمييز بين الخبر، والإنشاء، فكانت دراساتهم ثرّية بالأفكار، والرّؤى، والمناهج، ولا سيّما الأدوات المعتمدة في التّمييز بين الأسلوبين، فتعدّدت التّقسيمات، واختلفت الآراء بين بلاغيّة، وتداوليّة ؛وتجلّى وجه الاختلاف بالتّحديد في عدم اتّفاق العلماء على مصطلح الإنشاء الّذي لا نجد له ذكرا إلاّ إذا استثنينا قلّة نادرة منهم أمثال: "الشّيخ نجم الدّين الكاتبي القزويني (ت 493هـ)" ويعتبر أوّل من استعمله استعمالا اصطلاحيّا مدقّقا، وبعدها "قطب الدّين محمود الرّازي (ت766هـ)" ثمّ "محمد عليّ الجرجاني (ت729هـ)" وبعض النّحاة المتأخّرين. نثبت هنا نصّا يشرح فيه الباحث مسعود صحراوي[2] تعليقه على القضيّة قائلا:" تتميّز المرحلة التّأسيسيّة الثّانية من عمر علم المعاني العربيّ حتّى وفاة "السّكاكي سنة (626هـ)" بعدم اتّفاق العلماء العرب على مصطلح الإنشاء الّذي هو أحد قسمي الأسلوبين الأساسيّين، فلا نجد له ذكرا عند الإمام "القاهر الجرجاني

[1]- الخطيب القز ويني :الإيضاح في علوم البلاغة: تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، لبنان، بيروت، دار الجيل، ط 3،1993،ج1،ص 52.

[2]- الدكتور مسعود صحراوي: أستاذ علم اللغة بجامعة الأغواط (الجزائر)، من مؤلفاته: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

(ت471 هـ)"، ولا عند خلفه "أبي يعقوب السّكاكي"، ولا عند الفلاسفة الّذين ساهموا بقسط وافر في التقسيمات البلاغيّة، ولا سّيما في موضوع التّمييز بين الخبر، والإنشاء ك"الفارابي" ،و"ابن سينا" ممّا يدل على عدم شيوع هذا المصطلح في تلك الفترة خصوصا بين البلاغيّين".[1]

مصطلح الإنشاء كان غائبًا غيابًا شبه تامّ من مؤلفاتهم بالإضافة إلى هذا فقد، وجدناه حتّى بعد استعمالهم له، وشيوعه بين العلماء في مرحلة لاحقة، فإنّه لم يكن له مفهوم موحّد عندهم، وهو نفسه ما صرّح به "رضي الدّين الإستراباذي" حين قال:" إنّ الجملة غير الخبريّة إمّا إنشائيّة نحو:(بعت، وطلقت)، أو طلبيّة كالأمر والنّهي والاستفهام والتّمنّي"[2]، فقد جعل الإنشاء قسيما للطّلب، وقرينا له في مخالفتهما للخبر، وجعل له حيّزاً كلاميّاً يشمل ما يعرف بألفاظ العقود مثل:(بعت، وطلّقت)،أو الإيقاعيّات باصطلاح المعاصرين .

سنحاول فيما يلي ضبط بعض الآليّات الّتي بواسطتها يتمّ تحديد المعنى المقصود للخطاب إمّا في الدّرس البلاغيّ العربيّ القديم، أو في منظومة البحث اللّساني الغربيّ المعاصر؛ مبيّنين كيف يمكن المتلقّي أن يمرّ عبر مراحل ليصل إلى قصد المتكلّم، ذلك بعد إدراكه أنّ للفعل الكلاميّ قوة إنجازيّة حرفيّة هي الأولى، وقوّة ثانية قوّة إنجازيّة مستلزمة، ولكن قد تكون هذه القوّة في بعض السّيّاقات هي القوّة الأولى[3] . وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى استحضار المرتكز الّذي قام عليه البلاغيّون العرب، ووافقهم فيه بعض فلاسفة اللّغة العاديّة، للتّمييز بين المعنى الحرفيّ الصّريح

[1]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص 79،80.

[2]- المرجع نفسه :ص 81.

[3] -CF-Searle,Sens et Expression ,p40,41.

والمعنى الضّمنيّ المستلزم من خلال ما ورد عند "ابن فارس"، و"أبو يعقوب السّكاكي"؛ على أساس أنّهما واضعا اللّمسات الأولى للبلاغة من جهة، ومن جهة أخرى البلاغة تعدّ الميدان الفسيح، والخصب لمعالجة ظاهرة المعنى، وغيرها من العلوم اللّغويّة، والأدبيّة .

1-1-المعنى عند ابن فارس[1]:

يكشف ابن فارس في كتابه :"الصّاحبي في فقه اللّغة "أنّ الكلام ينقسم إلى معانٍ كثيرة ويحصرها في عشرة: "خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيض، وتمنٍّ وتعجّب"[2]، والخبر حسبه: "ما جاز تصديق قائله، أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماض من زمان، أو مستقبل، أو دائم نحو:(قام زيد)، و(يقوم زيد)، وقائم زيد، فيكون واجبا، وجائزا وممتنا"[3]؛ وتتلخّص فكرته في أنّ الخطاب لا يمكن أن ندرك مقاصده، وأهدافه دائما على الحقيقة أي أنّ المعنى الظّاهر الّذي يدلّ عليه الخطاب ليس دائما المعنى الوارد، فالمعنى الّذي يتوصّل إليه بإعمال الفكر هو ما يسمّيه التّداوليّون في البحث الحديث بالمعنى المستلزم، أو ما يطلق عليه "غرايس و سيرل" بمعنى المتكلّم؛ وفي إطار تلك الصّبغة الجديدة التي صبغت مباحث الخبر، راح يضع الاستخبار مقابل الاستفهام، ويعني طلب معرفة أمر مجهول عند السّامع (المتلقّي) فيقول في

[1]- هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي، ولد بقزوين، توفي في الري سنة:395هـ 1005م،من مؤلفاته: غريب إعراب القرآن،الصاحبي في فقه اللغة، سيرة النبي (ص)...ينظر: أحمد بن فارس الصاحبي في فقه اللغة، ص 6،7.

[2]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: تح:أحمد حسن بسج، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية (2007م ،1428هـ)، ط2،ص 133.

[3]- المصدر نفسه : ص 133.

السّيّاق نفسه:" إنّ الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام"، وذكر ناس أنّ بين الاستخبار، والاستفهام أدنى فرق قالوا: "ذلك أنّ أولى الحالين الاستخبار لأنّك تستخبر فتجاب بشيء" فربّما فهمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً، فأنت مستفهم تقول :"أفهمني ما قلته لي" قالوا: "والدّليل على ذلك أنّ الباري- جلّ ثناؤه- يوصف بالخبر، ولا يوصف بالفهم"[1] فمن خلال تأمّلنا النّصَّ نلحظ أنّ فكرة تحقيق الاستخبار لا تكون إلاّ إذا كان ظاهره موافقا لباطنه، كسؤالك عمّا لا تعلمه فتقول: "ما عندك ؟ومن رأيت؟" وهي من الأولويّات الّتي لا يجب التّغاضي عنها؛ ولعلّ الأمر الجوهريّ، والهدف المحوريّ الّذي ينتج عن تلك المطابقة يكمن في تحقيق الفهم و الإفهام .

1- 2-المعنى عند السّكاكي:

يعد "السّكاكي" من أبرز العلماء الّذين تناولوا بشيء من التّحليل، والدّراسة ظاهرة تجاوز الأفعال الكلاميّة من معناها الحرفيّ إلى معناها المجازي السّياقي؛ فقسم الكلام إلى قسمين، وسمّي كل قسم بالقانون فكان القسم الأوّل قانون الخبر، والقسم الثّاني قانون الطّلب، والخبر عنده ما يحتمل الصّدق، والكذب؛ ويرجع ذلك إلى: "إمكان تحقّق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث إنّه حكم مخبر، ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا (فائدة الخبر) كقولك: زيدٌ عالمٌ"[2]. إذا طابق الخبر الواقع، فهو صادق، وإذا لم يطابقه

[1]- المصدر السابق: ص 134.

[2]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 254.

فهو كاذب، ولعلّ أوجز تعريف نخلص إليه أنّ الخبر يعني الكلام الّذي يمكننا أن نحكم عليه بالصّدق، أو الكذب، وتكمن أهميّته في العمليّة التّواصليّة؛ أمّا الفعل الكلاميّ قد يتأسّس بمجرد التّلفظ به كونه يخلق قاعدة بين المتخاطبين.

من بين الومضات التّداوليّة الّتي نلفيها تفرض نفسها بقوّة؛ تقسيمه للطلب إلى نوعين:يتمثّل النّوع الأوّل في التّمنيّ، أمّا النّوع الثّاني فيشتمل على الاستفهام، والأمر، والنّهي، والنّداء ؛ويندرج تحت ما يسمّى بالتّصور[1]؛ الّذي تتولّد عنه معان حرفيّة أصليّة إذا أجراها المتكلّم بشروطها في سيّاقات مناسبة، أمّا إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على أصلها؛ فإنّه يتولّد منها ما يناسب المقام، ويستند "السّكاكي" إلى بعض الأمثلة الّتي يصف من خلالها طريقة توليد التّمنّي من الاستفهام، وكلّ ذلك بمعونة ما يسميه بقرائن الأحوال بحيث يقول: "إذا قلت: هل لي من شفيع في مقام لا يسع إمكان التّصديق بوجود الشّفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التّمنّي "[2]. ويذكر "تاج الدّين السّبكي" أنّ ابن مالك قد جعل الكلام "خبرا،وطلبا، وذكر أنّ من العلماء من يربع الأقسام فيقول: خبر واستخبار، وطلب، وإنشاء بناءً على التّصديق، والتّكذيب"[3].

[1]- المصدر السابق :ص 415.

[2]- ينظر:أبو يعقوب السكاكي :مفتاح العلوم: ص 416:.

[3]- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة ،دط ، 1948 ص 173.

وما يعزّز قولنا ما أشار إليه "السّكاكي" في قوله: "وإذا عرفت أنّ إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلاّ في الدّلالات العقليّة وهي :الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أنّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني "[1].

الجميل في طرح "السّكاكي" أنّه كان على وعي كبير بأنّ معنى التّكلم الّذي تعبر عنه الأفعال من مثل: الاّستفهام، والأمر، والنّهي يحدّد المنهج الذي يعتمده في إنتاج الخطاب، وبتغيير سيّاق الحال يتغير تعبيره عن المعنى قوّة، وضعفا، فقد يكون الأمر دعاء من الأدنى مرتبة إلى الأعلى مرتبة؛ وقد يكون التماسا بين متساويين في المرتبة، وقد يكون على وجه الاستعلاء.

أمام العتبات المنهجيّة، الموجزة الخاصّة بتصوّر "السّكاكي"؛ نخلص إلى أنّه ثمّة آليات ذهنيّة تتدخّل للخروج عن معنى اللّغة الحقيقيّ، ثمّ تأويل الخطاب مع وجود قرائن دالّة على اختيار معنى دون آخر، سواء في إنتاج الخطاب، أو في تأويله .

لا مندوحة القول: إنّ تصوّرات العلماء، وآراءهم في التّمييز بين الخبر، والإنشاء مختلفة فلم يكتف الدّارسون العرب بتقسيم العلوم إلى الخبر، والإنشاء، بل توغّلوا في دراسة تلك المعاني مراعين في ذلك المقامات المختلفة الّتي ترد فيها المعاني، بل أكثر من ذلك ذهبوا إلى التّمييز بين الجمل من حيث قوتها (شدّتها)، وضعفها، وما ينتج عنها من معان مختلفة، وهذا ما يقابل مفهوم القوّة الإنجازية في اعتقاد التّداوليّين المعاصرين الغرب، وأبسط ما يمكن قوله:إنّ الأبحاث والدّراسات

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم :ص 438.

العربيّة تميزت بوجهة نظر ذات بعد تداوليّ خلال دراستها، وتعاملها مع اللّغة ؛واستجابة للمطلب سنحاول توضيح التّفاصيل التي يتداخل فيها الدّرس التّداوليّ العربيّ مع الدّرس التّداوليّ الغربيّ في العناصر الآتيّة من الفصل.

2-الخبر:

إنّ آخر ما استقرّت عليه البلاغة العربيّة في مراحل نضجها ذلك التّصور الّذي يميّز بين الأسلوبين بمعيار القصد، ومعيار إيجاد النّسبة الخارجيّة، وقد تمخّض عن هذين المعيارين خصوصا تعريف دقيق للخبر، والإنشاء، فكان لهؤلاء العلماء الأجلاء ملحظ تداوليّ في تحديد قيمتي الصّدق، والكذب، وفي التّمييز بين الخبر، والإنشاء.

نعتقد أنّ جلّ العلماء، والباحثين يتّفق على أنّ الخبر ما يحتمل الصّدق، والكذب مراعين في ذلك قصد المخبر، واعتقاده، فإذا كانت نسبة الخبر الكلاميّة مطابقة لنسبته الخارجيّة مع اعتقاد المخبر بمطابقتها للواقع، فالكلام صادق؛ وإذا كانت نسبته الكلاميّة غير مطابقة لنسبته الخارجيّة بدون اعتقاد المخبر بمطابقتها للواقع، فالكلام كاذب[1]؛ ولعلّنا نلحظ أنّ ما ذكروه من تحديد للخبر ملتبس، وغير دقيق؛ فالأخبار المستقبلة كلّها ليس لها واقع تطابقه، أو لا تطابقه سواء كانت مصدّرة بدليل استقبال كـ (السّين، وسوف، وغيرها)، أو لم تكن مصدّرة بدليل استقبال؛ وليس من شكّ في أنّ كثيرا من الأخبار لا تقبل الكذب كالأخبار الواردة في القرآن الكريم؛ ويتجلّى ذلك في أنّ ثمّة بعض الفروق الّتي يمكن الباحث أن يلتمسها ضمن تعامله مع الأسلوبين، فالخبر يقبل

[1]- ينظر:مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص 129.

الحكم عليه بالثّبوت، أو النّفي بخلاف الإنشاء الّذي يحاول إيجاد مدلول خارجيّ يتطابق مع لفظه، وما يعزّز قولنا ما ذهب إليه "الخطيب القزويني":"... والفارق بين الخبر، والإنشاء قصد المطابقة، أو قصد عدمها في الخبر، والإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة، ولا لعدمها"[1]، وكثيرا ما عمد :"القزويني" إلى التّفريق بين الخبر، والإنشاء، ففي معرض آخر له يقول:" (وعبد الحكيم) وغيره يقولون: الإنشاء لا خارج له، إذ لو كان له خارج لكان خبرا يتصوّر فيه الصّدق، والكذب اللّذان هما من لوازم الخارجيّة، واللاّزم باطل فبطل الملزوم"[2]؛ وتبدو هذه الأمثلة السّاخرة بالنّسبة إلينا؛ وكأنّها فعل تصوير حقيقيّ لعمل الإنشاء، وهكذا نكون مدعوين إلى نفي وجود نسبة خارجيّة للإنشاء، وإلاّ فسيصبح خبرا بمجرد تطابقها، أو عدم تطابقها مع النّسبة الكلاميّة.

يمكن تلخيص ما جاء في هذا الاتّجاه بالمخطط الآتي:

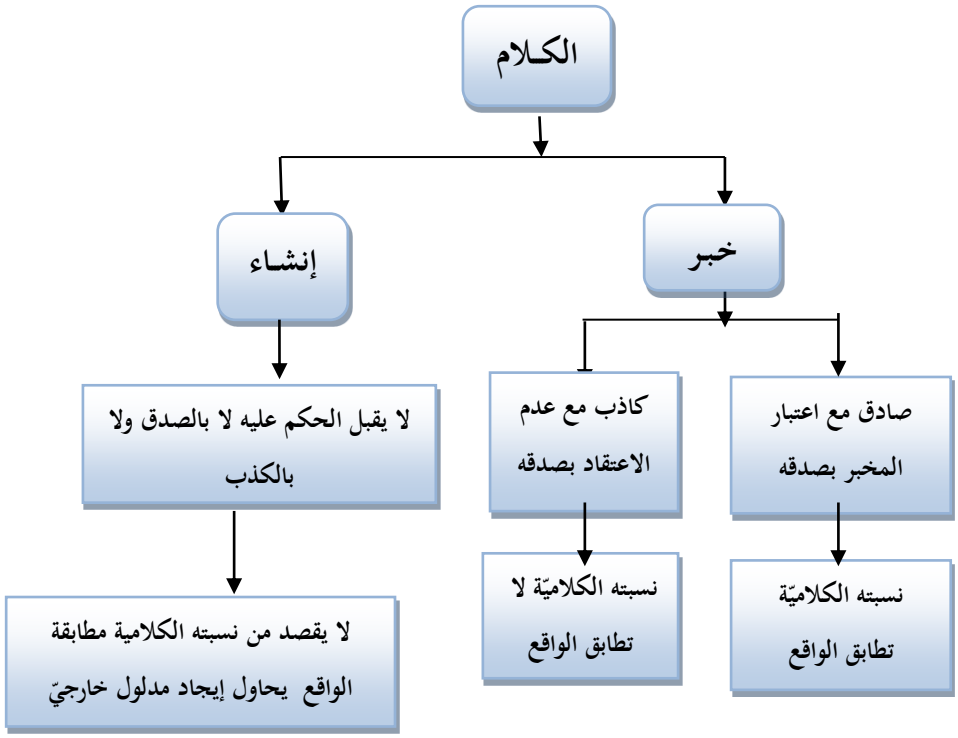

[1] – الخطيب القز ويني: الإيضاح في علوم البلاغة:ص 56.

[2] – المصدر نفسه: ص 56.

يبدو الاختلاف جلّيا بين العلماء حول انحصار الخبر في الصّدق، والكذب، فذهب بعضهم إلى الأخذ باعتقاد المتكلّم أثناء الحكم على الخبر، يقول النّظام فيما نصه: "الخبر الصّادق هو ما طابق اعتقاد المخبر سواء طابق الواقع (النسبة الخارجيّة)، أولم يطابقه"[1]،وعندئذٍ من يعتقد أمرا فيخبر به، ثمّ يظهر خبره بخلاف الواقع، وعندها لا يتّهم بالكذب، وإنّما يُقال أخطأ كما روى عن "عائشة"-رضي الله- عنها فيمن شأنه كذلك:" ما كذب، ولكنه وهم"[2]،لأنّه لم يتكلّم بخلاف اعتقاده، أو ظنّه؛ فالصّدق عنده منظور إليه نظرة تداوليّة، لا نظرة تجريديّة، أي بحسب ما يعتقده اليهوديّ، لا المسلم .

كذلك ما جاء في الآية الكريمة: ﴿ **إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾[3]،فقول المنافقين ﴿ **نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ** ﴾ قول كاذب، فالتّكذيب في قولهم "نشهد"، وادّعائهم فيه المواطأة[4]، لأنّ الله يعلم أنّ المنافقين كاذبون، كذلك قد أكّد بطلان شهادتهم باستعمال (لام التّوكيد)،و(أنّ)، والشّقّ الثّاني من الآية يوضّح ذلك.

[1]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 130.

[2]- الخطيب القز ويني: الإيضاح في علوم البلاغة :ص 60.

[3]- سورة المنافقون: الآية: 01.

[4]- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القز ويني :الإيضاح في علوم البلاغة :المعاني والبيان والبديع :تح: إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط3، 2003 ،ص 25.

إنّ ذلك التّصور أفضى بـ(الجاحظ،ت 255ه) إلى أن ينكر انحصار الخبر في الصّدق ،والكذب فقط، حيث رأى أنّه ينحصر في ثلاثة أقسام[1]:

- **الخبر الصادق:** يطابق الحكم فيه الواقع مع اعتقاد المخبر له، أو عدمه.
- **الخبر الكاذب:** لا يطابق فيه الحكم الواقع مع اعتقاد المخبر له، أو عدمه.
- **الخبر غير الصّادق، ولا الكاذب، وفيه أربع حالات:**
  - مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلّم أنّه غير مطابق.
  - مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق أصلا.
  - غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق.
  - غير مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق أصلا.

الجميل في طرح "الجاحظ" أنّه يحتكم إلى معيارين مهمّين في الحكم على صدق الخبر، أو كذبه هما: مطابقة الخبر للواقع، واعتقاد المخبر (قصد المتكلّم)، من الشّواهد الّتي يعتمد عليها قوله تعالى: ﴿ **أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ** ﴾[2]، فالافتراء هنا الكذب عن عمد، فهو من الكذب أيضا، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذبا أيضا لجواز أن يكون نوعا آخر من الكذب ،وهو الكذب، لا عن عمد فيكون التّقسيم للخبر الكاذب، لا للخبر مطلقا[3].فـ"الجاحظ" ينحو

[1]- الخطيب القزويني :الإيضاح في علوم البلاغة، الجزء الأول، ص 61،62.

[2]- سورة سبأ: الآية:08.

[3]- ينظر: الخطيب القزويني :الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبديع والبيان، ص 26.

منحا تداوليّا حديثا في حكمه على صحّة الخبر، أو كذبه، وهو (اعتقاد المتكلّم، وقصده)، وذلك ما ميّز اتّجاهه الّذي طغت عليه الرّؤية التّحليليّة ذات الطّابع التّداوليّ.

هنا تجلّى جهده البلاغيّ أوضح تصنيفا، وتفسيرا ،حيث حاول بلورة مفهوم الصّدق والكذب، وإن كان أظهر المفاهيم الّتي رسّخت في التّقاليد اللّغوية العربيّة، فإنّه يظلّ مفهوما ملبسا، تردّد القدامى أنفسهم في ضبطه، وبيّان مرادّه بين قائل:" إنّه مطابقة حكم الخبر، أو عدم مطابقته للواقع"، وقائل:"... بل مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان، أو خطأ، أو عدم مطابقته"؛ ذلك أنّ من اعتقد أمرا فأخبره، ثمّ استبان خلافه، لا يؤمن بالكذب، وإنّما يقال أخطأ.

2-1-أضرب الخبر:

قسّم العلماء الخبر بحسب درجة قوّة دلالاته، وضعفها إلى ثلاثة أضرب، واتّفقوا على تسميتها على النّحو الآتي[1]: خبرا ابتدائيّا، وخبرا طلبيّا ، وخبرا إنكاريّا.

2-1-1-الخبر الابتدائي:

ذلك الخبر الذي يستغنى فيه عن مؤكّدات الحكم، ويكون المتلقّي خالي الذّهن من الحكم تماما، يقول "السّكاكي": "فإذا اندفع في الكلام مخبر ألزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك، إفادته المخاطبَ، متعاطيّا مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبريّة إلى من هو خالي الذِّهن عمّا يلقي إليه، ليحضر طرفها عنده، وينتقش في ذهنه استنادا أحدهما إلى الآخر ثبوتا، أو انتقاء كفى في ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكّن لمصادفته إيَّاه خاليا

[1]- ينظر: أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 258.

فتستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم، ويسمّى هذا النّوع من الخبر ابتدائيّا"[1]، ومثال ذلك قول أحد الشعراء:

أَتَانِّيْ هَواها قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الْهَوَى ** فَصَادَفَ قَلْبِيْ خَالِياً فَتَمَكَنَا**[2].

الشّاعر هنا يقرّ أنّ قلبه كان خاليا من أيّ تجربة سابقة لهذا تمكّن من حبّ تلك المرأة، فأدخلها قلبه، وفؤاده.

2-1-2-الخبر الطّلبيّ:

يعني الخبر الّذي يلزم متلقّيه إلى تأكيد من قائله بأحد أدوات التّأكيد مثل: "إنّ" أو "اللام"، حتى يتمكن من نفسه، ويقضي على حيرة المتلقيّ، وشكّه، يقول "السّكّاكي":"وإذا ألقاها إلى طالب لها، متحيّر طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بيّن لينقده عن ورطة الحيرة استحسن تقويّة المنقذ بإدخال (اللاّم) في الجملة، أو (إنّ)، كنحو: "لزيد عارف"، أو: "إنّ زيدا عارف" ويسمى هذا النّوع من الخبر طلبيّا"[3]؛ ومثال ذلك قول الشّاعر" أبو العتاهيّة":

إِنّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا **** فَتَرَكْتُ مَاْ أَهْوَىْ بِمَاْ أَخْشَىْ**[4].

فالشّاعر في البيت يؤكّد تركه الشّهوات، وحبّ الدُّنيا بأداة التّوكيد "أنّ" لخوفه من عاقبة الآخرة.

---

[1]- المصدر السابق: ص 258.

[2]-ينظر: أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 258.

[3]- المرجع نفسه: ص 258.

[4]- علي الجارم ومصطفى أنيس: البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع، ودليل البلاغة الواضحة، مصر، القاهرة، دار قباء الحديثة، دط، 2007،ص 270.

2-1-3-الخبر الإنكاريّ:

الخبر الّذي يتطلّب أن تؤكّده بمؤكد، أو أكثر على حسب إنكاره قوة، وضعفا، يقول "السّكّاكي":"وإذا ألقاها حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجّح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده كنحو:(إنّي صادق)، لمن ينكر صدقك إنكارا، و(إنّي لصادق) لمن يبالغ في إنكار صدقك، و(والله إنّي لصادق على هذا)[1].

بإمكاننا القول: إنّ المتلقّي قد ينكر الخبر، ويتمادى في إنكاره، لكن كلّ له تأكيد بأدوات معيّنة يستعملها المتكلّم، أو المخبر بحسب درجة إنكار المتلقّي، ومثال ذلك قول الشّاعر:

إنّي رَأيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا ** فَتَرَكْتُ مَاْ أَهْوَىْ بِمَاْ أَخْشَىْ**[2].

فالشّاعر استخدم أدوات التّوكيد نحو، "إنّ" و"اللام" ليؤكّد لمن يبالغ في إنكاره صدقَ الخبر.

نخلص من ذلك إلى أمر نراه على درجة بالغة من الأهميّة، مفاده أنّ الجمل الخبريّة تختلف بحسب اختلاف قوة العرض الّذي تتضمّنه، وبالتّالي تتنوّع المعاني بتنوّع السّيّاق الّذي ترد فيه كما رأينا سالفا مع الأبيات الشّعرية، أي أنّ الجملة الّتي تحمل مؤكّدات أكثر تكون لها دلالة أقوى وقد تخرج إلى أغراض أخرى تفهم من سّياق الكلام.

2-2-المعاني الّتي يحتملها لفظ الخبر:

قد يخرج الخبر إلى أغراض، ومعان متنوّعة تتنوّع باختلاف المقامات الّتي ترد فيها، ومنها:

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 258،259.

[2]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة: ص 258.

- التّعجّب: نحو قولك: ما أجمل البحر!
- التّمني: نحو قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنّ لِيْ كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِّنِينَ**﴾[1].
- النّهي: نحو قوله تعالى : ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِيْ الأَرْضِ مَرَحَاً**﴾[2].
- النّفي: نحو قولك: لا بأس عليك.
- الدّعاء، والطّلب: نحو قول الشّاعر "أحمد شوقي":

جَزَاكُمُ الْجَلَالُ بَيْنَ دِمَشْقِ ** وَغَزَّ الشَوْقُ أَوَلَّهُ دِمَشْقَ**

- الأمر: نحو قولك: كقوله تعالى: ﴿**يَاْ يَحْيَ خُذْ الكِتَابَ بِقُوَةٍ**﴾[3].
- التّعظيم: نحو قول الشّاعر "أبو تمام":

فَتْحٌ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاْءِ لَهُ ** وَتُبْرِزُ الأَرْضُ فِيْ أَبْرَادهَا القَشَبْ**[4].

3-الإنشـــاء:

تعدّدت وجهات نظر العلماء قديما حول استعمال مصطلح الإنشاء كما رأينا أنّه كان يعبر عن" الإنشاء" في مؤلّفات بعضهم بمصطلح "الطّلب"، فمنهم من أرجح الطّلب بأنّه نوع من أنواع الإنشاء، وهذا ما وجدناه عند "الخطيب القزويني" حين قال: "الإنشاء ضربان: طلب، وغير

[1]- سورة الزمر : الآية :58.

[2]- سورة لقمان: الآية : 18.

[3]- سورة مريم: الآية : 12.

[4]- بوزياني خالد :البلاغة ،علم المعاني، البيان ،البديع، ص 09.

طلب: فالطّلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب لامتناع تحصيل الحاصل، وهو النّهج الّذي سار عليه البلاغيّون فيما بعد.

الإنشاء لا يحتمل الصّدق، ولا الكذب لأنّه أسلوب مباشر يعتمد على المخاطبة في أغلبه ولا يصّح أن يقال لقائله إنّه صادق، أو كاذب لعدم تحقّق مدلوله في الخارج، وتوقّفه عن النّطق به[1]،أي أنّه يبحث عن مدلولات في الخارج تتلاءم مع لفظه، أو كلامه، فلا يقصد من نسبته الكلاميّة أن تطابق، أو لا تطابق نسبته الخارجيّة.

3-1-أقسام الإنشاء: الإنشاء قسمان: طلبيّ، وغير طلبيّ

3-1-1- الإنشاء الطّلبيّ:

ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب لامتناع تحصيل الحاصل[2]، أي ما تأخّر وجود معناه عن وجود لفظه، ويشمل على ظواهر أسلوبيّة متعدّدة، قسمت بعد التّوسع الدّراسيّ والبحث العميق إلى تسعة أقسام: الأمر، والنهي، والاستفهام، والدعاء، والعرض ،والتّحضيض والتّمنّي والتّرجي، والنّداء[3].

[1]- ينظر :عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 3، 1981 ص13.

[2]- الخطيب القز ويني: الإيضاح في علوم البلاغة :ص 107.

[3]- ينظر:عبد العزيز أبو سريع ياسين: الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، الأردن، عمان، مطبعة السعادة، ط1989،1ص10.

هناك من البلاغيّين من يرجعها إلى خمسة أقسام فقط :الأمر، والنّهي، والاستفهام، والتّمني والنّداء؛ وفي الصّدد نفسه يشير الباحث "سعد الدين التفتازاني" إلى تلك الأقسام في قوله:" وهي أي الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة خمسة: التّمني، والاستفهام، والأمر، والنّهي، والنّداء"[1] ذلك لأنّ بعض العلماء يرون أنّ تلك الصّيغ الأسلوبيّة تخرج من مقتضى دلالتها الظّاهرة إلى أغراض وإفادات تواصليّة بحسب ما يقتضيه المقام، وهناك من يرى أنّها أغراض يجمعها أسلوب واحد، أو صيغة واحدة[2] ، فنجدهم يعتبرون الدّعاء نوع من الأمر، والغرض ضرب من الاستفهام، أمّا التّحضيض، والتّرجي فهما نوعان من أنواع التّمنّي .

لقد انتبه البلاغيّون العرب لخروج الأغراض من معانيها الأصليّة، إلى معان غير أصليّة تتماشى مع حركيّة المقام، فمثلا نجد "السّكّاكي" حصر قانون الطّلب في خمسة أبواب: الأمر، والنّهي والاستفهام، والتّمنيّ والنّداء؛ فيذكر إذا أجراها المرسل بشروطها في سياقاتها الملائمة لها، تولّد عنها معان أصليّة، أمّا إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، فإنّه يتولّد عنها ما يناسب المقام نحو قولك: "هل لي من شفيع ؟" في مقام لا يسع إمكان التّصديق بوجود الشّفيع، فامتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولّد معنى التّمنيّ[3]؛ أي ينجز عن خرق للإجراء الأصليّ، وشروطه معان أخرى بالاعتماد على القرائن، والأحوال .

[1]- المصدر السابق: ص 14.

[2]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص 150.

[3]- ينظر : أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم : ص 416.

لا مندوحة في القول أنّ ثمّة إشارة لا تخطئها العين قوّامها أنّ هناك بعض الأبعاد، والمفاهيم التّداوليّة الّتي يمكن الباحث المتمرّس أن يلتمسها ضمن تعامله مع عمليّة انتقال الأغراض من معانيها الأصليّة إلى معان أخرى تتّضح بمعرفة القرائن، والأحوال؛ وعليه تدعونا الحاجة إلى الوقوف وقفات وجيزة عند كلٍّ من أسلوبي الاستفهام، والأمر، وخروجهما من معانيهما الأصليّة إلى معانٍ ومقاصد أخرى ملائمة لمقام التّلفّظ.

أ- سيّاق الاستفهام:

تظهر منزلة الاستفهام في دلالته السّيّاقية وقت خروجه عن معانيه الأصليّة إلى معان أخرى ويعرف بأنّه :"طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، بإحدى أدواته[1]"[2] ،ومثال ذلك قوله تعالى :﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[3]، وقال المتنبّي:"

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زَعْنَقَةً ** تَجُورُ عِنْدَك لَا عَرَبُ، ولا عَجَمُ؟"**[4]

ما نلحظه من فعل كلاميّ في الملفوظ الاستفهاميّ أنّه وسيلة من الوسائل اللّغويّة لمعرفة ما يجول بخاطر المخاطب ، وفهم كلّ ما يتعلّق بحيثيّات السّيّاق من ظروف، ومقامات لأنّ وظيفة

[1]- تتمثل أدوات الاستفهام في: الهمزة، هل، متى ،أين، أيّان، أنّى، أيُّ، كيف، وكم، ينظر : أبو يعقوب السكاكي ،مفتاح العلوم: ص 418.

[2]- ينظر: عبد العزيز أبو سريع ياسين: الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ص11.

[3]- سورة البقرة: الآية:27

[4]- جعيرن ميهوب وبوزياني خالد: البلاغة بالأمثلة والتطبيق، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، منشورات الشهاب ص38.

الاستفهام لا تتوقّف عند إجراء الفهم فحسب، بل تتعدّاه إلى بناء قاعدة حواريّة تواصليّة بين المستفهَم، والمستفهِم عن طريق أسئلة، وأجوبة حسب ما يقتضيه السّيّاق، أو ما يتطلّبه .

لقد اعتبر البلاغيّون العرب أدوات الاستفهام قد تستعمل لغير ما وضعت عليه في الأصل للدّلالة على معان أخرى تتماشى مع ما يناسب المقام، وحيثيّاته، وفي السّيّاق نفسه يقول "الخطيب القزويني":"...ثمّ هذه الألفاظ (ألفاظ الاستفهام) كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام"[1].من خلال تأمّلنا النّصَّ نلحظ أنّ هناك دليلا صريحا على علاقة معاني الأقوال بالسّيّاق الّذي وردت فيه .

على إثر ذكر مفهوم الاستفهام، وخروجه عن معانيه الأصليّة، راح العلماء يقسّمونه بحسب ما يطلّب إلى ثلاثة أقسام مدرجين تحت كل قسم أدوات معينة :[2]

1- أدوات استفهام تختصّ بطلب حصول التّصور، والتّصديق: (الهمزة).

2- أدوات استفهام تختصّ بطلب حصول التّصور، وتتمثّل في: (هل).

3- أدوات استفهام تختصّ بطلب حصول التّصور فقط، تتمثّل في: (ما، متى، أيُّ، أيَّان، أنَّ كيف كم، وأين).

أجاد العلماء قديما دراسة الاستفهام، والألفاظ الموضوعة له، ولم يتوقّفوا عند هذا الحد بل توغّلوا في تحليل تلك الألفاظ، والمواضع الّتي يستعمل فيها كلّ لفظ، ودراستها؛ مراعين في

[1]- الخطيب القز ويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ص 112.

[2]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 418،419.

ذلك المقامات المختلفة الّتي ترد فيها وضعيّة المتكلّم، والسّامع، وغاية كليهما؛ فكانت دراساتهم ذات منحى تداوليّ، ورؤية تحليليّة دقيقة سابقة لعصرها .

قد عوّل الباحث "أحمد قاسم" على أنّ "السُّيوطي ""وصل بدلالات الاستفهام التّحويليّة إلى اثنين، وثلاثين دلالة جامعا بذلك ما ذكره العلماء قبله "[1]،وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الاهتمام الفائق الّذي أبداه الدّرس العربيّ قديما لدراسة الصّيغة الأصل، أو الفعل الكلاميّ المباشر بالمفهوم الحديث، وما ينتج عنها من أفعال كلاميّة مباشرة (صيغ مجازيّة فرعيّة) تفهم من سياق الحال، وقرائن الأحوال؛ وما يعزّز قولنا ما ذهب إليه "القزويني" حينما أردف الكلام ببعض المعاني الّتي يخرج إليها الاستفهام، وتفهم من سيّاق الكلام كالإنكار، والتّهكّم، والتّعجب، والأمر والتّوبيخ، والوعيد، والتّمني...مستشهدا في كلّ معنى من هذه المعاني بآيات من (الذّكر الحكيم) [2]

في حين نجد "عبد القاهر الجرجاني" يلفي بنظره، ويبلور فكره الثّاقب على أسلوب الاستفهام، وخروجه إلى أغراض مقاميّة ناتجة من إرادة المتكلّم، وقصده، ومن المعاني الّتي يذكرها:(التقرير)، وهو حمل المخاطب على الإقرار، ويشترط فيه أن يلي همزة الاستفهام المقرّر به كقولك: "أفعلت؟" إذا أردت أن تقرّره بأنّ الفعل كان منه، وقولك: "أأنت فعلت؟" إذا أردت أن تقرّره بأنّه الفاعل[3]؛ ومن الشّواهد الّتي استند عليها "الجرجانيّ" قوله – عز، وجل-:﴿ **أَأَنتَ**

[1]– حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب البنيوي الشريف، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية،ط1، 2007،ص 117.

[2]– ينظر: الخطيب القز ويني: الإيضاح في علوم البلاغة : ص 112.

[3]– ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز :ص 89.و ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ص 112.

فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[1]. يقول "عبد القاهر الجرجاني":" لم يقولوا ذلك له عليه السّلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأنّ كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرّ بأنّه منه كان، وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم: "أأنت فعلت هذا؟" وقال عليه السّلام ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾[2] ولو كان التّقدير بالفعل لكان الجواب: فعلت، أو لم أفعل"[3]؛ أمّا على مستوى التّصنيف فإنّ الاستفهام يصنّف ضمن التّوجيهات: "فالوظيفة التّداوليّة مثل دلالتها على التّضامن ،والتّقريب بين طرفي الخطاب، فإنّها تصنّف على أنّها خطابات توجيهيّة إذ يكفي كونها الحافزَ للمرسل إليه للتّلفظ بخطابه"[4]،فينبغي أن يتّسع أيضا ليشمل الأفعال الكلاميّة الدّالة عليه ،كالسّؤال ،والاستفهام والاستعلام...[5]،لأنّ الغرض الإنجازيّ أساس التّأثير في المتكلّم ليفعل شيئا، أو يخبرنا عنه، وبهذا نتمكّن من توجيه المخاطب، والخطاب في آن واحد، وكذلك إذا كان شرط الإخلاص مشتركا بين السّائل والمسؤول؛ تكون الأمانة (الرّسالة) موسومة بالصّدق ،وموصوفة على مستواها التّداوليّ بالتّقارب، والتّحاور بين المتكلمّين، والمخاطبين بوجه عام. سنحاول فيما يلي ضبط بعض آليات الاستفهام الّتي تفهم من سياق الكلام .

[1]- سورة الأنبياء: الآية: 62.

[2]- سورة الأنبياء: الآية:63.

[3]-عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز: تح:محمد رشيد الرضا، لبنان، بيروت، دار المعرفة، دط، 1992، ص 89.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب:ص 103.

[5]- ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 103.

2-3- المعاني الّتي يحتملها لفظ الاستفهام:

للاستفهام معان عديدة تفهم من سيّاق الكلام: "الإنكار، التّهكم، التّحقير، العتاب التّقرير، التّوبيخ، الوعيد، والاستبطاء، والأمر، والتّعجب، والتّمنيّ، والدّعاء، والاستبعاد". [1]

***الإنكار**: كقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[2]،إنّ قوله تعالى موجه إلى (بني إسرائيل) الّذين يأمرون غيرهم بفعل الخيرات، ولكنّهم لا يقدمون عليها، والاستفهام في هذه الآية لا يرجى من ورائه جواب، ولكنّنا نلمس فيه إنكارا لهذا السّلوك المتناقض، وتوبيخا شديد اللّهجة.

***التّهكم**: في مثل قوله تعالى: ﴿﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[3]، الغرض هنا الاستخفاف بشأن شعيب في صلاته، والاستفهام في الآية لا يرجى من ورائه جواب، ولكنّنا نلمس فيه الغضب والتّهكم.

***التّحقير**: قال المتنبي:

بِأيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زَعْنَقَةً * تَجُورُ عِندَكَ لاَ عَرَبُ، ولاَ عَجَمُ؟**[4]

[1]- جعيرن ميهوب وبوزياني خالد: البلاغة بالأمثلة والتطبيق، علم المعاني، علم البيان، علم البديع،ص37.

[2]- سورة البقرة:الآية:44.

[3]- سورة هود: الآية:87.

[4]- جعيرن ميهوب وبوزياني خالد :البلاغة بالأمثلة والتطبيق ،ص 38.

نلمس في البيت الشّعريّ تحدّي الشّاعر خصومَه أثناء مدحه "سيفَ الدّولة"، فحطّ من قيمة خصومه من الشّعراء بغرض التّحقير.

***التّعجّب:** كقوله- جلّ ثناؤه-: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[1].فالغرض من السّؤال التّعجّب من كفرهم بعد أن ظهر الحقّ الّذي يتجلّى في خلق الله- جل ثناؤه- لهم من العدم، وبعثهم يوم الحساب.

***التّوبيخ:** نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾[2].

***الوعيد:** في مثل قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ** ﴾.[3]

***التّقرير:** نحو قوله تعالى:﴿ **أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾[4]،وفي السّيّاق نفسه يشير الباحث "أحمد قاسم" إلى أنّ "عبد القاهر الجرجاني" ذكر في شرحه للآيةَ أنّ الهمزة تكون لتقرير بفعل قد كان، وإنكار له لم يكن، وتوبيخه لفاعله عليه[5]، ونفس ما ذهب إليه "السّيوطيّ" حين أشار إلى أنّ "الزّمخشريّ" "اعتبر الهمزة للتّقرير مع التّوبيخ، والتّعجب من حالهم"[6]،بمعنى أنّنا لا يمكن ضبط غرض محدّد يخرج إليه الاستفهام ،كما أنّنا نصادف في بعض الأحيان مجموعة من المعاني المتداخلة فيما بينها، فلا نستطيع بذلك أن نحدّد معنى واحد لذلك الملفوظ.

---

[1]- سورة البقرة: الآية:27.

[2]- سورة آل عمران: الآية:106.

[3]- سورة المرسلات: الآية:16.

[4]- سورة الأنبياء: الآية:63.

[5]- ينظر: حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ،ص 121.

[6]- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي :الإتقان في علوم القرآن ،لبنان، بيروت ،دار المعرفة،(د ت)،(دط)الجزء 2ص103.

***الاستبطاء:** نحو قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[1] بمعنى ألم يجئ وقت أن تخضع، وترق، وتلين قلوبهم.

***الأمر:** في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾.[2]

***الدّعاء:** نحو قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ** ﴾[3].

***الاستبعاد:** نحو قوله تعالى: ﴿ **أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ{13} ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ** ﴾[4].

***التّمنّي:** في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا** ﴾[5].

ب- سّياق الأمر:

يعتبر الأمر من الأساليب الّتي تخرج عن معانيها الأصليّة إلى معان أخرى فرعيّة، بحسب ما يقتضيه السّيّاق، ويناسب المقام الّذي يعرف عادة بأنّه :"استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"[6]،أي من الأعلى منزلة إلى الأدنى منزلة، والأمر عند العرب إذا لم يفعله المأمور سمّي المأمور به عاصيا، ويكون عاملا بلفظ "افعل"، أو بلفظ "ليفعل"[7]، نحو قوله تعالى: ﴿**وأن أَقِيمُواْ الصَّلاةَ**

[1]- سورة الحديد: الآية :16.

[2]- سورة القمر: الآية:51.

[3]- سورة المزمل: الآية:28.

[4]- سورة الدخان: الآيتان: 13،14.

[5]- سورة الأعراف: الآية:53.

[6]- الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب :ص 340.

[7]- أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 138.

الصَّلاةَ واتّقوه﴾[1]؛ويذهب العلماء إلى أنَّ الأمر ينبغي أن يتحقّق على الفور، يقول "السّكّاكيّ: "الأمر:حقّه الفور، لأنّه الظّاهر من الطّلب، ولتبادر الفهم، عند الأمر شيء يبعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع، وإرادة التّراخي"[2] لأنّ حمولته الدّلاليّة توجب تنفيذ المطلوب على عجل وذلك لأنّ الله حينما يطالب عباده بالقيام بشيء ما يستوجب على هذا الأخير الامتثال لطاعة الله دون أيّ تردّد وإلاّ نال الجزاء (العقاب)[3]،وفي هذا المعنى تأكيد صريح على تحقيق الأمر على عجل فلا يحقّ للمأمور أن يسترخي، ويماطل في تنفيذ ما أمر به ،فمثلا عندما يقول الأستاذ لتلميذه: "انهض، واقرأ ما في السّبورة"، حتما سيطيعه ،ويقوم بالقراءة على الفور، ومن هنا يتحوّل الأمر من مجرّد ملفوظ إلى عمل يتحقّق، وينجز في الواقع .

من بين الومضات التّداوليّة الّتي نلفيها تفرض نفسها بقوة في استعمال أسلوب الأمر. إنّ العلماء قديما اعتبروا أنّ للأمر قوّة إنجازيّة تتحقّق بمجرد التّلفّظ به، وتنفيذه في الواقع، وهذا ما أكدّه "أوستين" من خلال محاضراته المعنونة بـ" Quand Dire C’est Faire "الّتي من خلالها ميّز بين ما سماه بالجمل الوصفيّة ،وهي الجمل الّتي تصف حدثا ما دون أن تُحقق فعلا في الواقع ،وبين الجمل الإنجازيّة"[4]؛ أي أنّ الجمل لابدّ أن تحتوي على فعل إنجازيّ كالجمل الأمريّة ،والاستفهاميّة

[1]– سورة الأنعام: الآية : 72.

[2]– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ص 117.

[3]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط جامعة الحسن الثاني، مطبعة مطبعة المعارف الجيدة،1997،ص 71،75.

[4] -J.L.Austin : quand dire c’est faire, introduction, traduction, gille lane postface de Françoise récaniti édition du seuil Paris 1970p87،88.

بحيث يقع الفعل بمجرد التّلفظ بالجملة؛ إلاّ أنّه قد يخرج عن المعنى الأصليّ إلى معانٍ، ومقاصد تفهم، وأخرى تفهم من خلال القرائن، والأحوال أي: "تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام "[1].

ممّا تظهره لنا سياقات الأمر التّداوليّة من أغراض فرعية ؛نلفي معنى الدّعاء الّذي يتحقّق عند قولك في مقام التّضرع: "اللّهمّ اغفر وارحم"[2] .كما نتلمّس معنى التّهديد عندما تستعمل صيغة الأمر في مقام تسخط المأمور به "[3].غير هذه المعاني لا يعدّ ،ولا يحصى(كثير).

قد يخرج أسلوب الأمر عن أصله ليحيل على مقاصد أخرى كالتّمنّي، والالتماس، والإرشاد والتّسويّة، والتهديد...[4] ،يقول "الخطيب" قائلا:"...وصيغة الأمر قد تستعمل في غير طلب الفعل، بحسب مناسبة المقام كالإباحة، والتهديد، والإهانة..."[5]وبهذا استعلائيّة الصيغة ما هي إلاّ مطيّة لتحقيق قصديّة يريدها الآمر من المأمور؛ فالقوّة الإنجازيّة لصيغة الأمر تظهر بمجرد التّلفّظ به مادام المتكلّم حريصا كلّ الحرص على بعث رسالة توجيهيّة إلى المخاطب ؛ندرج الأمر ضمن نمط الإنجازيّات بلغة "أوستين"[6]. أسهم عدد منهم في تطوير غرض الأمر، وجعل له صيغ يتحدّد بها

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 428.

[2]- المصدر نفسه :ص 428.

[3]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 428.

[4]- ينظر: مختار عطية، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر دط،2004، ص 225.

[5]-الخطيب القز ويني :الإيضاح في علوم البلاغة :ص 117.

[6]-ينظر: سيرفوتي جان: الملفوظية: تر: قاسم المقداد، سوريا، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب،(دط)1998ص 03.

يمكن إجمالها في: فعل الأمر، والمضارع المجزوم ب(لام الأمر)، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر[1].

هكذا نكون مدعوين إلى القول: إنّ تلك الصّيغ غير جديرة بتحديد غرض الأمر في العبارات، والأقوال، وتمييزه عن باقي الأغراض الأخرى. فليست المسألة لغويّة قطّ، بل لغويّة تداوليّة، إذ ليس الوضع اللّغويّ المعيار الأوحد، بل لابدّ أن تستكنفه مرتبّة المرسل لأنّها تحوّل دلالة الصّياغة من الأمر إلى غير ذلك"[2].أي أنّ غرض الأمر لا يوحي دائما بالوجوب في التّداول الخطابيّ، إذ لابدّ أن تتماشى الصّيغة بحكم الأمر(المرسل)، وهكذا ندرك مدى تدخل عناصر خارجة عن اللّغة في مساعدة تحديد الغرض الإنجازيّ المتضمّن في القول؛ ولم يقتصر على الجمل الوصفيّة، الإنجازيّة فحسب؛ بل امتدّ إلى مفهوم الكفاءة التّداوليّة، واللّغويّة امتدادا عاما، إذ لابدّ أن يكون المرسل على دراية ضمن تطرّقه لتلك الأسماء، فيستعين بكفاءة المرسل إليه اللّغويّة والتّداوليّة شرط أن تكون أسماء فعل الأمر مثلا، من بين الصّيغ المحدّدة لغرض الأمر[3]، بحكم أن يكون الأخير على إطلاع تامّ بدلالة هذه الأسماء .

وحاصل الكلام أنّ الأغراض البلاغيّة للاستفهام ،والأمر ،وغيرها من الأساليب، والصّيغ تتحدّد بحسب تعدّد السّيّاق الّذي ترد فيه. كما أتّنا من خلال هذه العتبات المنهجيّة ،الموجزة يجدر القول: إنّه لا يمكن دراسة الأغراض الفرعيّة إلاّ بالوقوف على سياقاتها اللّفظية ،الحاليّة لأنّ

[1]- رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: مصر، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط 2،1988، ص 120.

[2]- الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 342.

[3]- ينظر: المرجع نفسه: ص 348.

السّيّاق هو الّذي يحتّم على المتكلّم اجتباء اللّغة الفاعلة، الفعليّة ذات الحمولة الإنجازيّة من حيث الاستعمال .

3-1-2- الإنشاء غير الطّلبيّ:

يعتبر الإنشاء غير الطّلبيّ الضّرب الثّاني من الأسلوب الإنشائيّ. الّذي يميّزه عن الإنشاء الطّلبيّ أنّه لا طلب فيه، ويعرّف بأنّه:" ما لا يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب"[1].أي ما اقترن وجود معناه بوجود لفظه، كأساليب التّعجّب، التّرجّي، القسم، المدح، الذّم ،أفعال الرّجاء لفظ ربَّ، وكم الخبريّة، وصيغ العقود، ولفظ الرّدع ب(كلا)، وغيرها[2]. على اختلاف بينهم في بعضها.

غير أنّ الجدير بلفت الانتباه هو أنّ هذا الضّرب من الإنشاء لا يدخل ضمن باب علم المعاني، لذلك يقرّ البلاغيّون بعدم دراسة الأساليب الإنشائية غير الطّلبيّة بحجة أنّها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء[3] ، وعندها يمكن القول: إنّ الإنشاء غير الطّلبيّ ليس ركن ركين عند البلاغيّين .

[1]- عبد العزيز أبو سريع: الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ص 17،18.

[2]- ينظر: عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص14.

[3]- ينظر: المصدر نفسه : ص.14

في إطار الصّبغة الجديدة الّتي صبغت مباحث الإنشاء غير الطّلبيّ عند البلاغيّين بفكرة الإهمال ؛راح النّحويّون يولون اهتماما كبيرا بهذا الضّرب من الإنشاء ،بحيث تعمّقوا في دراسته وتوسّعوا في بحث أساليبه المختلفة لدرجة أنّهم خصّصوا لبعضها أبوابا خاصّة لدراستها حتى[1].

في ضوء ما تقدم ؛نحاول أن نقتفي بعض ملامح نظريّة الأفعال الكلاميّة ،وتجليّاتها في بعض المفاهيم البلاغيّة في تراثنا العربيّ، والوقوف وقفات وجيزة عند كلّ من تلك الظّواهر الأسلوبيّة بشيء من الدّراسة، والتّحليل، لنبيّن بعض الآليات ،والمسوّغات الّتي قام عليها هذا الانتقال.

3-1-2-1-أفعال التّعجّب:

التّعجّب هو شعور داخليّ انفعاليّ يحدث في النّفس عمّا خفي سببه لذلك قيل: "إذا ظهر السّبب بطل العجب"، وله صيغتان قياسيتان هما: (ما أفعله!)، و(أفعل به!) نحو قولك: "ما أجمل السّماء !" و"أجمل بالسماء !"[2].فالجملتان كلتاهما تعبران عن شعور انفعاليّ ينتاب النّفس دون أن نعرف له سببا، وعندها، فلا مندوحة القول إنّ صيغة التّعجّب "صيغة إيقاعيّة لفظيّة، لا ينظر فيها إلى عنصر الزّمن لذلك إذا أريد مراعاة الزّمن في جملة التّعجّب أشير إليه بالقرائن الدّالة عليه "[3].

تثبت أحقيّة المقتضى التّصوريّ حينما اشترط في المتعجّب منه أن يكون معرفة، أو نكرة مخصوصة، ففي قولك مثلا: "ما أحسن زيدا، ورجلا معه!" فلولا ذكرنا للفظة "معه" لما كان

[1]- ينظر : المرجع السابق: ص 14.

[2]- رضى الدين الاستراباذي: شرح الكافية في النحو: تح: رجاء عكاوي، لبنان، بيروت، دار الفكر،دط،2000، ج2،ص 307.

[3]- عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ص 16.

للكلام معنى، وذلك أنّك إذا قلت: "ما أحسن رجلا!" بالتّنوين، فليس هذا ممّا يفيد به السّامع شيئا لأنّه لا يستنكر أن يكون في النّاس من هو كذا كثير[1]؛ فعنصر الإفادة إذن وسيلة مهمة لتحقيق عمليّة التّواصل اللّغوية المناسبة لمقتضيات السّيّاق، بحيث يستلزم أن يكون في لفظ التّعجّب معنى يفيد به السّامع، وهذا الشّرط "ليس شرطا مندرجا بمعايير "سيرل" في المحتوى القضويّ، وإنّما ينبغي أن يكون مندرجا فيما سمّاه "قوى متضمّنة في القول بلا محتويات قضويّة "[2] لأنّ المحتوى القضويّ في الجملة السّابقة – ما أجمل السماء !– ليس المقصود منه جمال السماء وإنّما تجميل المتكلّم لجمال السّماء.

3-1-2-2- أفعال المدح، والذمّ:

يوضع لإنشاء المدح، أو الذمّ أسلوبان إنشائيان، ومن صيغهما: "نعم، وبئس"، "وحبّذا ولا حبذا"، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾[3] (للمدح)؛وقوله أيضا: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[4]، وليس خافيا على أحد ما "للاستربادي" كذلك من آراء سديدة في مواضع عديدة من كتابه "شرح الكافية"، حول ضرورة ألاّ يكوم الحكم على الكلام بالرداءة، والجودة يقول في ذلك "إنّك إذا تلفظت بـ (51)، فإنّما تنشئ

[1]– ينظر : مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص: 153.

[2]–المرجع نفسه: ص: 154.

[3]– سورة ص: الآية:30.

[4]– سورة الجمعة: الآية:05.

المدح، وتحدثه بهذا اللّفظ، وليس المدح موجودا في الخارج في أحد الأزمنة الثّلاثة مقصودا مطابقة هذا الكلام إيّاه حتىّ يكون خبرا"[1].

من خلال تتبّعنا للمقولة تبيّن لنا أنّ مدح الشّيء يكون على جودته الحاصلة خارجا ويقاس عليه ذمّ الشّيء لرداءة حاصلة في الخارج ،ودور المتكلّم هنا في المدح، والذّمّ ليس وصف تلك الجودة، أو الرّداءة الواقعتين في الخارج، إنّما هو تحسين حسن زيد في المدح، وتقبيح قبح زيد في الذّمّ؛ وهكذا ندرك إلى أيّ مدى يمكن- بتطبيق معايير "سيرل"- أن نعتبر هذين الأمرين- الرّداءة، والجودة- شرطين معدِّين للمدح، والذّمّ، ولعلّ ما يعزّز قولنا ما ذهب إليه "سيرل" في قوله:"...ومبدأ الشّروط المعّدة من أهمّ المبادئ الّتي تؤثّر في هويّة الأفعال الكلاميّة، وفي قوّتها وضعفها، وفي تصنيفها"[2].فحواه أن تجتمع ظروف تداوليّة معيّنة خاصّة بالمتكلّم، أو المخاطب فتغيّر من قوّة أحدهما، وتؤثّر من ثمّ في الخطاب، وتجعل من الفعل فعلا كلاميّا ناجحا، أو فاشلا.

3-1-2- 3- أفعال الرّجاء: تدلّ على وقوع خبرها، وتفيد التّرجي، وتتمثّل في:(عسى، وحرى واخلولق)؛ وتعتبر أفعال جامدة، ومن أمثلة ذلك قول أحد الشّعراء:

عَسَى الكَرَب الّذِيْ أَمْسَيْتُ فِيْهِ ** يَكُونُ وَرَاْءَهُ فَرَجٌ قَرِيْبٌ**

ومثاله أيضا: حرى المسلم أن يعود إلى القرآن[3].

[1]- رضي الدين الاستربادي: شرح الكافية في النحو:ج2، ص 211.

[2]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص:155.

[3]- ينظر :عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ص27

3-1-2- 4- القسم:

القسم أسلوب من أساليب توكيد الكلام، وتثبيته، وإظهار معانيه، ومقاصده على الطّريقة الّتي يقتضيها المتكلّم، وهو اليمين، أو الحلف يؤدّى ببعض حروف الجرّ: "الباء"، و"الواو"،و"التّاء" واللاّم، أو بألفاظ دالّة عليه، ويتكوّن من (المقسم به، والمقسم عليه)، وبهذا تتحقّق وظيفته التّداوليّة"[1]؛ نحو قوله تعالى على لسان سيّدنا "إبراهيم عليه السّلام": ﴿ **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ{56} وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾[2]، ونظرا إلى قدسيّة القسم، وعلاقته بالمعاني الدّينيّة، وقوّة دلالته الإيحائيّة؛فإنّ الاستدلال به يكون أشدّ، وقعا في النّفس كما رأينا في الآية الكريمة، وذلك لكون دلالة القسم أبلغ من قوّة التّوكيد من حيث تقرير الأخبار، وحمل المخاطب على التّصديق، فإنّ الفعل التّأكيديّ – **تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ**– تضمّن طلبا فيه الإخبار، والوصف لأنّ الصّيغة خبريّة تتراوح بين الصّدق، وغير الصّدق، والضّابط التّداوليّ يدفعنا إلى إدراجه بلغة "سيرل" ضمن التّقريريّات والكفاءة التّداوليّة لخطاب القسم؛ (تتمظر) في خلق شحنة صدق تغطّي الملفوظ اللّسانيّ لما يحمله هذا الأسلوب من مكانة في حياة النّاس .

الجميل أنّ القوّة الإنجازيّة للقسم تكمن في كونه نابعا من شعور نفسيّ داخليّ ليس له وجود في الخارج، وكذلك كونه من المؤكّدات المشهورة الّتي تمكّن الشّيء في النّفس، وتقوّيه، وأنّ

[1]– ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص 156.

[2]– سورة الأنبياء: الآيتان:56–57.

الخلفيّة في تصنيف القسم ضمن الإنشاء (غير الطّلبيّ) هي ملاحظة أنّ المتكلّم ينشئ يمينا للتّعبير عن صحة ما يعتقده، ومن هنا يمكن القول: إنّ السّيّاق ركن ركين في اجتباء اللّغة الفاعلة والفعليّة ذات الحمولة الإنجازيّة المناسبة، بحيث لا يمكن تجاوز أيّ مقاربة لغويّة باحثة عن المقاصد، والأغراض .

3-1-2- 5- التّكثير:

هو أن ينشئ المتكلّم استكثارا لعدد من شيء، وذلك باستعمال "ربّ"، أو "كم الخبريّة" للتّعبير عن الكمّ، ويشير "عبد السّلام هارون" إلى أنّه: "لكل من التّكثير، أو التّقليل معنى إنشائيّ لأنّ كليهما يكون في نفس المتكلّم، وليس له وجود في الخارج حتّى يحتمل الصّدق، والكذب"[1]. يقول "ابن يعقوب" متحدثا عن (ربّ): "إنّها للإنشاء باعتبار أنّك إذا قلت مثلا: "ربّ جاهل في الدّنيا"، فالمراد هنا هو أنّك تستكثر الجاهلين"[2]، ومثال (ربّ): **ربَّ** فقير عفيف، ومثال (كم) قول" أبي تمام" يمدح "إسحاق بن إبراهيم":

كَمْ نَفْخَةٍ لكَ لَمْ يُحْفَظْ تَذَمُّهَا ** لَصَامَتْ المَالَ لاَ إِلَاْ وَلاَذُّ مِمَا.**[3]

3-1-2- 6- ألفاظ العقود، والمعاهدات: لقد حملت الظّاهرة في طيّاتها قدرا تداوليّا لا يستهان به ذلك أنّها تمثّل أهمّ مظهرا للأفعال المتضمّنة في القول، وهي الصّيغ الّتي تتضمّن عقود البيع

[1]- عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ص 27.

[2]- المرجع نفسه: ص 27.

[3]- عبد العزيز أبو سريع ياسين :الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية: ص 18.

والشّراء مثل: (بعت، واشتريت، وعقد الزّواج، والطّلاق مثل:(نكحت، وطلّقت)، وعقد الإجارة مثل:(أجّرت، واستأجرت)... وغيرها[1].

كما أنّها تعدّ أقوى مسألة يرتكز عليها في إثبات بحث العلماء نظريّةَ الأفعال الكلاميّة، لكن البحث فيها كان قليلا، لأنّ النّحويّين، والبلاغيّين لم يعيروا هذه الصّيغ العناية، فأهملوا دراستها بحجة أنّها أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء على غرار الأصوليّين، وبعض الفقهاء، فقد أظهروا اهتمامهم الكبير بهذه الصّيغ، فبحثوا بعناية في ظواهر من الأفعال الكلاميّة النّاتجة عن الصّيغ الأصليّة عن طريق مناقشاتهم لها في ثنايا مباحثهم الفقهيّة، يقول "مسعود صحراوي" :"أمّا في التّراث العربيّ، فلم تول هذه الصّيغ حقّها من العناية لأسباب قد يختلف فيها الدّارسون في تحديدها، ومن مظاهر نسيان تلك الصّيغ أنّها لم تأت مفصّلة إلاّ في الكتب التّطبيقيّة لظواهر الخبر، والإنشاء، ككتب الأصول، والفقه بوصفها متعلّقة بإبرام العقود وفسخها... فالبحث النّحويّ، والبلاغيّ لم يعير تلك الظّواهر من الاهتمام إلاّ شيئا يسيرا"[2].

نجد الإقرار نفسه بوجود كتب الفقهاء، والأصوليّين قد استفاضت بدراسة الظّواهر الّتي تقتضي إبرام عقود، أو فسخها، وذلك من خلال إنشاء أفعال كلاميّة ينجز عن طريقها العقد،فمثلا في الزّواج الإسلاميّ، يقتضي أخذا، وردا من الزّوجة، والزّوج، ويشترط صيغتي (القبول،والإيجاب) نحو قول المرأة، أو (وليها) للزّوج:

[1]- ينظر :المصدر السابق : ص 18.

[2]- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص 157.

- زوّجتك نفسي (أو ابنتي) بشرط كذا.

- يردّ الزّوج: قبلتك زوجة لي.

فبمجرد التّلفّظ بصيغة القبول يقع الزّواج الشّرعيّ، وتتمّ العلاقة الزّوجيّة بهما معا، ولا يمكن تحديد نهايتها إلاّ بتلفظ بفعل كلاميّ واحد كأن يقول الزّوج لزوجته: "أنت طالق"، فصيغة: "أنت طالق" تعدّ فعلا كلاميّا أنشأ فعل الطّلاق حقيقة في الواقع[1].

ولئن كان "مسعود صحراوي" قد أبدع في الكلام عن ألفاظ العقود، والمعاهدات؛ فلا مراء القول إنّ لألفاظ العقود، والمعاهدات في كتب الفقه الإسلاميّ كما في القوانين كلّها أهميّة كبيرة وعناية بالغة تتجلّى من خلال بحوثهم التّطبيقيّة المستفيضة بالدّراسة، والتّحليل، وفي كونها ساهمت في تغيير تلك النّظرة التّقليديّة في معالجة الظّاهرة اللّغويّة الّتي كانت تنحاز بقوّة للاستعمال المعرفيّ الوصفيّ للّغة ،حيث نظرت إلى اللّغة باعتبارها قوّة فاعلة في الواقع، ومؤثّرة فيه، وهذا ما جعلها (تتموضع) ضمن الإيقاعيّات بحسب اصطلاح التّداوليّين المعاصرين، وبمعايير "سيرل" توضع ضمن الأفعال المتضمّنة في القول[2].

ما يمكن قوله في الأخير من خلال العرض المختصر لبعض تصوّرات العلماء العرب وآرائهم في التّمييز بين الخبر، والإنشاء مختلفة؛ إنّه على الرّغم من الاختلاف الإيجابيّ، والتّعدد في وجهات النظر، فإنّه يمكننا أن نميز بين الأسلوبين عن طريقة التّأليف بين تلك الآراء بتصوّر مفاده أنّ الخبر

[1]- المرجع السابق: ص 159.

[2]-مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ص159.

يعدّ الخطاب التّواصليّ المكتمل إفاديّا ،والّذي يريد المتكلّم من نسبته الكلاميّة أن تطابق نسبته الخارجية، وأنّ الإنشاء يعني الخطاب التّواصليّ المكتمل إفاديّا، والّذي يريد المتكلّم من نسبته الكلاميّة أن توجد نسبته الخارجيّة، كما لم يغفل العلماء العرب عن التّمثيل للمكون الوظيفيّ التّداوليّ في النّظريّة اللّغويّة العربيّة، فقد استبان من غير وجه أنّهم عالجوا الجملة على مساق التّخاطب، فشكلت الأساليب الإنشائيّة عندهم حجر الأساس في الدّراسات الأصوليّة، والنّحويّة والبلاغيّة؛ وجاء تحليلهم لتلك الأساليب دقيقا إلى درجة أنّ أبحاث "أوستين، وسورل "لا يمكن أن نعتبرها إلّا تابعا لما بحثه العرب في هذا المجال .

«أحسن الكلام ما طبخته مراجل العلم، وضمّته دنان الحكمة، وصفّاه رواق الفهم فتمشّت في المفاصل عذوبته، وفي الأفكار رقّته، وسارت في تجاويف العقل سورته، وحدّته»

[الإمام البارع العلاّمة :"أبو يعقوب السّكّاكي"- مفتاح العلوم:ص365]

المبحث الثاني: الأفعال الكلاميّة عند اللّغويّين المعاصرين

1- أفعال الكلام عند "جون لونغشاو أوستين" Langshaw John Austin.

2- إسهامات "جون.ج.سورل":John-R-Searle في تطوير نظرية الأفعال الكلاميّة.

توطـــئة:

تعدّ نظريّة الأفعال الكلاميّة من أهم النّظريّات الّتي كان لها صدى كبير في مجال الدّراسات بالخصوص، والرّكيزة الأساسيّة الّتي قام عليها الاتجاه التّداوليّ، فقد استأثرت باهتمام الباحثين في جوانب النّظريّة العامّة لاستعمال اللّغة.

إنّ الاهتمام المتزايد من مجموع المعارف لنظريّة الأفعال الكلاميّة جعل منها قطب الرحى في الدّراسات اللّسانيّة التّداوليّة المعاصرة، خاصّة عند دارسي اللّغة من منظورها التّداوليّ[1].بحيث انصبّ اهتمامها على دراسة ما يفعله المتكلّمون باللّغة من تبليغ الأفعال، وإنجازها، وتأثيرها وذلك بغرض إنجاح العمليّة التّواصليّة بين المتحدّثين كما ذهب إليه "أوستين" :"لا يمكن أن يكون الفعل الإنجازيّ ناجحا تامّا دون أن يحدث تأثيرا في المخاطب"[2]، وبالفعل الكلاميّ يمكن أن تتحقّق اللّغة، وتتجسد في عمليّة التّلفّظ، والخطاب، وباعتبارها قوّة فاعلة في الواقع، ألغت الحدود القائمة بين الفعل، والكلام.

1- أفعال الكلام عند "جون لونغشاو أوستين"John Austin.Langshaw "

تبنى مبادئ نظريّة الأفعال الكلاميّة مجموعة من فلاسفة جامعة "أكسفورد"، ونظّر له الفيلسوف "ج.أوستين"(Austin (J-L-S الذي تأثّر بشدّة بما نبّه إليه "فتجنشتاين" writtgenetein الّذي ألف كتابا ساهم مساهمة كبيرة في وضع أهمّ الأسس الّتي قامت عليها

[1]-ينظر:فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية :ص 23.

[2]-Austin (J-L-S) quand dire c’est fair:P124.

نظريّة أفعال الكلام، تحت عنوان(How to do thingswithwords)وهو مجموعة محاضرات الاثني عشرة الّتي ألقاها في جامعة (هارفارد Harvard سنة1955)، ونشرت بعد وفاته (سنة 1962[1])جاءت نظريته ردّا على فلاسفة "الوضعانيّة" المنطقيّة (logiqualpositivism)الّذين حصروا وظيفة اللّغة في وصف وقائع العالم(state of affaires)وصفا يكون إمّا صادقا، وإمّا كاذبا؛ وأهملت الجمل غير الوصفيّة حيث أطلق "أوستين" على هذا المصطلح "المغالطة الوصفية"Pallacy descriptive،كما رأى أنّ هناك نوعا آخر من العبارات تشبه العبارات الوظيفيّة في تركيبها، ولكنّها لا تصف وقائع العالم، ولا يمكن أن ينطبق عليها معيار الصّدق والكذب كأن يقول رجل مسلم لامرأته مثلا: "أنت طالق" لا تصف شيئا من واقع العالم الخارجيّ، ولا تنشئ قولا (Statement tomake) بل تؤدّي فعلا (Performation) فهي أفعال كلاميّة[2] ؛ وإذا نظرنا في استعمالاتنا اللغةَ وجدنا أنّ ما قدمه "أوستين" لنظرية الأفعال الكلاميّة يكمن في نقطتين أساسيّتين[3]:

النّقطة الأولى تتمثّل في رفضه ثنائيّة الصّدق، والكذب؛ أمّا النّقطة الثّانية تتمثّل في إقراره بأنّ كلّ قول عبارة عن عمل فالمتكلّم ينجز عمله بمجرد تلفّظه بقول فالقول هو إنجاز لفعل ما في الوقت نفسه.

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 42-43.

[2]- المرجع نفسه: ص 43.

[3]- الجيلالي دلاش :مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص 22

1-1- المرحلة الأولى: التّمييز بين الأفعال الإخباريّة، والأفعال الأدائيّة:

انطلق" أوستين"في أبحاثه ابتداءً من معارضته آراءَ فلاسفة اللّغة(الوضعانيّين)الّذين يعتبرون الأفعال غير الوصفيّة أفعال لا معنى لها، وبالتّالي لا يوجد داعٍ لدراستها فأطلق عليها" بالمغالطة الوصفية "(fallacydescriptive)لأنّها حصرت المجالات الواسعة لاستعمال اللّغة عن طريق تخزينها في الجمل الوصفيّة فقط للتّمييز بين الأفعال[1]،وفيما يلي سنقف وقفات وجيزة عند كل من الأفعال الإخباريّة، والأفعال الأدائيّة، والتّمييز بينهما .

أ-**الأفعال الإخباريّة:(les énonces constatives)**، وتسمّى أيضا (الأفعال التّقديريّة الوصفيّة).

تتمثّل في جملة الوقائع الخارجيّة الّتي يحكم عليها بمعيار الصّدق، أو الكذب[2]، و"يخلص "أوستين" إلى وجود جمل وصفيّة إثباتيّة، أو تقريريّة يمكن أن تكون كاذبة، أو صادقة"[3] ويمكن توضيح هذا الطّرح بالأمثلة الآتيّة:

1- إنّ الأرض تدور حول نفسها.

2- توفي ملك (تونس).

الملاحظ في الجملة(1) أنّها تصف لنا واقعا خارجيّا فهي تقرّ بأنّ الأرض تدور حول نفسها كما أنّه يمكن الحكم عليه بالصّدق إذا كانت الأرض تدور حول نفسها بالفعل وبالكذب إذا

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :ص 61.

[2]- ينظر: المرجع نفسه: ص 43.

[3]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص 22.

كانت الأرض تدور حول شيء آخر فهذا يمثّل فعلا إخباريّا يتأكّد صدقه من خلال مطابقته الواقعَ.

الأمر نفسه بالنّسبة إلى الجملة(2)، فهي جملة خبريّة لكنّها تحمل فعلا إخباريّاً كاذباً لأنّه مخالف لواقع(تونس)الّتي لا ملك لها بل لها رئيس فالحكم على الجمل بالصّحة، والصّدق مرتبط بمطابقة وصفها العالمَ الخارجيّ.

ب- الأفعال الأدائيّة:les énoncés per formative1

أفعال لا تصف الواقع الخارجيّ، ولا تخضع لمعيار الصّدق، والكذب، وإنّما يحكم عليها بمعيار ثان، وهو النّجاح، والتّوفيق، أو الإخفاق، وتتّضح أهميّتها في كونها ملفوظات تستخدم لإنجاز فعل كالتّسميّة، والاعتذار والتّرحيب وغيرها[2].ويتّضح ذلك بالأمثلة الآتيّة[3]:

أ - أتمنّى لكم سفرا ممتعا.

ب - أرجو منكم المعذرة.

ج - أشكركم على حسن انتباهكم .

[1] - يقابل مصطلح (الإنجازية، الأدائية، الإنشائية) في اللغة الفرنسية مصطلحper formatifأما مصطلح (الوصفية، الإخبارية ،التقريرية، الإثباتية) مصطلح constatifs.ينظر: محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص62.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص44.

[3] - الجيلالي دلاش :مدخل إلى اللسانيات التداولية:22.

فالملاحظ أنّ الجمل لا تصف واقعا خارجيّا، ولا يمكن أن تقبل الحكم عليها بالصّدق، ولا بالكذب، وإنّما تحمل خاصيّة ثانية في أنّنا عندما نتلفظ بها ننجز في الوقت ذاته أفعالا، فمثلا في الجملة (أ) لا تصف واقعا خارجيّا، بل إنّه بمجرد التّلفظ بالفعل" أتمنّى" فإنّه يقوم في الوقت ذاته بإنجاز فعل "التّمنيّ"، وكذلك يتحقق فعل الرجاء في الجملة (ب)، وفعل الشّكر في الجملة (ج).ربما كنّا لا نملك قراءات متنوّعة للتّمييز بين الأفعال الإخباريّة، والأدائيّة، وتبعا لذلك نحن نشعر بالفرق واضحا بينهما حيث تصف الأولى حدثا، أو حالة معينة دون فعل أي لا تتجاوز القول إلى الفعل في حين تنجز الثّانية قولا، وفعلا في الوقت ذاته"[1]،كما أنّ للجمل الأدائيّة القدرة على التّأثير في الواقع، وإحداث أفعال معيّنة مثل(الوعد، والهبة والطّلاق) لذا تخضع لمعيار (الصّدق، أو الفشل).

ما نستشفّه من آراء "أوستين" أنّ نجاح الفعل الكلاميّ، وتحقّقه مقترن بتوافر مجموعة من المعايير، فإذا توافرت يكون الفعل الكلاميّ موفقا، وناجحا لا ننعته بالصّدق في حين عدم توافر تلك المعايير، أو وجود خلل فإنّ الفعل الكلاميّ يكون ناجحا، ولا ننعته بالكذب ولضبط معيار نجاح، أو فشل الفعل الكلاميّ راح "أوستين" يضع مجموعة من المعايير يمكن تقسيمها إلى قسمين هما المعايير التكوينيّة، والمعايير القياسيّة[2].

[1]- يحي بعيطيش :نحو نظرية وظيفية للنحو العربي :ص 139،140.

[2]- ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص44.

❖ **المعايير التكوينيّة:**

ضروريّة لتحقيق الفعل الأدائيّ، فإذا توافرت الشّروط ضمنت للفعل الكلاميّ نجاحَه وأبعدته عن الإخفاء، وتتمثّل في[1]:

- وجود إجراء عرفيّ(conventionnel procédure)مقبول، وله أثر عرفيّ محدد، ومتعارف عليه لدى المشاركين في العمليّة التّواصليّة كالزّواج، والطّلاق مثلا.
- أن يتضمّن الإجراء نطق كلمات محدّدة من قبل أناس معيّنين في ظروف معيّنة، فمثلا يشترط في الزّواج التّلفّظ بكلمات من مثل قول (زوّجني ابنتك)، والرّدّ (زوّجتك ابنتي على ما كان بيننا من مهر).
- أن يكون النّاس مؤهّلين لتنفيذ هذا الإجراء، مثل الشّروط الواجب توافرها في الزّوجين كالبلوغ والعقل....
- أن يكون التّنفيذ صحيحا، ففي الطّلاق مثلا لا يقع إلاّ بنطق كلمة "الطّلاق"، وإلاّ لما كان الطّلاق لأنّه لم يؤدّ أداءً صحيحا.
- أن يكون التّنفيذ كاملا، فعقد البيع مثلا لا يتمّ إلاّ من خلال تأكيد البائع، والمشتري رضاهما على المسألة بذكر الاستعمالات اللّغوية الصّحيحة نحو قول البائع: "بعتك كذا" فيقول المشتري: "قبلت" فإذا لم يقلها (الثّاني) كان الأداء ناقصا.

[1]- ينظر: المرجع السابق:ص64.

❖ **المعايير القياسيّة:**

تعدّ شروط غير ضروريّة مقارنة بشروط الملاءمة، لأنّ الفعل يتمّ، وإن لم يتوافر القول. لخّصها الدّارسون في مجموعة من الشّروط تضمن نجاح الفعل الكلاميّ بمجرد النّطق به، وتتمثّل في[1]:

- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره، ومشاعره، ونيّاته؛ فمثلا إذا قلت لصديقك: "أهنّئك بهذه المناسبة السّعيدة"، فأنت في قرارة نفسك لا تشعر بذلك، بل بنقيضه فقد أسأت أداء الفعل.
- أن يلتزم القائل بما يقول فعلا، فمثلا إذا قلت لشخص ما: "أرحّب بك"، ثم سلكت سلوكا غير مرحب، فقد أسأت أداء الفعل.
- يجب أن تكون مبنيّة للفاعل.
- يجب أن يكون زمن الفعل هو زمن المتكلّم.

يوضّح" أوستين" أنّ أيّ خلل بهذه المعايير جدير بتحويل الجملة إلى عبارة وصفيّة .

1-2-المرحلة الثّانية: تقييم معايير نجاح الفعل الكلاميّ:

على الرّغم من المجهودات الجبارة الّتي بذلها "أوستين" في التّمييز بين الأفعال الأدائيّة والأفعال الإخباريّة إلاّ أنّه لاحظ في نهاية الأمر أنّه لا يمكن الفصل بينهما، لأنّ الحدود بين هذين النّوعين من الأفعال لا تزال غير واضحة؛ وأنّ ما وضعه من شروط، وما أشار إليه من وسائل غير كافية للتّمييز بينهما إذ وجد أنّ شروط الأفعال الأدائيّة تنطبق أحيانا على أفعال غير أدائيّة

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص45.

والعكس صحيح، فعاد من حيث بدأ، وراح يتساءل عن مدى التّشابه بين الجمل الأدائيّة، والجمل الإخباريّة، وهل يمكن أن تؤدّى وفقا لشروط الجمل الإخبارية؟[1]، فمثلا قولنا: "أنا عطشان" ،فهي في الحقيقة فعل إخباريّ لكنّه يؤدّي وظيفة الأفعال الأدائيّة لأنّها تؤدّي معنى الطّلب بمعنى(أحضر لي كوب ماء)[2]؛وإن صحّ القول فهل تخضع الأفعال الأدائيّة لشرط الصّدق ،والكذب، والأفعال الإخباريّة لشرط النّجاح، والفشل ؟.

بعد الدّراسة، والتّحليل لبعض الأفعال اللّغويّة توصّل "أوستين" إلى إجابة مفادها (نعم يمكن ذلك)،ويوضّح ذلك من خلال المثال الآتي يقول: "يخبرك شخص ما بأنّ:

- اللّعبة على المكتب .

المتلفّظ الجملةَ يجهل أصلا إن كانت اللّعبة موجودة، فالجملة تقريريّة، وبالتّالي يكون الملفوظ التّقريريّ كاذبا؛ أمّا الملفوظ الإنجازيّ مخالف، وبذلك يكون الملفوظ كاذبا من جهة، وغير ملائم من جهة أخرى، لأنّه يخضع لشرط عدم الإخلاص على غرار الملفوظ الإنجازيّ كما يمكن أن تخضع الأفعال الأدائيّة نفسها لمعيار الصّدق، أو الكذب، ولعلّ ما يعزّز قولنا المثال الآتي:

- إنّي أحذّرك من أنّ خلف هذا الباب أفعى .

[1]- ينظر :محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص67.

[2]- عبد الحكيم سحالية :التداولية امتداد شرعي للسيميائية : المركز الجامعي، الطارف، ص 426.

هكذا يظهر للشّخص المخاطب أنّ ذلك الأمر مجرد خبر كاذب، وفي هذه الحالة يكون الفعل الأدائيّ(الإنجازيّ)عرضة للحكم عليه بالصّدق، أو بالكذب، ذلك لأنّ التّحذيرَ مخالف لشروط الملفوظ الأدائيّ بقدر ما هو تحذير غير صادق[1].

لم يفت "أوستين" التّنبيه إلى أنّ الجمل اللّغويّة كلّها تقوم على معيارين (الصدق والكذب)، ويقابلهما (النجاح، والفشل)؛ وبالتّالي يستحيل التّمييز بين الأفعال الأدائيّة، والأفعال الإجرائيّة كما توصّل إلى أنّ جميع الجمل اللّغويّة (قول، وفعل) في الوقت نفسه فضلا عن تحديده الفعلَ الإنجازيّ الّذي يؤدّي دورا محوريّا في نظريّة الأفعال الكلاميّة؛ إلاّ أنّنا نجد نوعين من الملفوظات (صريحة، وضمنيّة) والأمثلة الآتية توضّح ذلك:

أ- إنّ الشّمس محرقة اليوم .

ب-أقول:" إنّ الشّمس محرقة اليوم ".

نلاحظ أنّ كلتا الجملتين تحملان معنى واحد (الدّلالة على حرارة الشّمس اليوم) إلاّ أنّ الفرق بينهما يكمن في أنّ الجملة(أ)لا تحمل في بنيتها السّطحيّة قرينةَ التّكلّم، والخطابَ، وفعلاً إنجازيّا ظاهرا في حين نجد الجملة(ب)تحمل جميع تلك القرائن كما أنّ الجملة(أ) غامضة لا يظهر فيها قصد المخاطب واضحا (هل هو يحذّر من الخروج، أو ينهى عنه، أو يعلن)، وبالتّالي فالجملة تمثّل لنا ملفوظا إنجازيّا أوّليّا بخلاف الجملة(ب)تحمل قرينة الفعل(أقول)الّتي تمثّل لنا ملفوظا إنجازيّا صريحا .

[1]- ينظر: عبد الحق صلاح إسماعيل :التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد :ص 157،158.

على الرّغم من تلك المعايير، والشّروط الّتي وضعها "أوستين" من أجل التّمييز بين الأفعال الوصفيّة، وإلانجازيّة إلاّ أنّه في نهاية المطاف عجز عن تحقيق إقامة حدّ فاصل بينهما، فاقترح أن يتمّ اختزالهما ضمن نظريّة الأفعال الكلاميّة نظريّة شاملة لتكن بذلك البداية الأصليّة، الحقيقيّة لمرحلة ثالثة من مراحل التّفكير "الأوستيني" .

1-3- المرحلة الثّالثة: نظرية الأفعال الكلاميّة:

ينطلق "أوستين" من فكرة مفادها أنّ "الفعل الكلاميّ مركب من ثلاثة أفعال تعدّ جوانب مختلفة في فعل واحد، يحتوي الفعل اللّغويّ على ثلاثة أفعال تشكّل كيانا واحدا علما بأنّ تلك الأفعال الثّلاثة يقع حدوثها في وقت واحد"[1]،أي أنّ المتكلّم عندما يتلفّظ بكلام ما، فإنّه ينجز فعلا معيّنا في الوقت ذاته حيث يشكّل النّطق بأية جملة لغويّة إنجاز ثلاثة أفعال في الوقت ذاته الّتي لا ينفصل جانب من جوانبها عن الآخر إلاّ في الدّراسة، وتتمثل في فعل القول، والفعل الإنجازيّ والفعل التّأثيريّ[2].

***فعل القول**:(**Acte locutoire**) يتمثّل في تفوه المرء بشيء ما، ويتفرّع إلى ثلاثة أفعال لغويّة بحسب تقسيم "أوستين"[3]:

[1]- الجيلالي دلاش :مدخل إلى اللسانيات التداولية :ص 24.

[2]- محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 45،46.

[3]- الجيلالي دلاش :مدخل إلى اللسانيات التداولية :ص 24.

* **الفعل الصّوتي**:(**Actephonétique**) يعني التّلفّظ بمجموعة من الأصوات الّتي تنتمي إلى لغة مفهومة في تركيب إسناديّ صحيح له معنى.

* **الفعل التّبليغيّ**:(**Actephatique**) يقوم بإنتاج كلمات يكون لها صورة صوتيّة، وتنتمي إلى لغة محدّدة، وتخضع لقواعد نحويّة.

* **الفعل الخطابيّ**:(**Acte rhétique**) يتمثّل في الرّبط بين الكلمات، وجعلها ذوات دلالة معيّنة.

أفضت كلّ الجهود الّتي سبق ذكرها إلى القول: إنّ التّداخل بين الفعل الصّوتيّ، والفعل التّركيبيّ يبدو واضحا لدرجة لا يمكن الفصل بينهما، ذلك أنّ ضرورة إنتاج فعل تركيبيّ تستوجب معه فعلا صوتيّا قبله، وفعلا دلاليّا بعده؛ وذلك ما أشار إليه "فان دايك" في قوله: "ونحن نفهم من فعل الكلام الأصليّ فعلا معقّدا يقوم هو ذاته على مراتب متعدّدة من إنجاز الفعل، وأعني مستوى النّطق (الفونيطيقيّ)، والمستوى (الفونولوجيّ) "وظيفة الصوت"، والصّرفيّ ومستوى التّركيب النّحويّ"[1]، والمخطط الآتي يوضح التّداخل:

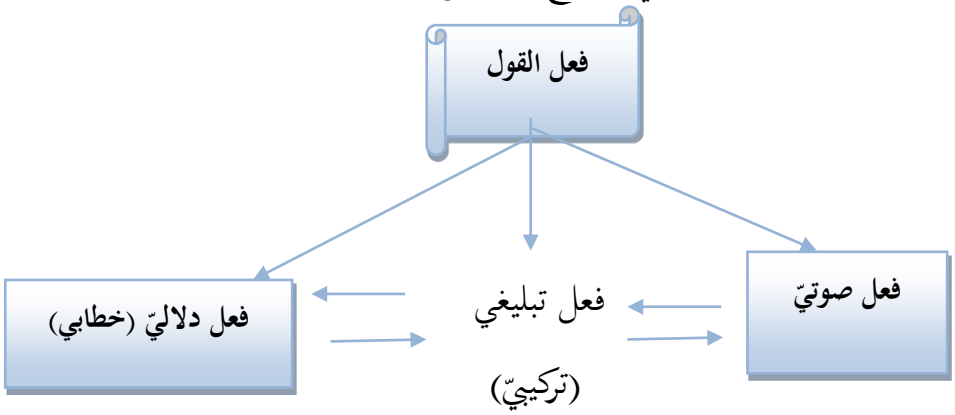

[1]– فا ن دايك :النص والسّياق: ص 263،265.

غير أنّ ذلك لا ينفي أنّ الأفعال الفرعيّة الثّلاثة متداخلة فيما بينها، وتشكّل كيانا واحدا وهذا ما نلفيه عند "فان دايك" في قوله:"...ونحن نفهم من فعل الكلام الأصليّ (Actlocutionnary) فعلا معقّدا يقوم في ذاته على مراتب متعدّدة من إنجاز الفعل، وأعني مستوى النّطق (الفونيطقيّ)، والمستوى (الفونولوجي) "وظيفة الصّوت"، والصّرفيّ، ومستوى التّركيب النّحويّ[1] ".

* **الفعل الإنجازيّ**:(**Acte illocutoire**)

فعل ينجز بواسطة القول، ويصطلح عليه "الجيلالي دلاش" بالفعل الإنشائيّ نحو قوله: "أمّا الفعل الإنشائيّ فيتمثّل في إنجاز عمل ما بإنتاج الفعل الإنشائيّ"[2]،ويتحقّق بقولنا شيء ما، ويقصد به ما يؤدّيه الفعل اللّفظيّ من وظيفة في الاستعمال كالوعد، والتّحذير، والأمر، وإلى غيره، وعليه فعمليّة إنجاز الفعل الكلاميّ، وتحقّقه متعلّقة بقصد المتكلّم، وفهم السّامع القصدَ فهما جيّدا، ومن ثمّة الاستجابة له؛ ويشير "أوستين" إلى أنّ الفعل القوليّ، والفعل الإنجازيّ متداخلان لدرجة يصعب فصلهما، ويمكن توضيح التّداخل من خلال الشّكل الآتي:

[1]- فان دايك: النص والسّياق: ص 263،265.

[2]-الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24.

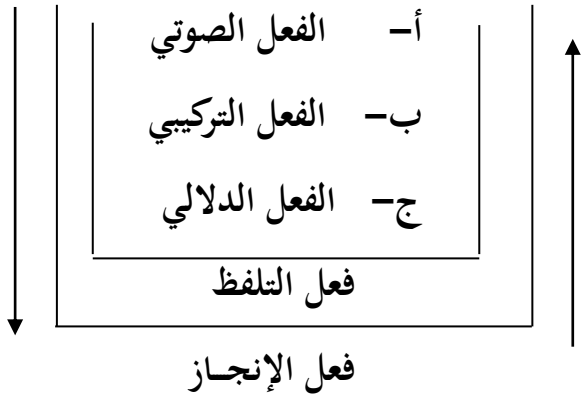

*** الفعل التّأثيريّ: Acte perlocutoire:**

يقصد به الأثر الّذي يحدثه الفعل الإنجازيّ في نفسيّة السّامع، أو المخاطب سواء كان تأثيرا جسديا، أم فكريا، أم شعوريا[1]،فقد يغضب ممّا يسمعه، ويفهمه، وقد يفرح، أو يشعر بالإحراج فالمتكلّم يطمح من وراء كلامه التّأثير في أفكار المتلقّي (المستمع)، وأحاسيسه وجلبه إليه فيتضّح له، وتسمّى الاستجابة فعلَ التّأثير في الخطاب، ولا يقع ذلك إلا ّإذا تمحور في ذهن المستمع فعل الاقتناع (persuader) [2].

بإمكاننا القول:" إنّ الأفعال الثّلاثة تتداخل فيما بينها لاسّيما الفعل الإنجازيّ، والفعل التّأثيريّ، ونسوق مثلاً يتضح به الفعل الكلاميّ المركب من ثلاثة أفعال، نحو قولك لشخص ما: "إذا دخل عليك شخص، وقال لك :

*خلف هذا الباب أفعى .

[1]- ينظر :محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 68.

[2] - ينظر: علي آيت أوشان: السّياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة ،المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع ط1، 2000، ص 71.

فالفعل اللّفظيّ يتمثّل في الهيئة التّركيبيّة للجملة بأصواتها التي نطقت، وتركيبها النّحويّ الصّحيح، ومعناها الحرفيّ الّذي يقرّر أنّ خلف الباب أفعى، أمّا الفعل الإنجازيّ فما يقصده المتكلّم من القول، ويتمثل في التّحذير من الأفعى، والفعل التّأثيريّ ما يخلفه القول من أثر فيك قد يكون الفزع، أو الهرب من المكان، أو النّهوض لقتلها، وبالتّالي يتحقّق إنجاز الأفعال الثّلاثة في الوقت ذاته[1].

فعل القول ⟵ خلف الباب أفعى .

الفعل الإنجازيّ ⟵ التّحذير من الأفعى.

الفعل التّأثيريّ ⟵ الفزع، أو الهرب من المكان، أو النّهوض لقتلها.

تتجلّى ثقافة "أوستين" في تركيزه على الفعل الإنجازيّ حتى أصبح لبّ النّظريّة ينتاب فكر الباحث المتفحّص بوادر أفق تماثليّ ، فلم يرق "لبعض (مدرسة أكسفورد) هذا التّقسيم، ونعتوه بالتّقسيم غير الحاسم يشوبه الكثير من الغموض، واللّبس...من بينهم "سورل"[2].

على إثر الانتقادات الّتي وجهها بعض الدّارسين لتقسيمات "أوستين" السّابقة، أجاد في دراسته، وراح يعمل على تصنيف الأفعال الكلاميّة ضمن خمسة أصناف كبيرة مقسّمة على أساس مفهوم قوّتها الإنجازيّة(illocutionary)،وتتمثّل في[3] :

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 68

[2]- عبد الحق صلاح إسماعيل: التحليل عند مدرسة أكسفورد:ص 225،221.

[3]-ينظر: سحالية عبد الحكيم :التداولية :مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،قسم الأدب العربي، جامعة الطارف، العدد الخامس 2009.وينظر:محمود أحمد نخلة:أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص69ومابعدها.

- **أفعال الأحكام(Les verdictifs)**: هدفها إصدار الأحكام مثل: برأ، حكم قدر.
- **أفعال الممارسات/القرارات(les executives)**: الّتي تعبر عن اتخاذ قرار لمصلحة أو ضد شخص مثل: (عين، نصح، حذر).
- **أفعال التّعهّد (les commissives)**: الّتي يتعهّد فيها المتكلّم بفعل شيء، فيلزم نفسه مثل: (أعد، أتعاقد على ،أقسم).
- **أفعال السّلوك/السّيرة(les conductives)**: تشكّل مجموعة متباينة ترتبط بسلوك المتكلّم الاجتماعيّ، فتحمله على اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب كـ (الاعتذار والشّكر، والمواساة).
- **أفعال الإيضاح /العرض(Les expositives)**: تستعمل لتوضيح وجهة النّظر، أو بيان الرّأي، وذكر الحجّة مثل:(برهن ،أثبت، استنبط).

يشير "أوستين" إلى أنّ المجموعات كلّها متداخلة ،إذ يتدخّل السّيّاق أحيانا ليجعل من فعل الحكم فعل الممارسة، أو العكس، وهذا يصحّ بالنّسبة إلى كلّ المجموعات، والمخطّط الآتي يوضّح أشكال الفعل الإنجازيّ عند "أوستين"[1]:

[1] Dominique (maingueneau) pragmatique pour le discoure ,1-littéraire édition : collection lettre, sup,dunod paris France 1997,p10.

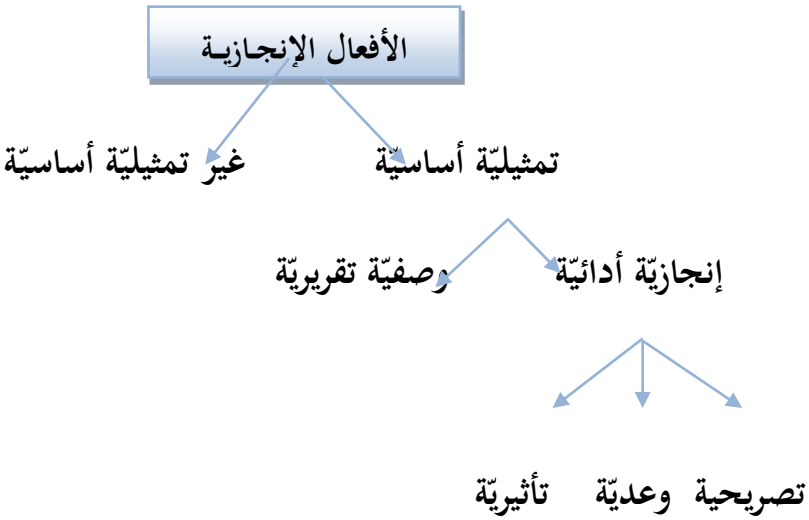

من هذا المنطلق النّابع من فكرة مجملة حول دراسة الأفعال الكلاميّة في إطار نظريّة شاملة عامّة يمكن القول: إنّه على الرّغم من المجهودات الكبيرة الّتي بذلها "أوستين" في وضع نظريّة متكاملة للأفعال الكلاميّة إلاّ أنّه لم يستطع تحقيق ما سعى إليه لأنّ نظرته إلى لفعل الكلاميّ لم تكن قائمة على أسس منهجيّة، واضحة، محدّدة، لكنه كان كافيا ليكون عامل انطلاق لعدد من المفاهيم الأساسيّة خاصة مفهومَ الفعل الإنجازيّ الّذي أصبح مفهوما محوريّا في هذه النّظريّة. هذه الأعمال كلّها كانت مثل مركز انطلاق للباحث، "ج.سورل" الّذي يعد المرحلة الأساسيّة الثّانية من مراحل تطور نظريّة الأفعال الكلاميّة.

2- إسهامات "جون.ج.سورل" (John-R-Searle) في تطوير نظريّة الأفعال الكلاميّة:

كانت جهود "أوستين" نقطة انطلاق لتأسيس نظريّة جديدة عند "سورل"،حيث أكمل مساعي "أوستين"، وأفكاره، وأعاد صياغتها، وتحديدها حيّنما حدّد مفهوم الفعل الإنجازيّ[1] الّذي غدا مفهوما محوريا في نظريّة أفعال الكلام، وأحكم الأسس المنهجيّة الّتي تقوم عليها ممّا

[1]-ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 71.

أدى إلى ظهور نظريّة منتظمة (Systematique) لاستعمالات اللّغة بمصطلحات الأفعال الكلاميّة القائمة على مبدأ القصديّة (Intentionnalité)، فالكلام محكوم بقواعد مقصديّة من وجهة نظر "سورل"، وأنّ القواعد يمكن أن تتحدّد وفق أسس منهجيّة واضحة، متصلة باللّغة[1]؛وتقوم جهود "سورل" في نظريّة الأفعال الكلاميّة على أسس، ومبادئ يمكن إنجازها من خلال مرحلتين أساسيّتين من مراحل البحث هما: مرحلة الأفعال الكلاميّة المباشرة، ومرحلة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة[2].

2-1- مرحلة الأفعال الكلاميّة المباشرة:

أعاد "سورل" في هذه المرحلة النّظر في تصنيف "أوستين" الأفعالَ الكلاميّة، فبيّن ما فيه من أوجه الضّعف على أساس التّمييز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه: (فعل القول، والفعل القضويّ، والفعل الإنجازيّ، والفعل التّأثيريّ[3] .

2-1- 1- فعل القول: (**Acte d'énonciation**) يتمثّل في التّلفّظ بكلمات، وجمل ذات بنى تركيبيّة، وصرفيّة، ونحويّة على نحو صحيح.

2-1- 2- الفعل القضويّ:(**Acte propositionnel**) يشمل المتحدّث عنه، أو المرجع (reference)، والمتحدّث به، أو الخبر (prediction) وينقسم حسبه إلى فرعين أساسيّين هما[1]:

[1]- ينظر: المرجع السابق :ص 71.

[2]- المرجع نفسه:ص72.

[3] -John .R.Searl:les actes de langage: essai de philosopgye de langage Hermann ,paris,1972,p60,72.

2-1- 3-الفعل الإحاليّ: يسمح بربط الصّلة بين المتكلّم، والسّامع، ويمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتيّة :

أ- أنصحكم بمغادرة القاعدة .

ب- "عنترة بن شداد" شاعر مخضرم.

ج- "بليدة" مدينة الورود.

الجملة (أ) أحالت على "الأنا" في "أنصحكم" بصيغة الفعل المضارع "أفعل"، وعلى "الأنتم" بالضمير "كم" فهي إحالة مع الإسناد المتمثّل في مغادرة القاعة' أمّا: "عنترة بن شداد" في الجملة (ب) فتحيل إلى اسم شخص معين معروف في وسط الشّعر، كما تحيل كلمة (بليدة) في الجملة (ج) إلى اسم علم لمكان معيّن .

يمكن القول:" إنّ "سورل" استطاع أن يميّز بين نوعين من الإحالة ،الإحالة "فعل"، وقد تكون نتيجةَ ذلك أنّ الكلمات الّتي تشكّل جملة ما إذا أبعدت عن سّياق المتكلّمين بها تصبح كلمات معجميّة ذات معنى عام، فتفقد دلالتها على التّعريف، أو التّخصيص؛ ولتوضيح الاختلاف بينهما ندرج المثالين الآتيّين[2]:

1-"شمس الدّين" في المدرسة.

2-لمس عرض الجدار.

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص 72.

[2]-ينظر: يحي بعطيش :نحو نظرية وظيفية للنحو العربي :ص 152،153.

فاسم "العلم" (شمس الّدين) في الجملة (1) لا يحيل على شخص محدد، بل يدلّ على أيّ شخص يدرس في الجامعة؛ فلم يرتبط تلفّظه بمتكلّم ثان، وهو المستمع، أما لفظة الجدار في الجملة (2) فهي الأخرى لا تدل على جدار معيّن بالرّغم من أنّها معرّفة، فلا إحالة لها.

2-1- 4-الفعل الحمليّ:(**Acte de prédication**)يتمثّل في الإسناد، أي تنسب عملا إلى الحامل لهذا الشّيء كقولنا في الجملة السّابقة:"(عنترة بن شداد) شاعر مخضرم، فقد أحلنا على شخص معيّن (عنترة بن شداد)، وحملنا عليه شيء معيّنا، فنسبنا إليه الشّعر".

ما يزيد في إثبات أحقيّة المقتضى التّصوريّ، ما طرحه "سورل" حين عمد إلى تصوّر قوامه أنّ الفعل الإحاليّ، والفعل الحمليّ يشكّلان قضيّة واحدة (proposition) ليست بعد بفعل كلاميّ[1].

2-1- 5- الفعل الإنجازيّ: (**Acte illocutionnaire**) يتمثّل في القصد المعبّر عنه في القول، فقد يكون تحذيرا، أو تهديدا، أو وعدا، أو أمرا مثل: (أنصحك، أمرك)، ولا يختلف عمّا اقترحه "أوستين".

هكذا ندرك إلى أي مدى لا يمكن أن يقع الفعل القضويّ وحده، بل يستخدم دائما مع فعل انجازيّ في إطار كلاميّ مركب، بحيث لا يمكن أن تنطق بفعل قضويّ دون أن يكون لك مقصد من نطقه، وعليه نخلص إلى القول:" إنّ الفعلان القضويّ، والإنجازيّ مرتبطان فيما بينهما ارتباطا شديدا يجعل كلّ فعل من هذين الفعلين مكمّلا للآخر؛ ومن بين ما أشار إليه "سورل"

[1]- ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25.

نصّه على أنّ الفعل الإنجازيّ الوحدة الصّغرى(Minimale unité) للاتصال اللّغويّ ككل والأمثلة الّتي ندرجها توضيح ما سبق:[1]

1- يقرأ زيد الكتاب .

2- أيقرأ زيد الكتاب ؟.

3- لو يقرأ زيد الكتاب!.

فعند نطقنا بأيّة جملة من تلك الجمل يكون المتكلّم قد أنجز ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد:

* فعلا نطقيّا عن طريق تلفّظنا بجملة من الأصوات على نسق نحويّ، ومعجميّ صحيح.

* فعلا قضويّا: يتمثّل في المرجع، أو الإحالة إلى شخص معيّن، إمّا عن طريق ذكر اسمه (زيد) كما في الجمل الأربعة، بالإضافة إلى أنّ الجمل الأربعة تعبر عن قضيّة واحدة، وتمثّل قراءة الكتاب فالفعل الإحاليّ، والفعل الحمليّ شكلا معا قضية واحدة، وهي المحتوى المشترك بين الجمل الأربعة (قراءة الكتاب)، وفي الوقت نفسه تحقّق الفعل الإنجازيّ الّذي يتمثّل في الإخبار في الجملة (1)، والإستفهام في الجملة (2)، والأمر في الجملة (3)، والتّمنّي في الجملة (4)[2].

الواقع الشّارح أنّ الجمل الأربعة تحمل نفس الإحالة، ونفس الحمل، وإن كانت تحيل على أفعال إنجازيّة مختلفة، وإن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ فعلي الحمل، والإحالة لهما سلطة

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص 72.

[2]-ينظر: المرجع نفسه : ص 72.

مستقلّة عن الفعل الإنجازيّ؛ كما يمكننا أن نستغني عن الفعل القضويّ، والإنجازيّ في حضور الفعل التّلفظيّ؛ ذلك أنّ الأفعال التّلفظيّة لا تتطلّب سوى إنتاج سلسلة من الكلمات، أمّا الأفعال القضويّة، والإنجازيّة فتتطلب إدراج تلك الكلمات داخل جمل ذات سياقات مقاميّة معيّنة وبشروط معيّنة.[1]

يدلّ على القوّة الإنجازيّة دليل يسمى دليل القوّة الإنجازيّة Indicateur de la force illocutionnaire يسهم في تبيين نوع الفعل الإنجازيّ الّذي يؤدّيه المتكلّم بنطقه الجملةَ ،ويتمثّل في اللّغة (الإنجليزيّة) في نظام الجملة (النبر) accent،والتّنغيم intonation، وفي علامات التّرقيم Ponctuation في اللّغة المكتوبة، وصيغة الفعل Mode، وما يسمّى أيضا الأفعال الأدائيّة Performatifs[2] .

هكذا يغدو الفعل الكلاميّ عند "سورل" أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل مرتبط بالعرف اللّغويّ، والاجتماعي، ولخص ذلك في عبارة مأثورة:

Meaningis more than a matter of intention, itisalsomatter of convention

لعلّ التّحليل يخلص بنا إلى استنتاج أنّ الفعل التّأثيريّ عند "سورل" ليس له أهميّة كبيرة ذلك لأنّه ليس من الضروريّ أن يكون لكلّ فعل تأثير في السّامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما .

[1]– نعيمة الزهري:الأمر والنهي في اللغة العربية : ص 153.

[2]– ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 73.

تشير بعض المداخل النّظريّة إلى أنّ نقطة انطلاق "سورل" سببها تطوير شروط الملاءمة عند "أوستين " الّتي إذا تحقّقت في الفعل الكلاميّ تحقّق إنجازه في الواقع، فلخّصها ضمن أربعة شروط، وطبّقها تطبيقا محكما على أنماط من الأفعال الإنجازيّة مثل: أفعال الرجاء، والإخبار والاستفهام، والشكر، والنّصح، والتّحذير...وبيّن ما قد يحتاج إليه كلّ منها إلى بعض شروط إضافيّة وما يستغني منها[1] ؛ ونلمس بعض الشّروط المطبّقة في فعل الرّجاء الّتي يمكن تعميمها على بعض الأفعال الكلاميّة الأخرى، ونجملها في القواعد الأتيّة[2]:

1- **قاعدة المحتوى القضويّ/الإسناديّ**: Lesrègles du contenupropositionnel:

يقتضي إنجاز فعل في زمن المستقبل بطلب من المخاطب.

2- **القاعدة التّمهيديّة /التّقديم**:(règle d'introduction)

يتحقّق الشّرط إذا كان المخاطب قادرا على إنجاز الفعل، والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل.

لنرمز للمتكلّم، والسّامع، والفعل المراد إنجازه على التوالي بـ (أ)، (ب) ،(ت) حيث:

- يطلب (أ) من (ب) القيام بالفعل (ج).
- (ب) قادر على القيام بالفعل (ج)، و(أ) على يقين من قدرة (ب) على إنجاز الفعل(ج).

[1]- ينظر :المرجع السابق: ص 73.

[2]- ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص 26.

- يشترط ألاّ يكون كل من (أ) و(ب) على علم بأنّ (ب) سيقدم على إنجاز الفعل (ج) في المجرى العادي للأحداث، وتلقائيّا.
- يشترط أن يكون (أ) في مقام من له سلطة على (ب)[1].

3- **قاعدة الإخلاص (Règle de sincérité)**:

يتحقّق حين يكون المتكلّم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنّه قادر على فعل ما لا يستطيع[2] ومفادها أنّ:

المتكلم (أ) يريد حقّا من المخاطب (ب) أن ينجز الفعل (ج).

4-**القاعدة الأساسيّة (Règle essentielle)**:

تتمثّل في محاولة المتكلم (أ) التّأثير في السّامع (ب) قصد إنجاز الفعل (ج).

2-1- 6- الفعل التّأثيريّ (Acte perlocutionnaire):

يكمن في محاولة المتكلّم التّأثير في السّامع دون أن ننسى دور المستمع الّذي يريد الوصول إلى مقاصد المتكلّم باعتماده على جميع العناصر المقضيّة للتّواصل؛ فالفعل المباشر عند "سورل" الأقوال الّتي" تتوافر على تطابق تامّ بين معنى الجملة، ومعنى القول[3] ،أو تطابق معنى الجملة، ومعنى قصد المتكلّم.

[1]- نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية:ص158.

[2]- محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص75.

[3]- المرجع السابق :ص 50.

حين نتبع لحظات انطلاق "سورل" في التّأسيس لنظريّة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة نجد أنّه لم يكتف بتلك القواعد، بل أضاف إليها مجموعة من المعايير بلغت – على الأقل– نحو (اثني عشر بعدا) (dimension) يختلف فيها كلّ فعل إنجازيّ عن الآخر، والّتي نوجزها باختصار فيما يلي [1]:

1- الاختلاف في الغرض الإنجازيّ للفعل (illocutionary point):

الغرض الأنجازيّ للأمر يتمثّل في محاولة التّأثير في السّامع ليقوم بفعل ما في حين الغرض الإنجازيّ من الوعد إلزام المتكلّم نفسه بفعل شيء ما للمخاطب، ويعدّ الغرض الإنجازيّ جزءا من القوّة الإنجازيّة لكنه ليس ذاتها[2].

2- الاختلاف في اتجاه المطابقة (direction d asustement اتّجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازيّة يكون من الكلمات إلى العالم كالإخباريّات(assertion)، ونرمز إلى الاتجاه بالسّهم الصّاعد(↑)، وفي بعضها الآخر يكون إلى الكلمات ك(الوعد، والرّجاء) الّذي يرمز إليه بالسّهم النّازل(↓).

[1]-John.R.searle: expression and meaning:studies in the theory of speech acts, Cambridge university,press,1981,p2.

وينظر: محمود أحمد نحلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 75،وما بعدها.

[2]- ينظر : المرجع نفسه :ص 75.

3- الاختلاف في الموقف النّفسيّ الّذي يعبر عنه المتكلّم:

الّذي يعِد، أو يتوعّد فإنّه بصدد التّعبير عن مقصديّة الإنجاز الّذي يأمر، أو يطلب، أو يرجو فإنّه يكون بصدد التّعبير عن رغبته في أن ينجز السّامع الفعل، وأمّا الّذي يعتذر فإنّه يعبر عن النّدم على ما فرط منه،[1] وبالتّالي يمكن القول: إنّ المتكلّم عندما يقوم بفعل إنجازيّ، فإنّه في الوقت نفسه يعبّر عن موقفه وحالته النّفسيّة بالنسبة إلى المحتوى القضيّة بإخلاص الّذي يسمىّ (شرط الإخلاص) عند "سورل".

4- الاختلاف في القوّة، أو في الدّرجة الّتي يعرض بها الغرض الإنجازيّ:

تختلف القّوة المتضمّنة في الفعل الكلاميّ من فعل إلى آخر فقد نصادف فعلا كلاميّا أشدّ قوّة من فعل كلاميّ آخر كما في المثاليين الآتيّين[2]:

أ- أقترح أن نذهب إلى السّينما .

ب-أصرّح بأن نذهب إلى السّينما .

الغرض الإنجازيّ في الجملتين (أ، ب) واحد، والمتمثّل في الذّهاب إلى السّينما؛ إلاّ أنّ درجة القوّة الّتي تمّ بها التّعبير عن الغرض الإنجازيّ مختلفة، وفي الجملة(ب) أقوى، وأشدّ منه في الجملة(أ).

[1]- المرجع السابق :ص 75.

[2]- المرجع نفسه :ص 76.

5-الاختلاف في منزلة كل من المتكلّم، والسّامع :

يؤدّي إلى التّأثير في القوّة الإنجازيّة لفعل كلامي واحد فمثلا: إذا طلب ضابط من جنديّ أن يفعل شيئا ما، فسيكون طلبه هنا عبارة عن أمر موجه للجنديّ، ولابد من طاعته أما إذا طلب الجنديّ من الضّابط فعل ذلك الشّيء فسيكون طلبه إمّا اقتراحا، أو رجاءً؛ وللضّابط حريّة فعله أو تركه، لكنّه لا يكون أمرا[1]، فمنزلة كل من الضّابط، والجنديّ ساهمت في تغيير قوة الفعل الإنجازية، وتحويلها من الأمر عند الضّابط إلى الرّجاء، والاقتراح عند الجنديّ.

6-الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلّم، والسّامع:

كالاختلاف بين المدح، والرّثاء، أو التّهنئة، والتّعزيّة، ويعتبر المعيار نمطا آخر من أنماط الشّرط التّمهيديّ (règle d'introduction)[2].

7-الاختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب، والسّياق الّذي يقع فيه:

يتعلّق الأمر بربط الأقوال التّالية بالأقوال السّابقة، وبالسّياق المحيط بها مثل: (أجيب أستدل ،أعترض ....

[1]- ينظر:محمود أحمد نخلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :ص76.

[2] - ينظر :المرجع نفسه :ص 76.

8- الاختلاف في المحتوى القضويّ: (propositionnel content)

يتمّ تحديده عن طريق القوّة الإخباريّة، والوسائل الدّالة، كالاختلاف بين الإخبار والتّوقّع فالإخبار يكون عن أمر مضى، والتّوقّع يكون لأمر في المستقبل.[1]

9- الاختلاف بين الأفعال الّتي لا تكون الأفعال كلاميّة، والأفعال الّتي يمكنها أن تكون أفعال كلاميّة:

إذا أردنا تصنيف الأشياء في مكانها، فيمكننا بكلّ بسهولة، دون التّلفّظ بأيّ قول، فما علينا سوى أن نضعها في مكانها المناسب[2] .

10- الاختلاف بين الأفعال الّتي تقتضي أعرافا لغويّة لإنجازها، والأفعال الّتي لا تقتضي ذلك:

بعض الأفعال الإنجازيّة تتطلب أعرافا غير لغويّة كالزّواج، وإعلان الحرب، فيجب أن يكون للمرء وضع داخل العرف غير اللّغويّ على غرار أفعال كلاميّة أخرى لا يتطلب إنجازها إلّا على العرف اللّغويّ كأفعال الوعد والإخبار[3] .

11-الاختلاف بين الأفعال الّتي يمكن أن تكون أدائيّة، والأفعال الّتي ليست كذلك:

معظم الأفعال الإنجازيّة قابلة للأداء مثل:(أقرر، آمر، أستنتج)،لكن ثمّة أفعال إنجازيّة ليست أدائيّة

[1] - ينظر :المرجع السابق :ص 77.

[2] - ينظر:المرجع نفسه: ص 77.

[3] - المرجع نفسه : 77ص.

لا تؤدّى بالقول فقط، لأننا لا تستطيع أن تقنع شخصا بشيء ما بقولك له "أنا أقنعك "فليست كل الأفعال الإنجازيّة أفعالا أدائيّة .

12- الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازيّ:

مثل الاختلاف بين الإعلان، والإسرار، فهما لا يختلفان في الغرض الإنجازيّ، ولا في المحتوى القضويّ، بل يختلفان في أسلوب الأداء فحسب[1].

لن نبالغ إذا ما قلنا أنّ بتلك المعايير الّتي صاغها "سورل" بهدف التّمييز بين الأفعال الإنجازيّة؛ نكون قد أزلنا اللّبس، والغموض، وتطرّقنا إلى أهمّ الإنجازات، والتّعديلات الّتي قام بها في مرحلة الفعل الكلاميّ المباشر.

2-2- مرحلة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، وإسهامات "بول جرايس":

ميز "سورل" بين ما أسماه بالأفعال الإنجازيّة المباشرة les actes illocutionnaires directs، وهي الأفعال الّتي تطابق قوّتها إلانجازيّة مراد المتكلّم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامّة، وحرفيّة لما يريد أن يقول، والأفعال الإنجازيّة غير المباشرة(les actes illocutionnaires indirects)الّتي تخالف فيها قوّتها الإنجازيّة مراد المتكلّم، وفيها ينتقل المعنى

[1] - ينظر:محمود أحمد نحلة :أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 77.

الحقيقيّ إلى معنى مجازيّ، فالفعل الإنجازيّ يؤدّى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازيّ آخر[1].

لا مندوحة في القول أنّ"سورل" يرى أنّ بعض الجمل يمكن أن تتعدّد قوّتها الإنجازيّة،كأن تحمل القضيّة نفسها أكثر من قوة إنجازيّة واحدة، ويمكن توضيح هذا التّخريج من خلال المثال الآتي :

قولك لصديقك قام بضرب والدته.

* أتضرب والدتك؟

فالجملة تشكّل فعلا إنجازيّا غير مباشر، لها قوّتان إنجازيّتان تماثلان نفس المحتوى القضويّ حيث تنجز فعل السّؤال المدلول عليه حرفيا، بقرائن بنيويّة، وهي أداة الاستفهام "الهمزة"، وعلامة الاستفهام "؟".إلا أنّ الجملة في المقام السّياقي الّذي وجدت فيه لا يقصد من كلامها إنجاز فعل السّؤال، وإنّما أنجز بها فعل الاستنكار، وهو الفعل الكلاميّ غير المباشر؛ وعليه يرى "سورل" أنّ مثل هذه الجملة تنجز فعلين كلاميّين أولهما مباشر نعرفه من خلال المعنى الحرفي للملفوظ، وآخر غير مباشر يفهم من سياق الكلام، وتنتقل من الأوّل إلى الثّاني عبر جملة من الدلائل[2].

[1]- المرجع السابق :ص 81.

[2]- عبد الحق صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص 232،238.

وهنا نجد أنفسنا أمام الإشارة، التّعديل الّذي قام به "سورل"، ومساهمته في تطوير نظريّة الأفعال الكلاميّة بتصنيفه الأفعالَ إلى خمسة أصناف:[1]

❖ **الإخباريّات (Assertifs)**:

يتمثّل الغرض الإنجازيّ فيها في وصف المتكلّم، ونقله واقعة معيّنة من خلال قضيّة (Proposition) يعبر بها عن الواقعة، وأفعالها تحتمل الصدق، والكذب؛ وذلك باستعمال رمز التّقدير التّالي(⊢)، واتّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها نقل الوقائع بصدق، وأمانة تأييدا لصدى المحتوى القضويّ ويرمز "سورل" لهذه الفئة ب:(↓⊢ع م) فالسّهم النّازل يشير به إلى اتجاه المطابقة، والرّمز(ع) إلى الحالة النّفسيّة، والرّمز (م) إلى الدّلالة على المحتوى القضويّ.

❖ **التّوجيهات : (Directifs)**

يتمثّل الغرض الإنجازيّ فيها في محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معيّن، وقد تكون هذه المحاولات ليّنة كقوله مثلا:" أناشدك"، وقد تكون عنيفة كأن يقول مثلا:" أصّر أن تفعل كذا"، واتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص يتمثّل في الرّغبة الصّادقة، والإرادة الحقيقيّة كالأمر، والنّصح، والاستعطاف، ورمز هذا الصّنف (!↑غ) (ص ينجز

[1]– ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 79 وما بعدها، وينظر: عبد الحق صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 232،238.

ف) حيث (!) تمثل الغرض الإنجازيّ، و(↑) يمثل اتجاه المطابقة، والرّمز(**غ**) يمثّل الحالة النّفسيّة و(**ص**) يمثل المستمع، و(**ف**) يشير إلى الفعل الكلاميّ الّذي سينجزه المستمع في المستقبل[1].

❖ **الإلتزاميّات (Commissifs)**:

غرضها الإنجازيّ التّعبير عن التزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل، واتّجاه المطابقة يتمثّل في الانتقال من العالم إلى الكلمات، أمّا شرط الإخلاص فهو القصد(Intention)كالوعد، والوصيّة والمحتوى القضويّ، وفعل المتكلّم، والصورة الرّمزيّة لهذا الصّنف هي كالآتي:(**أ↑م**) (**س ينجز ف**) يمثل الرّمز(**أ**) أعضاء هذه الفئة، والرّمز(↑) يرمز إلى اتجاه المطابقة، والرّمز (**م**) يرمز إلى المقصد الّذي يمثل لنا شرط الإخلاص، و(**س**) يرمز إلى المتكلّم، و(**ف**) يشير إلى الفعل الكلاميّ الّذي سينجزه المتكلّم مستقبلا.

❖ **التّعبيرات**: (**expressifs**)

يتمثّل غرضها الإنجازيّ في التّعبير عن الموقف النّفسيّ تعبيرا يتماشى مع شرط الإخلاص وينعدم فيها اتّجاه المطابقة، ويدخل فيها التّهنئة، والشّكر، والاعتذار؛ فالمرسل لا يجعل كلماته مطابقة للعالم الخارجيّ، والمطلوب فقط الإخلاص، ويرمز "سورل" إلى أفعال هذا الصّنف بالصّورة الرّمزية التّالية:[**عØ ك(س/ص+ خاصيّة)**]، حيث يشير(ع) إلى الغرض من التّعبير و(**Ø**) ترمز

[1]- المرجع السابق :ص 79.

إلى إفراغ رمز فارغ لاتّجاه المطابقة، والرّمز (**ك**) يدلّ على الحالة النّفسيّة المعبّر عنها في أداء الأفعال الغرضيّة لهذه الفئة[1].

❖ **الإعلانيّات**: (**Déclarations**)

سمّتها المميّزة أداؤها النّاجح في مطابقة محتواها القضويّ للعالم الخارجي فمثلا: إذا أدّيت فعل تعيين شخص رئيسا للوفد أداء ناجحا، وكان الأداء صحيحا فسوف يكون رئيسا على الفور ومن أمثلة هذه الفئة: "أعلن ،أسمي، أراهن"، واتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص، ويرمز "سورل" إلى هذه الفئة بالرّمز الموالي:[إ↕**Ø** (م)] ،حيث يمثل الرمز (إ) إنجاز أفعال هذه الفئة، والسّهم (↕) يشير إلى اتجاه المطابقة، أمّا الرّمز (**Ø**) يدلّ على عدم وجود شرط الإخلاص، والرّمز (م) يرمز إلى المتغيّر القضويّ، ويرجع السّبب في وجود سهم المطابقة مزدوج الاتجاه هو أنّ التّصريحات تحاول التّأثير في اللّغة لتتماثل مع العالم[2] .

كثيرا ما عمد "بول جرايس" إلى التّنظير لظاهرة الأفعال الكلاميّة المباشرة، وغير المباشرة في محاضراته، فاصطلح على تسميتها بظاهرة الاستلزام الحواريّ Implication conversationnelle الّتي يميّز من خلالها بين قوّتين: أوّلها القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، نستدل عليها

[1]-ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص 79 وما بعدها، وينظر: عبد الحق صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 232،238.

[2] - المرجع نفسه :ص 80.

من خلال المميّزات البنيويّة للمقال كأدوات الاستفهام، والنّهي...، وثانيها القوّة المستلزمة الّتي تعرف من خلال الطّبقات المقامة، ومفادها أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال Whatissaid ، وما يقصد Whatismean[1]؛ وتقوم النّظرية على مبدأ التّعاون Le principle de cooperative ، الّذي مفاده أن تجعل تدخلك في الحديث كما هو مطلوب منك من حيث اختيار التّوقيت المناسب، وأن تكون مساهمتك متماشية مع الهدف ،والتّوجه المسلّم بهما للتّبادل الخطابيّ الّذي تقع ضمنه[2]؛ والهدف منه حثّ المتكلّم، والسّامع على تحقيق التّواصل وبلوغ المعنى المرجو أثناء عمليّة التّخاطب.

ويضّم المبدأ أربعة مبادئ (Maxims) فرعيّة تحكم الحوار بين المتكلّم، والمتلقّي، وهي[3] كما أشرنا سابقا: مبدأ الكمّ، ومبدأ الكيف، ومبدأ المناسبة، ومبدأ الطّريقة.

بإمكاننا القول:" إنّ بالمبادئ يتحقّق الهدف، ويكون الحوار جادّا، مثمرا بين المتكلّم والمتلقّي، وإنّ خرق أحد المبادئ يستدعي ظاهرة الاستلزام الحواريّ مع الاحتفاظ بمبدأ التّعاون ولتوضيح الظّاهرة نورد الأمثلة الآتيّة في حوار بين زوج (أ)، وزوجة (ب).

[1]- ينظر:محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص33.

[2]- ينظر: بول وبراون، تحليل الخطاب، ص 39،40.

[3]- شاهر الحسن: علم الدلالة السمايتكية والبرغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط1 مصر،2001،ص 169،170.

أ- أين مفاتيح السّيارة ؟

ب – على المائدة .

ما يلاحظ على تلك المحاورة القصيرة أنّ إجابة الشّخص (ب) إجابة واضحة (مبدأ الطريقة)، وكانت صادقة (مبدأ الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون أن تزيد (مبدأ الكم)، وأجابت إجابة وثيقة بسؤال زوجها (مبدأ المناسبة)، وبالتّالي لم يخرق الشّخص (ب) القاعدة، ولذلك لم يتولّد عن ذلك استلزام حواريّ لأنّ الشّخص (ب) قال ما يقصده بالضّبط.

أمّا المثال الموالي هو حوار بين الأم، وولدها، ولنرمز لهما بـ (س) و(ع)، والمتمثّل في[1]:

- (س): هل اغتسلت، ووضعت ثيابك في الغسّالة؟
- (ع): اغتسلت.

نلاحظ خرق مبدأ الكمّ، وانتهاكه لأنّ (س) سأل عن أمرين فأجاب (ع) عن واحد وسكت عن الثّاني؛ أي أنّ إجابته أقل من المطلوب، وذلك يستلزم أنّ (ع) يقصد بقوله غير ما يقوله (س).

من هنا يمكن القول: إنّ الدّلالة اللّغويّة للعبارة عندجرايس تنقسم إلى معنيين: معاني صريحة، وتشمل المحتوى القضويّ، والقوّة الإنجازيّة الحرفيّة، ومعاني ضمنيّة تتضمّن معاني عرفيّة ومعاني حواريّة.

[1]- المرجع السابق :ص 36.

تجدر الإشارة إلى أنّ المبادئ الّتي وضعها "جرايس" غير قادرة على تفسير كلّ الأفعال الكلاميّة كما قال بعض الباحثين اللّسانيين[1]. وهذا ما شجّع "سورل" على متابعة بحثه حول ظاهرة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة بتصنيفه الإنجازات الكلاميّةَ للأفعال إلى صنفين هما[2]:

***الانجازات البسيطة:**

مفادها أن يكون المتكلّم مماثلا للمعنى الحرفيّ للخطاب.

***الإنجازات المعقّدة:**

تتمثل في الإنجازات الّتي يقصد فيها المتكلّم إنجاز جملة تماثلها قوّتان إنجازيّتان: قوة إنجازيّة حرفيّة،وقوّة إنجازيّة، مستلزمة، مقاميّة لمنطوق حمليّ واحد.

أمام التّمرد المتعلّق بنظريّة الأفعال الكلاميّة الّتي أرسى معالمها "أوستين"، وثبت دعائمها "سورل" بالتّطوير، والتّعديل ،حدث منعطف عميق غيّر اتجاه الدّراسات اللّسانيّة بحيث أصبحت اللّغة فضاء مبسوطا للإنجاز، والممارسة، والفعل يتمّ فيه عن طريق التّلفّظ أثناء العمليّة التّواصليّة وأنّ ما ذكره "جرايس" حول مبدأ التّعاون، والاستلزام الحواريّ من ضوابط، وقواعد تهدف إلى التّركيز على صياغتها لمعرفة القصد، وإيجاد الطّريقة المثلى لإيصال المعاني المقصودة من طرفي العمليّة التّواصليّة، وذلك بالاستلزام الحواريّ الّذي ينتج عن أتباع تلك القواعد، أو خرقها أثناء الكلام، إلاّ

[1]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص34.

[2]- ينظر: نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية: ص 166.

أنّ هناك من الباحثين[1] من رأوا إغفال "غرايس" الجوانب الاجتماعية الّتي تدخل ضمن عناصر السّيّاق الّتي ينجم عنها الخروج عن قواعد مبدأ التّعاون.

في حين نجد "سورل" يعتبر المراحل نموذجا نظريّا يفسر به ظاهرة الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة، وفي الوقت نفسه يؤكّد أهميّةَ الأفعال الكلاميّة المباشرة باعتبارها المنطلق الأساسيّ، الأوّل في السّلسلة الاستدلالية ككل.

[1]– من هؤلاء الباحثين د–فران، ليتش: فوردن هذه الأخيرة حاولت صياغة مبدأ التأدب داعية إلى توسيع مبادئ اللغة وإدراج قواعد التداولية للحكم على جودة الحوار فوضعت قواعد الكفاءة التي تتمثل في كن واضحا، كن مادبا.

يقول أبو الهلال العسكريّ:

« أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله- جلّ ثناؤه-: علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الّذي به يعرف إعجاز كتاب الله – تعالى- النّاطق بالحقّ الهادي إلى سبيل الرُّشد».

[كتاب الصّناعتين "الكتابة، والشعر" ص09]

الفصل الثّاني

الظّواهر التّداوليّة في مفتاح العلوم لـ "أبي يعقوب السّكّاكيّ"

المبحث الأوّل: الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالإسناد.

المبحث الثّاني: آليات علم المعاني، وأبعادها التّداوليّة.

المبحث الأوّل: الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالإسناد

1- الإسناد الخبريّ، وأحواله.

2- الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالمسند إليه.

3- الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالمسند.

توطـــئة:

أنتجت البلاغة العربيّة في أوجّ ازدهارها مجموعة من الأفكار، والمقولات استطاعت إلى حد بعيد التّحكم في العمليّة التّواصليّة، كان من أهمّها تلك الّتي أطرت شروط الكلام البليغ؛ وأوصت بأنّ" لكلّ مقام مقال" إنّ المتفحّص مدوّنات التّراث البلاغيّ العربيّ، يكشف لنا بعمق عن أيّ حدٍّ بلغ الإهتمام بهذه الفكرة خاصّة ضمن علم المعاني باعتباره المقام الّذي يقال فيه الكلام والمجال الّذي يلقي عنايته حول أحوال، وظروف المتخاطبين.[1]

تتبدى عناية "السّكّاكي" بفكرة مقتضى الحال، أو المقام [2]، من خلال ربطه الصياغةَ اللّغويّة (صرفيّة، ونحويّة) بالسّيّاق، والمقام ممّا جعل مقياس الكلام عنده في باب الحسن، والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، (مقتضى الحال) يقول"...إذا شرعت في الكلام، فلكل" كلمة مع صاحبتها مقام، ولكلّ حدٍّ ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبولّ، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الّذي نسمّيه مقتضى الحال فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكّدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا، وقوة

[1]– ينظر: محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى ،ليبيا، دار الكتب العلمية، منشورات جامعة الفتح ،1993،ص 118.

[2]– لا يختلف مفهوم المقام عن الحال ويشمل "مجموعة من الاعتبارات والظروف والملابسات المحيطة بالنشاط اللغوي، وتؤثر فيه بحيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلّها" التهاوني: كشاف اصطلاحات الفنون: وضع حواشيه: أحمد حسن، لبنان، بيروت، منشورات دار الكتب العلمية،ط1، 1991،المجلد 3،ص574.

وإذا كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام، وروده على الاعتبار المناسب..."[1]فالّذي يلاحظ حديث "السّكّاكي" يرى تعدّد مقتضيات نظم الكلام، وتنوعها؛ فالمتكلّم ليس حرّا تماما في إنتاجه جملَه وخطاباته، حيث يخضع إلى مقام السّامع، وما يكتنفه من أحوال حتّى يحقّق الفائدة المرجوة من تلفّظه بالخطاب مستعينا بما تقدّمه له البلاغة من تراكيب بليغة فنّيّة تساعده على نقل مقاصده في مختلف الظّروف، والأحوال، وعلى أساس ذلك يكون حسن الكلام، فتحذف عناصر من الجملة إن اقتضى المقام الاختصار، وتثبت عناصر أخرى في مقام آخر حتىّ[2] .

حملت مقولة "لكلّ مقام مقال" في طيّاتها قدرا تداوليّا لا يستهان به ،ذلك أنّ التّداوليّة تراعي الخيط العلائقيّ الّذي يجمع بنية النّصّ بعناصر الموقف التّواصليّ، فيطلق عليه سياق النّصّ.[3] ؛أي أنّ نظرتها الأساسيّة تتمحور في الصّلة الّتي تجمع بين النّصّ، والعناصر الخارجيّة على بنيته الدّاخليّة والمتمثّل عموما في المقام، أو في سياق النّصّ،" ويأتي مفهوم التّداوليّة ليغطي تغطية منهجيّة المساحة الّتي كان يشار إليها في البلاغة العربيّة القديمة بعبارة مقتضى الحال المنتجة للمقولة الشّهيرة لكلّ مقام مقال"[4]؛ فالبعد التّداوليّ الكامن في المقولة يظهر من خلال سعي البليغ إلى توجيه كلام يضمن فيه مقاصده للمخاطب في مقام معين، فنجده يوجه نظره، وتركيزه من أجل

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 256.

[2]- باديس لهويمل: السّياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم: متابعة تداولية، مجلة المخبر، العدد التاسع،2013،ص 168.

[3]- ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، لبنان، بيروت، دار نوبار، ط 1،1996،ص 25.

[4] - المرجع نفسه: ص 25.

البحث عن الكلمات، والعبارات المناسبة الّتي تتلاءم مع المقام سعيا منه لتحقيق أهدافه، وتبليغ مقاصده؛ فعلى المتكلّم أثناء تعبيره عن قصده مراعاة قرائن الأحوال، ومقامات الكلام، وإصدار كلامه بحسب المقتضى كي يضمن لقصده الوصول، وتحقيق الفائدة لدى السّامع، لأنّ السّامع يستند إلى لمقام، وقرائن الأحوال في كشف المعنى المقصود من الكلام، وذلك في عمليّة عكسيّة يقوم بها. يكون للسّيّاق دور فعّال في توجيهه مقاصدَ المتكلّم من خطابه.[1]

من ههنا شرع "السّكّاكي" يفصّل اعتبارات ركني الجملة: (المسند، والمسند إليه)، وأحوال كليهما من جهة التّنكير، والتّعريف بالأداة، والتّعريف بالإضافة، وأحوال كليهما من جهة الموصليّة، والوصف، والعلميّة، والتّقديم، والتّأخير، وقصر أحدهما على الآخر، وكون المسند اسما أو فعلا، أو جملة، وترك تخصيص أحدهما، أو كليهما. بالإضافة إلى أنّه تطرّق إلى طرق اعتبارات الإسناد الخبريّ، وأحواله، واعتبارات الفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، وغيرها من ظواهر تجعل العبارات اللّغويّة مناسبة للطبقات المقاميّة الّتي ترد فيها.

سنحاول في هذا الفصل الاعتماد على بعض آليات التّحليل التّداوليّ؛ ذلك من خلال التّركيز على ما أورده "السّكّاكي" في مفتاحه، أنّ المفهوم الصّحيح لمبدأ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" هو أنّه لا يجوز وضع أحد وجوه الكلام مكان وجه آخر، وما تحمله من معان تختلف بحسب اختلاف المقامات، ودرجة تأثيرها في المتلقّي أثناء العمليّة التّبليغيّة، وعلى إثر ذكر مفهوم المقام راح "تمّام حسّان" في كتابه "الأصول" يعمل على تحديده عند علماء البلاغة العرب

[1]- ينظر: صالح الشاعر: ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي، مقال الكتروني ahshais.com.www.salihص02

قائلا:" لقد فهم البلاغيّون المقام، أو مقتضى الحال فهما سكونيّا، قالبيّا نمطيّا، مجردا"؛ ثمّ قالوا: "لكل مقام مقال"...فهذه المقامات نماذج مجرّدة، وأطر عامّة، وأحوال ساكنة...وبهذا يصبح المقام سكونيّا عند البلاغيّين، والّذي أقصده بالمقام ليس إطارا، وإنّما هو جملة الموقف المتحرّك الاجتماعيّ الّذي يعتبر المتكلّم جزءا منه ،كما يعتبر السّامع، والكلام نفسه"[1]. وهكذا يصبح مصطلح السّيّاق الأنسب في نظر "تمّام حسّان" على الرّغم من تفضيل مصطلح المقام، وذلك للدّلالة على الممارسة المتّصلة بالفعل الكلاميّ الّذي يتجاوز مجرد التّلفّظ بالخطاب.

1-الإسناد الخبريّ، وأحواله:

من اللاّفت للنّظر أنّ الخوض في مسألة الإسناد الخبريّ تختلف باختلاف أحوال السّامع وهذا ما قرّره "السّكّاكي" بحيث إذا كان خالي الذّهن لم يؤكّد له، فيقول: " فإذا ألقى الجملة الخبريّة إلى من هو خالي الذّهن عمّا يلقى إليه ليحضر طرفاه عنده، وينتقش في ذهنه استنادا أحدهما إلى الآخر ثبوتا، أو انتفاء... فستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم، وسّمي هذا النّوع من الخبر "ابتدائيّا"[2]. وإذا ألقاها إلى طالب "متحيّر أكّد بمؤكّد واحد، واستحسن تقويّة المنقذ بإدخال اللاّم في الجملة كنحو: لزيد عارف، أو إنّ زيدا عارف "[3] سّمي هذا النوع من الخبر "طلبيّا"؛ ومثال هذا النّوع قولنا:" إنّ محمدا طالب مجتهد"؛ في تأكيدنا اجتهادَ محمّد لمن يشكّ في اجتهاده. قد لاحظ بعض البلاغيّين أن وجود التّردّد في النّفس يقتضي هذا الضّرب من الصّياغة المؤكّدة، ولوكان

[1] – تمام حسان: الأصول: الدار البيضاء ،دار الثقافة،1421هـ،ص 322.

[2]– أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم:ص258.

[3]–المصدر نفسه: ص 258.

الخبر على وفق ظنّ المخاطب، فأنت تقول: "إنه صواب للمتردّد الّذي يميل إلى أنه صواب، وليس فقط للمتردّد الّذي يميل إلى انه ليس بصواب".[1] أمّا إذا كان الخبر منكرا له فأورد مؤكّدين، أو أكثر كنحو: (إنّي صادق)، لمن ينكر صدقك إنكارا، أو (إنّي لصادق)، لمن يبالغ في إنكار صدقك، و(والله إنّي لصادق على هذا)"[2]ويسمى هذا النّوع من الخبر "إنكاريّا"، ويطلق على إخراج الكلام في هذه الحالات مطابقة الكلام للواقع، وفي مثل هذه الوضعيات توظيف الأداة "إنّ"؛ ليس باعتباطيّ، بل فرضه السّيّاق، وعلاقة المخاطب بالمتكلّم ، فجاءت "إنّ" للدّلالة على قوّة المراد توكيده انطلاقا من حالة المخاطب، ونفسيته المقدرة من لدن المتكلّم .

يستند "السّكّاكي" إلى بعض الأمثلة ليدعم ما قاله، وتعتبر دليلا، صريحا، قويا على الفكر الوظيفيّ التّداوليّ عند اللّغويّين العرب القدامى؛ لأنّها تقوم على ملاحظة مقتضى الحال، أي مراعاة الموقف النّفسيّ لحالة السّامع اتجاه ما يخبر به؛ واضطرار المتكلّم إلى التّصرف في الكلام حتىّ يلاءم حال السّامع، ويؤدّي، وظيفته التّواصليّة الإبلاغيّة.

نجد أنّ أهمّ الطّروحات الّتي صدرت من البلاغة العربيّة، الحاملة ومضات الفعل الكلاميّ وحيثياته، ومقوماته. تلكم الّتي تعلّقت بتخريج "أبي العبّاس" اللّغويّ، وهو في صدد الرّدّ على "الكنديّ الفيلسوف (ت260هـ)"، وتختصر هذه القصّة في أنّ "الكنديّ" قال ل"أبي العبّاس":" إنّي أجد في كلام العرب حشوا يقولون: "عبد الله قائم"، ثم يقولون: "إن عبد الله قائم"، ثم يقولون:

[1]- ينظر: الخطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة، ص31

[2]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم:ص259.

"إنّ عبد الله لقائم"؛ فالألفاظ متكرّرة، والمعنى واحد؛ فقال له (أبو العباس): "بل المعاني مختلفة فقولهم: "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه، وقولهم:"إنّ عبد الله قائم"، جواب عن سؤال سائل وقولهم:"إنّ عبد الله لقائم"، جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني قال: "فما حال المتفلسف جوابا"[1].

إنّ جملة "عبد الله قائم "في شكلها جملة اسميّة تضمّنت فعل القول المتمثّل في قوّته الإنجازيّة (القيام) الذي يحيل، ويشير إلى الفعليّة، والحركة ممّا يدعونا إلى القول بأن نسميها جملةً فعليّة خبريّة تضمر وضعيّات مختلفة، يحدث فيها حدث كلاميّ مشترك بين المتكلّم، والمتلقّي، فخلقت لنا على مستوى المخاطب ثلاثة أضرب:

* مخاطب خالي الذّهن، يستحسن ألاّ يؤكّد له الحكم.

* مخاطب متردّد في قبول الخطاب طالبا تأكيد الخبر له بأداة "إنّ".

* مخاطب منكر للخبر، معتقد عكس ما يتلفّظ به المتكلّم، فأوجب على المتكلّم أن يعزّز له الخبر بأكثر من مؤكّد، هما: "إنّ، اللام". فالجملة الخبريّة تختلف بحسب اختلاف درجة الغرض وشدّته الّذي تتضمّنه، وبالتّالي تتنوّع معانيها بتنوّع السّيّاق الّذي ترد فيه.

من خلال ما سبق نلاحظ أن الجملة الخبريّة الواحدة تشعّبت إلى ثلاث جمل خبريّة بفعل اختلاف السّامع، ومراعاة المتكلّم لتلك الحال، والمتمثّلة في:

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005، ط1 ص:219.

أ – عبد الله قائم.

ب – إنّ عبد الله قائم.

ج– إنّ عبد الله لقائم.

جملة (أ) إخبار عن قيامه، وهي جملة خبريّة تؤكّد أنّه خالي الذّهن، أمّا الجملة (ب) جواب عن سؤال سائل، وهي مؤكدة بأداة "إنّ" يمكن القول: إنّها تتّجه إلى المتلقّي المتردّد في الحكم والجملة (ج) ردّ على إنكار منكر، وذلك بزيادة مؤكّدات الجملة:(إنّ ، اللاّم) كقوله: إنّ عبد الله لقائم."[1]وبالتّالي يصبح المتلقّي، وأحواله الأساس الواجب مراعاته في عمليّة إحداث الكلام، وتبقى مهمّة البلاغة العربيّة مراعاة هذه الأمزجة، والمواقف النّفسيّة الخاصّة بالمتلقّين، وهي في صدد صناعة كلام يناسب أحوالهم .

كما نسلّم بأنّ اللّغويّين العرب تلقّوا جواب "أبي العباس المبرّد"، ومرجعه القبول، والتّسليم وزادوا عليه أن أطلقوا على كل نوع من هذه الأخبار اسما فسموا الأوّل (خبرا ابتدائيا)، و(الثّاني خبرا طلبيّا)، و(الثّالث خبرا إنكاريّا).

أمّا "السّكّاكي" فيرى أنّ الجملة في النّوع الأوّل تستغني عن مؤكّدات الحكم، وفي النّوع الثّاني يستحسن أن تكون قويّة، وذلك بإدخال أدوات التّوكيد، وفي النّوع الثّالث يستوجب المقام

[1]– ينظر: ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية 1413هـ، 1993م، ط1، ص570.

تأكيد الكلام؛ ولكلّ من تلك المبادئ مبدأ مهمّ تخضع له، يسميه "السّكّاكي" بـ :"مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[1].

في حين نجد اللّغويّين، والوظيفيّين يتّفقون على مبدأ واحد، فينطلقون في دراساتهم الظّواهرَ اللّغويّةَ من مبدأ أنّ الوظيفيّة التّواصليّة تحدد بنية اللّغة[2]؛ ذلك من خلال أنّ كلّ أداة من الأدوات الّتي يستعملها المتكلّم في كلامه تأخذ البنية الصّحيحة الّتي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها.

أمّا بمعايير نظريّة الأفعال الكلاميّة؛ فنجد الميزات، والاختلافات الوافدة بين الصّياغات نتاج عن التّغيّر، والاختلاف الكامن فيما سمّاه "سورل" درجةَ الشدّة للغرض المتضمّن في القول بحكم أنّ العديد من الجمل قد تتشابه في الغرض المتضمّن في القول، وتختلف في درجة الشّدّة .[3]

أمّا "سّيمون ديك" فيذهب إلى أنّ :" التّفسير الوظيفيّ للظواهر اللّغويّة لا يقوم على فرضيّة التّرابط البسيط بين الصّورة، والوظيفة بل بالعكس من ذلك، على شبكة من المتطلّبات والقيود المتفاعلة فيما بينها، الّتي تؤوّل إذا أخذ كل منها على حدة مبدأ وظيفيّ[4]". وتتمثل المبادئ في :[5]

1- التّفسير الوظيفيّ لظاهرة لغويّة هو التّفسير الّذي يحتوي على ظاهرة ناتجة عن مبدأ يربط بأحد مقوّمات اللّغة الوظيفيّة.

---

[1]- ينظر: أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم:ص259.

[2]-ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص54.

[3]- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب :ص 97،96.

[4]- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص57،56.

[5]- المرجع نفسه: ص 55.

2- مقوّمات اللّغة تنتمي إلى المتطلبات، والقيود المفروضة على اللّغات الطّبيعيّة، ويمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أ- الأغراض، والأهداف الّتي تستعمل من أجل تحقيقها عبارات اللّغة الطّبيعيّة.

ب- وسائل استعمال اللّغات الطّبيعيّة.

ج- ظروف استعمالها.

3- الهدف الأصليّ من استعمال اللّغة هو تحقيق التّواصل، والأهداف الأخرى ثانويّة.

4- الوسيلة الأصل لاستعمال اللّغة هي القناة الصّوتيّة.

5- ظروف تقسيم اللّغة يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أ- ظروف ماديّة.

ب- ظروف اجتماعيّة.

ج- ظروف لغويّة.

ومن الظّواهر التّداوليّة المرتبطة بالمقام نجد الوظائف الأربعة، المتمثّلة في[1]: (المحورtopic) و(المبتدأ theme)، و (الذليلtail)،و(البؤرة focus)؛ ففي جملة" متى رجع زيد؟ رجع زيد البارحة"، فزيد هنا يشكّل محور الجملتين، فيؤدّي وظيفة المحور بمقتضى الوضع التّخابريّ القائم بين

[1]- ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص16،17.

المتكلّم، والمخاطب في طبقة مقاميّة معيّنة؛ ففي الأوّل نلمس محور الاستخبار، أمّا الثّاني فمحور الإخبار[1].

إضافة إلى هذا يعتبر "سيمون ديك" الوظيفتين: المبتدأ، والذيل وظيفتين خارجيّتين بالنّسبة إلى الحمل.[2] أمّا الباقيّة فهي داخليّة تستند إلى مكوّنين يعتبران جزأين من العمل ذاته.

أهم ما يمكن استنتاجه من خلال ما تقدّم، أنّ التّباين في الأنماط المقاميّة يستلزم التّباين في التّراكيب؛ وهذا ما راح "السّكّاكي" يعرضه في مفتاحه حيث شرح المقتضيات الدّلاليّة، والسّياقيّة في الأنماط المقاميّة المختلفة الّتي تجعل الكلام بليغا.

2- الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالمسند إليه:

بعد إطلالة "السّكّاكي" على الإسناد الخبريّ، واختلافه باختلاف أحوال السّامع يذهب إلى تصفّح مقتضيات الأحوال في إيراد المسند إليه على كيفيّات مختلفة، وصور متنافيّة من جهة حذفه، وذكره، وتعريفه، ووصفه، وتنكيره وتقديمه على المسند، وتأخيره عنه، وتخصيصه، وقصره فكلّ بنية تركيبيّة لا تصلح إلاّ لمقام معيّن، والمقام لا يصلح إلا لها، وفي السّيّاق نفسه يقول "السّكّاكي" : " حسن الكلام، وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال، وعلى لا انطباقه وجب عليك أيّها الحريص على ازدياد فضلك"[3].ففكرة مقتضى الحال حجر الأساس، وجوهر علم المعاني، إذ إنّ تطبيق هذه الفكرة، والأخذ بها، والسّير وفقها، وعدّها من بين المقوّمات

[1]- خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية:ص121.

[2]- الحمل: يعني البنية الحملية أو الاسنادية. ينظر أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية والبنية، ص30.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم:ص265.

الاستراتيجيّة المهمّة الّتي يقوم عليها الخطاب البلاغيّ العربيّ بشكل عامّ غدا مقياسا للقول البليغ النّاجع.[1]

2-1- حذف المسند إليه:

للجملة العربيّة نظام معيّن في ترتيب مفرداتها، وتركيبها، غير أنّ نظامها هذا ليس جامدا بل يتّسم بمرونة تجيز له الخروج عنه لتحقيق أغراض دلاليّة، تواصليّة أخرى فمن الظّواهر الّتي تعرّض لها الكلام ظاهرة الحذف[2]." فالحذف خلاف الأصل، ويكون لمجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث بناء على وجود قرينة تدلّ على المحذوف، وهو قسمان"[3].

أ- قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولك: أهلا، وسهلا، فإنّ نصبها يدلّ على ناصب محذوف يقدر بنحو: جئت أهلا، ونزلت سهلاً.

ب- قسم لا يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى، ووجدته لا يتمّ إلاّ بمراعاته نحو: يُعطي، ويمنع أي: يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء؛ ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة، وضاع ذلك الرّونق[4].

---

[1]- ينظر: جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال: ص 33.

[2]- ينظر :عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص 177.

[3]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تح: محمد التونجي، لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف،ط1428،4هـ ،2008م،ص 131.

[4] - المرجع نفسه : ص131.

لا مندوحة أن يتحدّث "السّكّاكي" عن حذفه المسندَ إليه يقول: "أمّا الحالة الّتي تقتضي طيّ ذكر المسند إليه فهي: إما لضيق المقام، أو للاحتراز عن العبث بناء على الظّاهر، وإما لتخييل أنّ في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللّفظ من حيث الظّاهر...وإمّا لإبهام أنّ في تركه تطهيرا للّسان عنه، وإمّا للقصد إلى عدم التّصريح ....أو لمناسبة أخرى يقتضيها المقام لا يهتدي إلى أمثالها العقل السّليم، والطّبع المستقيم"[1]. في هذا السّيّاق يستشهد بأمثلة يعلّل سبب حذفه المسندَ إليه يقول الشّاعر:

قَالَ لِيْ : كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ** سَهُرٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ طَوِيْلٌ**[2].

فنجده من خلال البيت الشّعريّ يصرّح بكلمة "عليل"، ولم يقل أنا عليل، فالسّامع هنا عارف القصدَ إليه؛ وكذلك في قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{10} نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾[3]. إذ لم يقل هي نار حاميّة، أمّا عند "الجرجاني" فحسن الكلام ليس إلاّ في المجيء به حيث ينبغي له استعماله في موضعه، وهذا تأكيد منه أنّ حسن وجوه النّحو لا يتم إلا بمراعاة المواضع، والأغراض الّتي يصاغ الكلام لها.[4]

[1]- أبو يعقوب السكاكي: ص 265،266.

[2]- المصدر نفسه: ص 266.

[3]- سورة القارعة: الآيات :10،11.

[4]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص 177.

تبيّن لنا أنّ الحالة الّتي تقتضي حذف المسند إليه أن يكون السّامع على علم بالقصد الموجّه إليه، ومستحضرا له عند ذكر المسند، كما يلاحظ أنّ الحذف يتوقف على أمرين: وجود القرينة، ووجود المرجع للحذف على الذّكر، والثّاني هو المقصود هنا بالتّفصيل.

من خلال ما تقدّم تظهر حقائق البلاغة، ومكنون سرّها، ورائع أساليبها، يقول "عبد القاهر الجرجانيّ" في باب الحذف:" باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى فيه ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِن؛ وهذه جملة قد تنكرها حتّى تخبر وتدفعها حتّى تنظر"[1]. الأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ عليها، وإلاّ كان الحذف تعميّة، وإلغاء لا يصار إليه بحال؛ ومن شرط حسن الحذف أنّه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة، والطّلاوة، وصار إلى شيء غثٍّ لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا؛ والقرينة شرط في صحّة الحذف إذا اقترن بها غرض من الأغراض [2].

2-2- إثبات المسند إليه:

يشرع "السّكّاكي" يتحدّث عن المسند إليه قائلا: "إنّ الحالة التي تقتضي إثباته: أن يكون الخبر عامَّ النّسبة إلى كل مسند إليه، والمراد إمّا تخصيصه بمعيّن كقولك:" (زيد جاء)، و(عمر ذهب)، و(خالد في الدّار)"، أو يذكر احتيّاطا في إحضاره في ذهن السّامع لقلّة الاعتماد بالقرائن

[1]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص 121.

[2]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 131.

أو للتّنبيه على غباوته، أو لزيادة الإيضاح، والتّقدير، أو لغرض التّعظيم، أو للإهانة كما يكون في بعض الأسامي، أو للإستلذاذ بذكره كما يقول الموحّد:" الله خالق كلّ شيء، ورازق كلّ حيّ"، أو لغرض بسيط في الكلام"[1]. ومثاله قوله تعالى:﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾[2].

نجدهم بسطوا الكلام ابتهاجا منهم بعبادة الأصنام، وافتخارا بمواظبتها منحرفين عن الجواب المطابق المختصر، وهو (أصناما)، أو لأنّ الأصل في المسند إليه كونه مذكورا، أو ما جرى هذا المجرى، وعليه يكون إثبات المسند إليه راجع إلى الذّوق، وإن لم يذكرها البلاغيّون[3]؛كما نظر فيه لأنّه إن قامت قرينة تدلّ عليه حذف، فعموم الخبر، وإرادة تخصيصه لمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره، وإلاّ فيكون ذكره واجب.

2-3- تعريف المسند إليه:

يذهب "السّكّاكي" في تعريفه بالمسند إليه أنّه يأتي على درجات كثيرة، ومختلفة يقول:"... ثمّ إنّ تخصّص المسند إليه إمّا أن يكون لكونه أحدَ أقسام المعرّفات فحسب، وهي: المضمرات والأعلام المبهمات، (أعني الموصولات)، وأسماء الإشارة المعرفات باللاّم، المضافات إلى المعارف إضافة حقيقيّة"[4]؛ فحقّ للمسند إليه أن يكون معرفة لأنّه المحكوم عليه الّذي ينبغي أن يكون

[1]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم :ص268،267.

[2]- سورة الشعراء: الآية 71.

[3]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلغة، ص150

[4]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 269.

معلوما ليكون الحكم مفيدا؛ ومحصلة ذلك كلّه أنّ للمسند إليه أحوالا كثيرة يتبيّن مفهومها من خلال الحكم على شيء معيّن عند السّامع.

2-4- المسند إليه ضمير:

لكلّ حال مقتضياتها البلاغيّة، والحالة الّتي تقتضي المسند إليه مضمرا" كونه يندرج ضمن مقام التّكلّم كمقام الحكاية مثلا نحو قول الشاعر":[1]

أنَا المُرْعَثُ لاَ أَخْفَى عَلَىْ أَحَدٍ ****ذَرّتْ بِيَّ الشَّمْسُ لِلْقَاضِّي، وَللدّانِيْ.

أو كقوله عليه الصّلاة والسّلام: "أنا النّبيّ لا كذب أنا (عبد المطلب)"[2] ، أو لكون الحديث في مقام الخطاب كقول الشّاعر[3]:

يَا بْنَ الأَكَارِمِ مِنْ عَدْنَانَ قَدْ عَلِمُوا** وَتَالدُ المَجْدِ بَيْنَ العَمِّ وَالخَالِ .**

أو لكون الحديث في مقام الغيبة، ولكون المسند إليه مذكورا، أو في حكم المذكور لقرينة نحو: الله تبارك وتعالى، والقصد: هو الله تبارك و تعالى. ولابد من تقدّم ذكره[4]:

أ- إما لفظا كقوله تعالى:﴿ **فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾[5].

ب-وإمّا معنى نحو: ﴿**وَإِنْ قِيلَ لكُم ارجِعُوا فَارجِعُوا هُو أَزْكَى لَكم** ﴾[6] بمعنى الرجوع.

---

[1]- المصدر السابق : ص 269.

[2]- السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع :ص 137.

[3]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 269.

[4]- ينظر :السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 138.

[5]- سورة الأعراف :الآية :87.

[6]- سورة النور :الآية :28.

ج- أو دلّت عليه قرينة حال، كقوله تعالى : ﴿**فَلَهُنَّ ثُلثا مَا تَرَكَ**﴾[1] .بمعنى الميّت.

لا مندوحة أن يكون أصل الخطاب لغير معيّن، ذلك عن طريق المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق لإفادة العموم، كقولك مثلا:" فلان لئيم إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك"[2] فالمتكلّم هنا لا يقصد مخاطبا معيّنا، وإنّما يريد: "إن أكرم، أو أحسن إليه". وبالتّالي تخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم، أي سوء معاملته غير مختصّ بواحد دون آخر؛ ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾[3] . فالملاحظ أنّه أخرج في صورة الخطاب حين أريد العموم قصدا إلى تقطيع حال المجرمين، وأنّها تناهت في الظّهور حتّى امتنع إخفاؤها، فلا تختصّ بها رؤية راء، بل كلّ من يتأتىّ منه الرّؤية داخل في هذا الخطاب.

2-5-المسند إليه علم:

يؤتى بالمسند إليه علما لإحضار معناه في ذهن السّامع ابتداء باسمه الخاصّ ليمتاز عمّا عداه[4]،كقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ﴾[5]؛ فالمسند إليه يتميّز يتميّز بالعلميّة لاحتضاره بعينه، وشخصه في ذهن السّامع لغرض تعظيمه، أو إهانته بذكر لقبه، أو

[1]- سورة النساء :الآية:11.

[2]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 269.

[3]- سورة السجدة: الآية: 12.

[4]- السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص 140.

[5]- سورة البقرة:الآية:127.

كنيته بحيث يكون متميزا عن جميع ما عداه؛ نحو قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[1]كناية عن كونه جهنميّا، لأنّ اللّهب الحقيقيّ لهب جهنم، فيصحّ أن يلاحظ فيه كذلك.

2-6- المسند إليه اسم موصول:

يعرف المسند إليه بالموصوليّة إذ لم يكن المخاطب على علم بالأحوال المختصّة به سوى الصّلة نحو: الّذي كان معنا أمس رجل عالم، وقد يستعمل تحوّلا عن اسمه استهجانا له، أو لغرض زيادة التّقرير بمعنى تقرير الغرض المسوق إليه الكلام[2]. نحو قوله تعالى:﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ**﴾[3].فالمسند إليه قوله ﴿**الَّتِيْ هُوَ فِيْ بَيْتِهَا**﴾ متعلّق براودته، فالغرض المسوق له الكلام نزاهة (يوسف)، وكذلك يستعمل لغرض بيان العلّة في الخبر، ومثل ذلك التّحقير والتّعظيم، نحو قوله تعالى:﴿ **فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ** ﴾[4]. فالتّعريف بالموصوليّة مبحث دقيق المسلك، غريب النّزعة، يوقفك على دقائق من البلاغة تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك، وتثلج صدرك إذا تأملتها بصادق رأيك، فأسرار التّعريف بالموصوليّة، ولطائفها لا يمكن ضبطها .

2-7- المسند إليه إشارة: يعرف المسند إليه بالإشارة لصحّة إحضاره في ذهن السّامع بوساطة الإشارة حسّا، كأن لا يكون لك، أو لسامعك طريق سواها نحو قول الشاعر:[5]

---

[1]- سورة المسد: الآية:1.

[2]- ينظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص273 ،وينظر: السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة، ص142.

[3]- سورة يوسف: الآية :27.

[4]- سورة طه : الآية :78.

[5]- ينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 276.

هَذَا أَبُو الصَّقْرِ فَرْدًا فِيْ مَحَاسِنِهِ**مِنْ نَسْلٍ شَبْيَانَ بَيْنَ الضِّلِ والسِّلْمِ.**

أو كقولك: أتبيع لي هذا؟ مشيرا إلى شيء لا تعرف له اسما، ولا وصفا[1]، أمّا إذا لم يتعيّن طريقا لذلك فيكون لغرض بيان حاله في القرب، والبعد، والتّوسّط كقولك: هذا زيد، وذاك عمر؛ أو لكمال العناية، وتعيينه كقوله- عزّ من قائل-:﴿**أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[2]؛ وقد يأتي لغرض التّحقير، وإظهار الاستغراب، كما قالت "عائشة" -رضي الله عنها- ل"عبد الله بن عمرو بن العاصّ": "يا عجبا ل"ابن عمرو" هذا **!!** محقرة له[3]؛وكذلك في قوله تعالى﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** ﴾[4]، أو لغرض التّعظيم نحو قوله تعالى:﴿**ألَمِ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا ريبَ فيه هدًى للمتّقينَ**﴾[5]، أو لمقامات أخرى لا تعدّ، ولا تحصى، يقول "السّكّاكي" :"...أو ما سوى ذلك ممّا له انخراط في هذا السّلك، ولطائف هذا الفصل لا تكاد تنضبط"[6]، ممّا يدل على أنّ المسند إليه تختلف فيه الآراء، وتكثر في الاتّجاهات.

[1]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 142.

[2]- سورة البقرة: الآية 05.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 277.

[4]- سورة العنكبوت : الآية64

[5]- سورة البقرة :الآيات 1،2.

[6]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم ص278.

2-8-المسند إليه باللاّم: يأتي المسند إليه معرّفا بالألف العهديّة[1] باعتبار عهدتيه في الذهن لمطابقته الحقيقية [2]،كقوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[3]أي جعلنا مبدأ كل شيء حيّ، أو بالألف الجنسيّة[4]؛ فالألف العهديّة تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجا خارجا بين المتخاطبين، وعهده يكون :[5]

أ – إمّا بتقدم ذكره صريحا كقوله تعالى:﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً{15} فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾[6] ويسمى عهدا صريحا.

ب – وإمّا يتقدّم ذكره تلويحا كقوله تعالى: ﴿ **وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى** ﴾[7].فالذّكر، وإن لم يكن مسبوقا صريحا إلا أنّه إشارةٌ إلى (ما) في الآية قبله : ﴿ **رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾[8]، فالتّحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس ،فطلبها الذّكر كان بطريق الكناية في قولها: ﴿**ربِّ إنّي نَذَرتُ لكَ مَا فِي بَطنِي مُحَرَّراً** ﴾ فإنّ ذلك مقصورا عندهم على الذكور، ف "ال"

[1]– الألف العهدية :تدخل على النكرة فتفيدها درجة التعريف ،تجعل مدلولها فردا معينا بعد أن كان مبهما شائعا و هي عهد ذكري، وعهد ذهني وعهد حضوري، السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:ص 144.

[2] – السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع :ص 144.

[3]– سورة الأنبياء: الآية 30.

[4]– الألف الجنسية: تدخل على النكرة فتفيد معنى الجنس المحض من غير أن يفيد العهد ،و هي لبيان الحقيقة . السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع:ص145.

[5]– ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:ص144.

[6] – سورة المزمل:الآية:15،16.

[7]– سورة آل عمران :الآية:36.

[8] – سورة آل عمران :الآية:35.

في الذّكر عائدة إلى مذكّر بطريق الكناية، و "ال" في الأنثى عائدة إلى مذكور صريحا في قولها "**ربّ إنّي وَضعْتها أُنْثَى**" فالعهد الخارجيّ ثلاثة أنواع: (صريحيّ، وكنائيّ، وعلميّ).

ج – وإمّا بحضوره بذاته نحو قوله تعالى: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلت لَكُم دّينَكم**﴾[1]، أو بمعرفة السّامع له نحو: هل انعقد المجلس؟ ويسمى عهدا حضوريًا .كما قد يفيد الاستغراق، وذلك إذا امتنع حمله على غير الإفراد على بعضها دون بعض، نحو قوله تعالى:﴿ **إنَّ الإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ**﴾[2].

2-9-المسند إليه بالإضافة:

يعرف بالإضافة لإحضاره في ذهن السّامع، أو لأنّها تعتبر أخصر طريق عند ما يكون المقام مقام اختصار، كقول الشاعر[3]:

هوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانِيينَ مُصْعِدٌ ** جَنِيبٌ وَجُثْمَانِيْ بِمَكَّة مُوَثـقُ**[4].

وإما لتضمنها تعظيما لشأن المضاف إليه كقوله:(عبدي حضر، فتعظم شأنك)، أو تحقيرا نحو:(ولد الحجام حضر)، أو لاعتبار مجازي دقيق كقوله:[5]

إِذَا كَوْكَبُ الَّخَرْقَاءِ لاَحَ بِسَحـرْةٍ *****سُهَيلُ أذَاعَتْ غَزْلَهَا فِيْ القَرَائِبِ.

---

[1]- سورة المائدة :الآية:06.

[2]- سورة العصر: الآية 02.

[3]-أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم : ص280.

[4]- موثق: أي من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الإبل، القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم وجسمي مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم. فلفظة هواي أخصر من لفظة أهواه .السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 148.

[5]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم : ص281،وينظر:السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:ص140.

وعليه فإنّ هيئة التّركيب الإضافيّ موضوعة للاختصاص كان يقال "المضاف للمضاف" فإذا استعملت في غير موضعها كانت مجازا، وإمّا لأنّها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السّامع نحو:(جاء غلامي)، فإنّه أخصر من قولك:(جاء الغلام الذي لي)[1].

2-10- المسند إليه معرفة موصوفة:

يوصف المسند إليه لكون الوصف مبنيّا له كاشفا عن معناه كقولك:(الجسم الطّويل ،العريض، العميق، محتاج إلى فراغ يشغله)[2]. فإن مجموع هذه الأوصاف بحسب المعنى صفة واحدة، أو قلت مثلا:(المتّقي الّذي يؤمن، ويصلّي، ويزكّي، على هدى من ربه)؛ فبيّنت بالوصف على ألطف وجه أنّ المتّقي الّذي يفعل الواجبات بأسرها، ويجتنب الفواحش، والمنكرات عن آخرها، وكشفته كشفا كأنّك حددّته. كما قد يأتي لغرض المدح كقولنا: "جاء زيد العالم[3]"حيث يتعيّن فيه (زيد) قبل ذكر العالم، وكذلك في قوله تعالى:﴿**هُوَ اللّهُ الخَالِقُ البَارِئُ الّمُصَوِّرُ**﴾[4].أو لغرض الذّمّ له كقولك[5]:إبليس اللّعين ضالّ مضلّ، أو مخصّصا له زيادة تخصيص، مفيدا غير فائدة الكشف، أو المدح كقولك: (زيد التّاجر عندنا)، أو تأكيدا له مجرّدا كقولك: (أمس الدابر لا يعود).

[1]- السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:ص148.

[2]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص :282.

[3]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص140

[4]- سورة الحشر : الآية24.

[5]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص140 ، وينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص: 282.

2- 11- تأكيد المسند إليه:

يؤكّد المسند إليه "للتقدير، أو لدفع توهّم التجوّز، أو السّهو، والنسيان، أو عدم الشّمول والإحاطة كقولك: (عرتي الرّجلان كلاهما، و الرّجال كلّهم) ".[1]

2 – 12 – بيان المسند إليه، وتفسيره:

تبيّن لنا من خلال ما تقدّم أنّ الحالة التيّ تقتضي بيان المسند إليه وتفسيره، إيضاحه باسم مختصّ به كقولك: "صديقك خالد قدم"، وذلك قوله تعالى :﴿ **لاَ تَتَّخِذُواْ إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[2] . ويقول "السّكّاكي":"إنّها من هذا القبيل إذا شفعت فيها كلمة (إلهين) باثنين وكلمة (إله) بواحد " لأنّ لفظ إلهين يحتمل معنى الجنسيّة، ومعنى التّثنيّة، وكذا لفظ (إله) يحتمل الجنسيّة، والوحدة، والّذي له الكلام مسوق هو العدد في الأوّل، والوحدة في الثّاني؛ ففسر إلهين باثنين و(إله) بواحد بيانا لما هو الأصل في الغرض"[3].فكلّ لفظ يدلّ على معنى في الكلام خليق طبع بالذّكر لتأديّة المعنى المراد به "فلهذا يذكر المسند إليه وجوبا، ولا مقتضى للحذف لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه"[4] وإلاّ كان الكلام معمى، مبهما لا يتبيّن المراد منه.

[1]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص: 285.

[2]- سورة النحل : الآية 51.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم ،ص 285 وينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ:ص292.

[4]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص129

2 -13-البدل عن المسند إليه: الحالة الّتي تقتضي أن يبدل المسند إليه لزيادة التّقرير، والإيضاح نحو: (سلب زيد ثوبه)، (جاءني زيد أخوك)[1]، وكذلك في قوله تعالى:﴿ **اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ{6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيْهِمْ**﴾[2].

2- 14- عطف المسند إليه:

يعطف المسند إليه إذا كان المراد تفصيله مع اختصار: فتختلف أحواله باختلاف أدواته ودلالاتها المختلفة، كقولك: (جاء زيد، فعمر، فخالد)؛ أو لردّ السّامع عن الخطأ في الحكم إلى الصّواب نحو: (جاءني زيد، لا عمرو) لمن كان في اعتقاده أنّ عمرا جاءك دون زيد، أو أنّهما جاءاك معا، أو لصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر نحو: (جاءني زيد، بل عمرو)، و(ما جاءني زيد، بل عمرو)؛ أو كان المراد الشّكّ فيه، أو التّشكيك كقولك:" جاءني زيد، أو عمرو" أو كان المراد التّفسير كقولك: "جاءني أخوك أي زيد"[3].

2- 15- فصل المسند إليه:

يرى "السّكّاكي" أنّ الحالة التي تقتضي الفصل بين المسند إليه، والمسند لتخصيص به[4] أي لقصر الإطلاق على زيد، أو بعبارة أخرى لقصر المسند على المسند إليه[5].

---

[1]- ينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص285.

[2]- سورة الفاتحة: الآيات 06-07.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص :288.

[4]- ينظر: المصدر نفسه: ص 289.

[5]- ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ: ص 293.

2-16- تنكير المسند إليه:

يأتي المسند إليه نكرة لعدم علم المتكلّم بجهة من جهات التعريف حقيقة أم ادعاء[1]، يقول السّكاكي:"يكون المسند إليه نكرة إذا كان المقام للإفراد شخصا في مثل قولك: "جاءني رجل":أي فرد من أشخاص الرجال، أو للنّوعية في مثل قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء**﴾[2]. أي من ماء مخصوص، وهي النّطفة، أو كان المقام غير صالح للتّعريف، أو للتّعظيم والتّكثير أو لأنّ في شأنه ارتفاعا، أو انحطاطا، أو إذا كان المقام للتّهويل"[3] كقوله تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِي ،الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[4] بمعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الّذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عمّا كانوا عليه لقتل الجماعة.

لا مندوحة أنّ (الجاحظ) استعمل مصطلحين في غاية الأهميّة، والإثبات، والغرض، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على وجود فرق شاسع بينهما، ويلتقي تصنيف الجاحظ مع "سيرل" عند تمييزه بين القوة الغرضيّة، وهدف الخطاب؛ فالإثبات هو القوّة الغرضيّة الّتي ينجزها المتكلّم عند تلفّظه بفعل خبريّ[5]، ولتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية :

- أثبت أنّ زيدا منطلق.

- أثبت أنّ المنطلق زيد .

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص149.

[2]- سورة النور الآية:45.

[3]- أبو يعقوب السكاكي: ص 289.290.

[4]- سورة البقرة: الآية 179.

[5]-Cf- Searle- Sens et Expression ,p40,41 .

فالهدف المشترك بين الخطابين هو: الإفادة، والإثبات، ثم الإخبار بأنّ الانطلاق كان من (زيد)، وذلك لمن يعرف حدوث الانطلاق، ولكنّه يجهل من المنطلق، فاختار المتكلّم من الأدوات اللّغويّة ما يناسب السّيّاق منها: تنكير الخبر عندما كان هدف الخطاب الإفادة؛ في حين أضاف أداة التّعريف (ال) عندما اختلط الهدف، وذلك باختلاف السّيّاق، غير أنّ المضمون الدّلاليّ للقضيّة بقي واحدا.[1]

2 -17- تقديم المسند إليه على المسند:

مرتبة المسند إليه التّقديم؛ ذلك لأنّ مدلوله يخطر أولا في الذّهن لأنّه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابقا للحكم طبعا، فاستحق التّقديم وضعا.[2]

فالمسند إليه يتقدم على المسند لكون ذكره أهمّ، ويقع باعتبارات مختلفة: إمّا لأنّه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، وإمّا لأنّه متضمّن للاستفهام كقولك: "أيّهم منطلقّ، أو لأنّه ضمير الشّأن، والقصّة، نحو:(هو زيد منطلق)، وإمّا في تقديمه تشويقا للسّامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه إذا أورده، نحو قولك: (صديقك فلان الفاعل، الصّانع رجل صدوق)[3]. هناك من ذكر غير ذلك فقد يأتي للتّشويق إلى الكلام المتأخّر، نحو قول الشّاعر:

ثلاثة ليس لها إيّاب ** الوقت، والجمال، والشّباب**

[1]- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: راجعه وعلّق عليه عرفان مطرجي، لبنان، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1،2006، ص 31.

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 151.

[3]- ينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 292.

وإمّا لتعجيل المسّرة، كقوله تعالى:﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا** ﴾"[1] أو المساءة مثل:(السّجن عشرون عاما لقاتل الطفلة)، أو التّطيّر نحو:(زيد في دارك، والسفاح في دار صديقك)، وقد يأتي للتّبرّك به نحو:(الله سندي)، ونحو:(الله غايتنا، والرّسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا)[2]؛ أو لأنّ تقديمه ينبّئ عن التّعظيم، أو لزيادة تخصيص كقول الشاعر:[3].

مـتَى تَهْزُزْ بَنِيْ قُطْبٍ تَجِدْهُمْ ** سُيُوفًا فِيْ عَوَاتِقِهِم سُيُوفُ**

جَلُوسٌ فِيْ مَجَالِسِّـهِم رَزَانٌ ** وَإِنْ ضَيْفٌ أَلَمّ فَهُمْ حَقُّــوقُ**

وأمّا تأخيره، فلاقتضاء المقام تقديم المسند[4]، وبالعودة إلى ما كتب حول الأغراض البلاغيّة من التّقديم، والتّأخير في كتب البلاغة قديمها وحديثها نلاحظ أنّ هناك عددا آخر من الأغراض نضرب لها صفحا، ونكتفي بما قلنا.

2-18- قصر المسند إليه على المسند:

يرى "السّكّاكي" أنّ الحالة المقتضيّة لقصر المسند إليه على المسند هي أن يكون عند السّامع حكم مشوب بصواب، وخطأ، وأنت بصدد تقرير صوابه، ونفي خطئه كأن يكون عند السّامع مثلا: (أنّ زيدا متمول، وجواد)؛ فتقول له: "زيد متمول لا جواد"؛ ليعرف أنّ زيدا مقصور على

[1]- سورة الرعد :الآية:23.

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 151.

[3]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 292.

4-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص156

المتمول، لا يتعدّاه إلى الجود[1]؛ أو في مثل قوله تعالى:﴿ **مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[2]،أي أنّ (يوسف) مقصور على الملكيّة لا يتخطّاها إلى البشريّة؛ وفي السّياق نفسه يشير "السّكّاكي" إلى أنّ هذا كلّه مقتضى الظّاهر، وقد يخرج المسند إليه على خلافه، وذلك لاقتناء الحال إيّاه، فيوضّح اسم الإشارة موضع الضّمير لغرض العناية بتمييزه، إمّا لأنه اختصّ بحكم بديع عجيب الشّأن كقوله:[3]

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ** وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقًا**

هَذَا الّذِيْ تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرَةً ** وصَيّر العَالِمَ التَّحْرِيرَ زَنْدِيقًا**

أو لأنّه قصد التّهكّم بالسّامع، والسّخرية منه، وغير ذلك، وقد يوضّع المضمر موضع المظهر ليتمكّن في ذهن السّامع ما يعقبه، فإنّ السّامع متى لم يفهم الضّمير معنى بقي منتظرا لعقبى الكلام: كيف تكون؟ فيتمكّن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكّن في ذهنه[4]، نحو قوله تعالى:﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾[5]. وقد يعكس، فيوضع المظهر موضع المضمر إذا أريد نفسه زيّادة تمكين كقوله تعالى:﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾[6]، ومن هنا يتحدث "السّكّاكي" عمّا يسمّى الالتفات عند عند علماء المعاني يقول:"...العرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى

---

[1]- المصدر السابق : ص 293.

[2]- سورة يوسف: الآية:31.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي :مفتاح العلوم، ص294.

[4]-المصدر نفسه: ص294، 295

[5]- سورة الإخلاص:الآية:02،01.

[6]- سورة الإخلاص:الآية:02.

أسلوب أدخل في القبول، وأحسن نظريّة لنشاطه..."[1] بحيث يرى أنّ هذا النّوع غير مختصّ بالمسند إليه.

3- الظواهر التّداوليّة المتعلّقة بالمسند:

بعد تصفّح مقتضيات الأحوال في إيراد المسند إليه على تلك الصّور، والكيفيّات ،وتصنيفات "السّكّاكي" في ذلك ننتقل إلى الحديث عن المسند، وتصوير المقتضيات لأنواع التّفاوت فيه من كونه محذوفا، ومذكورا، ومفردا، أو جملة فعليّة، أو اسمية، أو شرطية، أو ظرفية، أو منكرا، أو معرفا، أو مفيدا بقيد، أو مقدما، أو مؤخرا فلكلٌّ تركيب معناه الوظيفيّ الخاصّ به ولكلّ بنية لفظيّة وظيفيّة إبلاغيّة تفرضها مقاصد الخطاب، وملابساته، وهو ما يتبيّن من قول "السّكّاكي":"...حتى يتهيّأ لك أن يتّسم لكلّ مقام سمته، وأن يجري على حدّ مقتضاه على أقوم سمته فهو المطارح الّذي تران فيه قوي القرائح"[2].ويرى "الجرجانيّ" أنّ المسند إذا كان اسما دلّ على الثّبوت، وإذا كان فعلا دلّ على التّجدد يقول:"...فالّذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمسّه الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشّيء...فموضوعه على أنّه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء"[3]؛ وساق بعض الأمثلة على ذلك، فإذا قلت (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلا له من

[1]- ينظر:أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 296.

[2]- المصدر نفسه: ص305.

[3]- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز :ص 200.

غير أن تجعله يتجدّد، ويحدث منه شيئا، وبهذا فهو يفرّق بين الخبر إذا كان فعلا، والخبر إذا كان اسما، ولكلّ موضعه بحسب الغرض.

3-1- حذف المسند:

يترك المسند إمّا لأنّ حالا سدّ مسدّه، وإمّا لإتباع الاستعمال في مثل:(ضربني زيد قائما) وإمّا قصد للاختصار، والاحتراز عن العبث[1] كقوله عز وجلّ:﴿ **أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَالِكُمُ النَّارُ**﴾"[2].وتقديره يكون: النّار شرّ من ذلكم، وإما ضيق المقام مع قصد الاختصار، والاحتراز عن العبث، كنحو قول الشاعر:

قَالَتْ، وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِي مَنْ بِهِ؟ ** وَتَنَهّدتْ فَأَجَبْتُها: المُتنَهِّدُ**[3]

والتّقدير يكون المتنهّد هو المطالب دون: هو المتنهّد، إن فسّر بمن المطالب به، لأنّ مطلوب السّائلة على هذا الحكم على شخص معيّن بأنّه المطالب ليتعيّن عندها، لا الحكم على المطالب به بالتّعيين، وقيل معناه " من فعل به" فيكون التّقدير: فعل به المتنهّد.

وإمّا تخييل أنّ العقل عند التّرك هو معرفة، وأنّ اللّفظ عند الذّكر هو موصوفة من حيث الظّاهر، وإمّا أن يخرج ذكره إلى ما ليس بمراد كقولك:" أزيد عندك، أم عمرو، أم عندك عمرو"؟ وإمّا لاختيار السّامع هل بنيته عند قرائن الأحوال، أو ما مقدار تنبّهه عندها. قد يكون طلب

[1]- ينظر السيد احمد الهاشمي، ص161،162 وينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 306.

[2]- سورة الحج: الآية:72.

[3]- ينظر :أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 306.

تكثير الفائدة بالمذكور من حمله عليه تارة، وحمله عليه أخرى[1] نحو قوله تعالى:﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾[2].لحملها تارة على (فصبر جميل أجمل)، وحملها أخرى على (فأمري صبر جميل).

2-3 - ذكر المسند:

الحالة الّتي تقتضي ذكر المسند إمّا لأنّه أصل فلا يجب أن يكون المسند إليه يفيد المسند بوجه ما من الوجوه، أو لغرض زيادة التّقرير، أو التّعريض بغباوة قوله: "زيد يقاوم الأسد"، أو لتعظيمه، أو إهانته، كما يشير إلى المسند حينما يكون اسما للدّلالة على الثّبوت نحو: (زيد عالم) فيفيد الثّبوت الصّريح، أو فعلا للدّلالة على التّجدّد نحو: (زيد علم)، فيفيد التّجدّد، والحدوث[3] ؛بمعنى أنّ ذكر المسند الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، ولأنّ المسند محكوم به، والمسند إليه محكوم عليه، والمحكوم مؤخّر عن المحكوم عليه طبعا.

3-3 – تقييد المسند:

يتقيّد المسند لغرض تربيّة الفائدة بالمصدر نحو: (ضربت ضربا شديدا)، أو ظرف زمان نحو: (ضربت يوم الجمعة)، أو ظرف مكان نحو: (ضربت أمامك) أو السّبب الحامل نحو:(ضربت تأديبا)، أو المفعول به بدون حرف، نحو: (ضربت زيدا)، أو بحرف نحو: (ما ضربت إلاّ زيدا)، أو المفعول معه نحو: (جلست والسّاريّة)، أو الحال: نحو: (جاء زيد راكبا)، أو التّمييز: نحو: (طاب زيد نفسا)، أو الشّرط، نحو:(يضرب زيد إن ضرب عمرو).يظهر لنا في الجملة أنّها خبريّة مقيّدة

[1]- ينظر :المصدر السابق :ص 306،307.

[2]- سورة يوسف: الآية:18.

[3]- ينظر :أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم،ص307. وينظر: السيد أحمد الهاشمي، ص160

بقيد مخصوص، محتملة في نفسها للصّدق، والكذب؛ كما أنّه يمكن أن يترك تقيّد المسند إذا منع عن ترقيّة الفائدة مانع قريب، أو بعيد[1].

3- 4 - تنكير المسند:

ينكر المسند لعدم الموجب لتعريفه[2]، يقول"السّكّاكي":"الحالة الّتي تقتضي أن يكون المسند منكر إذا كان الخبر واردا على حكاية المنكر كما إذا أخبر عن رجل، نحو قولك: (عندي رجل تصديقا لك)، فقيل: "الّذي عندك رجل"، أو كان المسند إليه كقولك: "رجل من قبيلة كذا حاضرا"[3].بمعنى أنّ تنكير المسند يأتي إمّا لأنّه لا حاجة إلى تعريفه، أو للتّحقير، نحو:(ما خالد رجل يذكر)، أو للتّعظيم ،كما قد يخصّص المسند إمّا بالوصف نحو قولك:(زيد رجل عالم)، أو بالإضافة نحو:(زيد ضارب غلام)؛ وفي هذه الحالة يسمّى المسند بالقلب في الكلام في مثل:(عرضت النّاقة على الحوض)، فأصل الاستعمال (عرضت الحوض على النّاقة)، ويقال على هذه الظّاهرة: " شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظّاهر، ولها شيوع في التّراكيب، وهي ما يورّث الكلام ملاحة، ولا يتشجّع عليها الإكمال البلاغة، تأتي في الكلام، وفي الأشعار، وفي التنزيل"[4].في حين نجد "عبد القاهر الجرجاني" يتطرّق في معرض حديثه عن الفروق في الإثبات الّذي يفيده الاسم يقول: "ومن فروق الإثبات أنّك تقول:" زيد منطلق، وزيد المنطلق، والمنطلق

[1]- ينظر :أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 310.

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص 166.

[3]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص311.

[4]- المصدر نفسه: ص 312.

زيد"، فيكون لك في كلّ واحد من هذه الأحوال غرض خاصّ، وفائدة لا تكون في الباقي"[1]. الجميل في طرح "الجرجاني" أنّ الخبر إذا وقع نكرة، فإنّك تثبت فيه فعلا لم يعلم السّامع وقوعه أصلا، أمّا إذا وقع معرفة، فإنّك تثبت فعلا قد علم السّامع وقوعه، ولكنّه لم يعلم صاحبه، فأفدته ذلك؛ وقولنا (المنطلق زيد) يعني أنّ المخاطب قد رأى فعلا شخصا منطلقا، لكن لا يعرف من هو، فتخبره بأنّه زيد.[2]

3-5 - تعريف المسند:

يأتي المسند معرفة إذا كان معلوما لدى السّامع بطريق من طرق التّعريف، فيجب عند تعريف المسند تعريف المسند إليه[3]؛ بمعنى أنّه قد يكون للشّيء صفتان من صفات التّعريف، ويكون السّامع عالما باتّصافه بإحداهما دون الأخرى، فإذا أردت أن تخبره بأنّه متّصف بالأخرى تعمد إلى اللّفظ الدّال على الأوّل، وتجعله مبتدأ، وتعمد إلى اللّفظ الدّال على الثّانية، وتجعله خبرا، فتفيد السّامع ما كان يجعله من اتّصافه للثّانية كما إذا كان للسّامع أخ يسمّى (زيدا)، وهو يعرفه بعينه واسمه ولكن لا يعرف أنّه أخوه، وأردت أن تعرّفه بذلك فتقول: "زيد أخوك"، وهو كالطّالب أن يعرف حكما له سواء عرف أنّ له أخا، ولم يعرف أن زيدا أخوه، أو لم يعرف أنّ له أخا أصلا وكذلك إذا قلت:" أخوك الّذي يحفظ (التّوراة)"[4].أمّا إذا قلت:" أخوك زيد" لمن يعتقد أخا لنفسه

[1]- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز: ص 203.

[2]- ينظر: المصدر نفسه: ص 204.

[3]- ينظر :أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 314.

[4]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:ص165،166.

لكن لا يعرفه على التّعيين، فيتصوره طالبا منك الحكم على أخيه بالتّعيين؛ ومن هذا اتّضح الفرق بين "زيد أخوك" و"أخوك زيد"؛ وفي موضع آخر نلفي "السّكّاكي" يقول: وإذا قلت:" زيد المنطلق"، قلته لمن يطلب أن يعرف حكما لزيد، إما باعتبار تعريف العهد إذا كان المنطلق عنده معهودا، وإما باعتبار تعريف الحقيقة، واستغراقها، وإذا قلت:" المنطلق زيد"، قلته للمتشخّص في ذهنه المنطلق بأحد الاعتبارين: وهو طالب لتعيينه في الخارج"[1].

من خلال ما تقدم يتّضح لنا أنّ: (زيد دالّ على الذّات)، فهو متعيّن للابتداء، والمنطلق دالّ على أمر نسبيّ، فهو متعيّن للخبريّة تقدّم، أو تأخّر، وعليه لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان معرفتين معا. "فالمنطلق" لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشّخص الّذي له الانطلاق، وأنّه بهذا المعنى يجب ألاّ يكون خبرا، وأنّ "زيد" لا يقع خبرا إلا بمعنى صاحب اسم "زيد"، وإنّه بهذا المعنى يجب ألاّ يكون مبتدأ، وبالتّالي المرادف من قولنا: "المنطلق زيد" الشّخص الّذي له الانطلاق صاحب اسم زيد.

كأنّ "السّكّاكي" يستدلّ على كلامه بما قاله "عبد القاهر الجرجانيّ" في معرض حديثه عن الفروق في الخبر، والّذي سبق، وأن أشرنا إليه[2]. كما نجده سيقر في حديثه في مناقشته (لام التّعريف) في مثل: "الرّجل، والمنطلق" مخالفا آراء "عبد القاهر الجرجانيّ"، وغيره ممّن رأوا أنّها قد تكون للاستغراق، أو للحقيقة، والماهيّة، أو للعهد الخارجيّ، أو الذّهنيّ، وفي السّياق نفسه ،يقول:

[1]- أبو يعقوب السّكاكي :مفتاح العلوم: ص314.

[2]- ينظر :عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص203.

"إنّ القول بتعريف الحقيقة بـ(اللاّم)، واستغراقها مشكل". إذا قلنا: "المراد بالتّعريف: الحقيقة القصد إليها، وتميّزها من حيث هي، لزم أن يكون أسماء الأجناس معارف"[1].هكذا يرجّح "السّكّاكي" لام التّعريف أنّها دائما تكون لتعريف العهد الذّهنيّ موافقا بذلك أراء بعض أئمة أصول الفقه يقول:"...وكلّ ذلك- على ما ترى- فاسد"، والأقرب بناء على قول بعض أئمة أصول الفقه، إنّ (اللاّم) موضوعة لتعريف العهد لا غير"[2]، ومن اللاّفت للنّظر هنا ذكره علماءَ الأصول الّذين كانوا يدرجون كثيرا في أعمالهم مسائل متعلّقة بالنّحو، والمعاني، والبيان ذلك لبحثهم في دلالات التّراكيب، والألفاظ.

لعلّ ما يمكن أن نخلص إليه ؛أنّ الحقيقة لكونّها من حيث هي ليست متعدّدة لتحقّقها مع التّوحّد، ولا متعدّدة لتحقّقها مع التّكثّر، وإن كانت لا تنفك في الوجود عن أحدهما، صالحة للتّوحّد، والتّكثّر، فيكون الحكم استغراقا، أو غير استغراق إلى مقتضى المقام؛ فإذا كان خطابيّا مثل: "المؤمن عزّ كريم، والمنافق خبّ لئيم" حمل المعرّف باللام مفردا كان، أو جمعا على الاستغراق بعلّة إبهام أنّ القصد إلى فرد دون آخر، مع تحقّق الحقيقة فيهما[3]. أمّا إذا كان استدلاليّا حمل على أقل ما يحتمل، وهو واحد في المفرد.

3-6 - جملة المسند: يأتي الخبر جملة إما لإرادة تقوى الحكم بنفس التّركيب كقولك:"بكر إن تعطه يشكرك"؛ فالجملة الشّرطيّة هنا ليست إلاّ جملة خبريّة مقيّدة بقيد مخصوص، أو لكونه

[1]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم :ص 316.

[2]- المصدر نفسه: ص 317.

[3]- المصدر نفسه :ص 316،317.

سببا، وهو أن يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثّبوت لما هو مبنيّ عليه أي أن يكون هناك رابط بين الخبر، والمبتدأ يفيد تقويّة الصّلة بينها. كما قد تكون الجملة فعليّة لإفادة التّجدّد، كقولك:" زيد ينطلق، أو انطلق"[1]؛ فالفعل موضوع لإفادة التّجدّد، ودخول الزّمان الّذي من شأنه التّغيّر في مفهومه مؤذّن بذلك، أو جملة اسمية لإفادة الثّبوت كقولك: "زيد أبوه منطلق، فالاسم إن دلّ على التّجدّد لم يدلَّ عليه إلا بالعرض؛ وكذلك قد تكون جملة ظرفيّة لاختصار الفعليّة كقولك: "زيد في الدار بدل "استقر فيها"[2]، ومن ثمّة يتبيّن لنا أنّ مرجع الجمل الأربعة إلى اثنتين: (اسمية، وفعليّة).

3-7 – تأخير المسند، وتقديمه :

يتأخّر المسند لأنّ تأخيره الأصل، وتقديمه المسند إليه أهم، نحو:(الوطن عزيز)[3]، وقد يتقدّم المسند إذا وجد باعث على تقديمه كان يكون متضمّنا الاستفهامَ نحو:(كيف زيد)؟ و(أين عمرو)؟ و(متى الجواب)؟ وإما تخصيصه بالمسند إليه كقوله- عزّ وجلّ- :﴿**لَكُمْ دِينَكُم وَلِيَ دِينِ**﴾[4].كذلك قولك: "قائم هو" كمن يقول: "زيد إما قائم، أو قاعد" فيردّه بين القيّام، والقعود من غير أن يخصّصه بأحدهما، أو أن يكون المراد التّنبيه على أنّه خبر، لا نعت كقولك[5]:"**تَحْتَ رَأسِي سَرجٌ**"، وَ"**عَلى أبِيهِ دِرعٌ**"، أو للتّفاؤل، أو للتّشويق إلى ذكر المسند، أو لأهميّته عند القائل

[1]- ينظر :أبو يعقوب السّكاكي :مفتاح العلوم: ص 319.

[2]-ينظر : المصدر نفسه :ص320

[3]- ينظر : السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص168

[4]- سورة الكافرون:الآية:06.

[5]- ينظر : أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 321.

كقولك: "عليه من الرّحمن ما يستحقه"، أو أن يكون قلب السّامع معقودا به كقولك: "قد هلك خصمك"، وبمن يتوقّع ذلك" أما مع المصدر، كنحو: (سلام عليك)، و(ويل لك)؛ فلا فرق بين ظرف له حقّ في التّأخير عن مبتدئه ذلك قبل صيرورته مبتدأ، وذلك قولك: "سلاما عليك" (بالنّصب) منزّلا منزلة: (أسلّم عليك)[1].

يرى "السّكّاكي" أنّه لابد أن يكون المراد بالجملة إفادة التّجدّد دون الثّبوت، فيجعل المسند فعلا، ويتقدّم عليه المسند إليه كقولك:" أنا عرفت، وأنت عرفت، وزيد عرف"؛ فأفاد بذلك إما تقويّة الحكم، أو التّخصيص دون الجمع بينهما، فالجملة إمّا أن تكون جاريّة على الظاهر، وهو أنّ "أنا "واقعة مبتدأ، وعرفت واقعة خبراً للمبتدأ جملة فعلية، وبالتّالي يكون الغرض من التّقديم تقويّة الحكم، أو يكون المسند إليه متأخّرا في الأصل على أنه فاعل فتقدّم به المتكلّم، وعندها يكون الغرض من التّقدّم التّخصيص، ويؤكّد في مثل:(زيد عرف) تقويّة الحكم، وفي مثل:(رجل عرف) التّخصيص[2]، وفي هذا السّياق يقول: "بل حقّ المعرّف حمله على وجه تقوّي الحكم، وحق المنكر على وجه التّخصيص"[3]؛ وحينئذ لا يكون له احتمال التّقدّم على الفعل، فلا يكون لقولنا: "زيد عرف" غير احتمال الابتداء اللّهمّ إلاّ بذلك الوجه البعيد، فلا يرتكب عند المعرّف لكونه على شرط المبتدأ، وإنّما يرتكب عند المنكر لفوات الشّرط إذا لم يمنع عن التّخصيص مانع.

[1]- المصدر السابق: ص 323.

[2] - المصدر نفسه :ص 323.

[3]- المصدر نفسه: ص327.

3-8- إفراد المسند: يكون المسند مفردا إذا لم يكن المقصود من نفس تركيب الحكم، أي ما يكون مفهومه محكوما به بالثّبوت للمسند إليه، أو بالانتقاء عنه كقولك: "أبو زيد منطلق"، و"في الدّار خالد"، والتّقدير يكون: (استقرّ)، أو (حصل في الدّار)، وهو تقدير المتعلّق فعلا، لا اسما[1].

3-9- اعتبارات الفعل، ومتعلقاته:

حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل، ومن هنا يعقد "السّكّاكي" فصلا للفعل، وما يتعلّق به من ظواهر: كالتّرك، والإثبات، والإظهار، والإضمار، والتقديم، والتّأخير ... لتحقيق أغراض يطمح إليها المتكلّم، وتقتضيها مقتضيات الخطاب، فالفعل يحذف في بعض الصّيغ إذا كان المطلوب الاختصار، أو إتباع الاستعمال الوارد على تركه كقولك:" لا خطية فلا ألية"[2]؛ وفي الجواب، السّؤال واقع كقوله تعالى:﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾[3] أو جوابا لسؤال مقدّر كقولك: "يكتب القرآن لزيد".

نظرا إلى أهميّة الفعل في الكلام، والحاجة إليه نجده دائم الذّكر في الكلام؛ يقول "السّكّاكي":"...وأمّا الحالة المقتضية لإثبات الفعل، فاشتمال المقام على جهة من جهات الاستدعاء له، والتّلفّظ به"[4]، فالأصل في العامل أن يُقدّم على معموله ،كما أنّ الأصل في

[1]- ينظر : أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 308.

[2]- ينظر :المصدر نفسه : ص 329.

[3]- سورة لقمان: الآية:25.

[4]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 333.

المعمول أن تُقدّم عمدته على فضلته، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل، والفاعل[1]. كما نجده يقف عند حذف مفعوله قصد التّعميم، والامتناع على أن يقصره السّامع، أو القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدّي منزلة اللاّزم، أو قصدا إلى الاختصار بنيابة قرائن الأحوال عن ذكره كقوله تعالى: ﴿**أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً**﴾[2]، أو الرّعاية على الفاصلة[3]، نحو قوله-عزّ وجل-: ﴿**وَالضُّحَى{1} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى{2} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ﴾[4]، ولاحظ أنّ الأصل في فعل الشّرط أن يكون مستقبلا؛ أو استهجان ذكره كقول (عائشة)- رضي الله عنها-:"ما رأيت منه ولا رأى منّي" ؛بمعنى ما رأيت عورة (رسول الله) قطّ، وقد يكون القصد إلى اعتبار غير ذلك من الاعتبارات المناسبة للتّرك، وفي موضع آخر نلفي "السّكّاكي" يثبت الفعل لفائدة تمام الكلام، أو القصد لزيادة تقريره ،وبسطه، أو لرعاية الفاصلة كقوله تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا{1} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا**﴾[5]، وكذلك يعرض لإضمار فاعله، وإظهاره حسب مقتضيات الأحوال كأن يكون حكاية، أو خطابا في مثل: عرفت، وعرفت، أو كون الفاعل مسبوقا بالذّكر كقولك: "جاءني رجل، فطلب منّي كذا، أو في حكم المسبوق به[6].

---

[1]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:ص191.

[2]- سورة الفرقان: الآية:41.

[3]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص190

[4]- سورة الضحى: الآيتان 1،3.

[5]-سورة الشمس :الآيتان :1،02.

[6]- ينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص335،336.

أما فيما يخصّ اعتبار التّقديم، والتّأخير، فنجده يأخذ مجرى الحديث الطّويل عن تقديم الفاعل على الفعل في مثل: "أنا عرفت، وأنت عرفت، وهو عرف" وإفادة التّقديم مرتبطة بالتّخصيص[1]، ثم يذهب للتّحدّث عن تقييد الفعل بالشّرط، وخاصة مع " إنّ" و"إذا" و "لو" ؛ ثم يشرع يفصّل أدوات الشّرط المختلفة.

أهمّ ما يمكن استنتاجه أنّ للمسند إليه، والمسند أهميّة كبيرة في البلاغة العربيّة باعتبارهما ركنان أساسيّان في الجملة، خصّصت لهما فصولا، وأبوابا، وشروحات لا منتهية إذا أمعن النّظر في أمّات الكتب.

[1]-أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 360.

المبحث الثّاني: آليات علم المعاني، وأبعادها التّداوليّة

1- التّقديم، والتّأخير.

2-الفصل، والوصل.

3-الإيجاز، والإطناب.

4- أسلوب الطلب، وما يتعلّق به من ظواهر كلاميّة.

5- ظاهرة الأفعال الكلاميّة عند "السّكّاكي".

يقول" أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ":

« يجب على المتكلّم أن يوازن بين المعاني، وأقدار المستمعين، وأقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقامًا »

[البيان، والتّبيين :ج01 :ص 17].

توطئة :

إذا كان علم المعاني المجال الّذي يلقي مقارباته حول الظّروف، والأحوال، والمقامات الّتي تكون كالمؤطّر، والكنف لعمليّة صناعة الكلام؛ فإنّه بذلك يخطو خطوات متماسكة نحو التّداوليّة الّتي تعنى بمثل هذه المقاربات[1]؛ وعليه فلا ضير أنّ الآليات المحتوات، المندرجة تحت لواء علم المعاني تتقاطع، وتتماثل تماثلا (مفهوماتيّا) في بعض (تمظهراتها) مع بعض (الميكانيزمات) المعتمدة في الطروحات التّداوليّة المعاصرة؛ ولكي نثبت الطّرح لا بأس أن نعرّج على بعض الآليات الّتي يشتمل عليها علم المعاني لنرى إلى أيِّ حدّ ترقى .

1- التّقديم، والتّأخير:

يعتبر مبحث التّقديم، والتّأخير من المباحث المهمّة الّتي استأثرت باهتمام السّواد الأعظم من البلاغيّين العرب، فلقت رواجا كبيرا في مؤلّفاتهم، وربّما كان من أهمّ الدّلائل على كلامنا ما ذهب إليه "عبد القاهر الجرجانيّ" عندما قال: "التّقديم، والتّأخير باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن ،واسع التّصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يغترّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطّف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن أراقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللّفظ من مكان إلى مكان "[2].ممّا يعني أنّ للتّقديم، والتّأخير فوائد جمّة تعبر عن مدى سعي العربيّة إلى تحصيل جمال التّعبير، والصّياغة قبل كلّ شيء، ولو كان ذلك على

[1]- ينظر :محمد محمد يوس علي :وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية :ص 118.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز : ص 85،86.

حساب التّرتيب الّذي وضعه الأوّلون[1]،كما قد "تمتزج فيه الرّؤى، أو يضمّ عددا من المحاور في البلاغة العربيّة؛ وهناك من وصفها بأنّها(مظهر من مظاهر الشّجاعة العربيّة)، فيها إقدام على مخالفة قرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس اعتمادا على قرائن أخرى، ووصولا بالعبارة إلى دلالات، وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق جميل".[2]

إنّ نظرة متفحّصة، واعية اتجاه النّصّ الّذي أورده "الجرجانيّ" تفضي بنا إلى القول: إنّ سرّ اهتمام الدّراسات البلاغيّة بمبحث التّقديم، والتّأخير كونه لا ينفكّ وركن ركين في بحوثهم، وذات صلة وثيقة بالأغراض الأسلوبيّة الفنّيّة الكامنة في الكلام ذات النّظرة الجماليّة التّأثيريّة .

أمّا عن طريق حدوث ظاهرة التّقديم، والتّأخير في الكلام، وما يترتّب عنها فيمكن القول: "إنّها تحدث عند تغيّر قواعد النّظام التّركيبيّ الّذي يصدره الدّرس النّحويّ، أو عند حصول انتهاك وينتج عن هذا الانتهاك الصّريح ظهور إفرازات دلاليّة أخرى تنقل المعنى من مستوى إلى آخر"[3].

من البلاغيّين العرب الّذين تعاملوا مع آلية التّقديم، والتّأخير، وكان لهم دور كبير في إثرائه نلفي الإمام "عبد القاهر الجرجانيّ" الّذي بنى نظرته وفق تصوّر خالف فيه النّحويّين الّذين كانوا يظنّون أنّ حصول التّقديم مقصور على العناية، والاهتمام ،إذ كان يكفي بالنّسبة إليهم أن يقال:

[1]- ينظر: عبد الكريم الدخيسي :التقديم والتأخير في بلاغة العرب :ص 02.

[2]- ينظر: المرجع نفسه : ص 02.

[3]- ينظر:محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية: القاهرة، مصر، دار نوبار للطباعة، دط، 1994،ص331.

"إنّه قدّم للعناية، لأنّ ذكره أهمّ "[1] ،لكنّهم تغاضوا عن ذكر "من أين تلك العناية ؟ وبم كان أهمّ وأولى"[2] .

هكذا يغدو المقام عند "الجرجانيّ" مثل مؤشر مهمّ، ودعامة أساسيّة في عمليّة التّقديم والتّأخير الحاصلة في الصّياغات اللّغويّة ،وتثبت أحقيّة المقتضى التّصوّريّ حين قام المنظر البلاغيّ بتمثيل النّحاة على فكرة مفادها يقول:"...كمثل ما يعلم من حال النّاس في حال الخارجيّ يخرج، فيعبث، ويفسد، ويكثر به الأذى ، إنّهم يريدون قتله، ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شيء، فإذا قتل، وأراد مريد الإخبار بذلك، فإنّه يقدّم ذكر الخارجيّ، فيقول: "قتل الخارجيّ زيد" ولا يقول: "قتل زيد الخارجيّ"، لأنّه يعلم أن ليس للنّاس في أن يعلموا أنّ القاتل له "زيد" جدوى، وفائدة، فيعنيهم ذكره، ويهمّهم، ويتّصل بمسرتهم، ويعلم من حالهم أنّ الّذي هم متوقّعون له، ومتطلّعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجيّ المفسد، وأنّهم قد كفّوا شره، وتخلّصوا منه "[3]، أي أنّ مقام الحال عند "الجرجانيّ" نقطة تشكّل العالم انطلاقا من فكرة متعلّقة بالمتكلّم تسمح له أن يقدم، أو يؤخّر في كلامه.

ما ينبغي الإشارة إليه أنّ ثمّة آليات ذهنيّة تتدخّل بين الدّراسات النّحويّة، والدّراسات البلاغيّة في تعاملها مع ظاهرة التّقديم، والتّأخير لتظهر الفروق الجوهريّة بينهما؛ فإذا كان النّحويّون يعتبرون قضيّة الرّتبة ممثلة للنّموذج الأدائيّ في التّركيب المألوف، فإنّ المنظّرين، والدّارسين البلاغيّين

[1]- سيبويه :عمرو بن عثمان بن قنير: الكتاب :تح: عبد السلام هارون، بيروت، ط 3،1983،ج1،ص 334.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص 87.

[3]- المصدر نفسه :ص 86.

العرب ينظرون إليها- مسألة الرتبة- في الكلام نظرة مغايرة قوامها: اعتبار الرّتبة عاملا من بين العوامل الّتي تساعد على تحديد كمّيّة العدول[1].

لا مندوحة أنّ العدول في التّصوّر البلاغيّ هو جملة لمجموعة عوامل نفسيّة تعتري العمليّة التّواصليّة كالتّفاؤل، أو الاهتمام بتشويق السّامع[2]، ولقد بيّن "السّكّاكيّ عمليّة العدول- وهو في مقام تفسيريّ- لحالتي تقدّم المسند إليه على المسند، كتقدّم الفاعل على الفعل نحو: (هو عرف) و(أنا عرفت)، و(أنت عرفت)؛ فبالنّسبة إلى ا"لسّكّاكي" عدولا عن النّموذج العادي المتمثّل في:(عرف هو) و(عرفت أنا)، كما يتقدّم المبتدأ النّكرة على فعله أيضا لإفادة التّخصيص، نحو:(ما ضربت أكبر أخويك)[3].

أمّا الحالة المقتضية للنّوع الثّاني فتتمثّل في الابتداء بالنّكرة، ومن بين ما أشار إليه "السّكّاكي" قوله: "جاء رجل"، يقول:"...فلحصول عمليّة العدول، وإفادة التّخصيص يفترض وجود أصل افتراضيّ لهذا التّركيب، وهو :"جاء رجل" كقوله تعالى:﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾[4]؛ فلا مراء أنّ "السّكّاكي"- وهو ضمن مواجهة تركيب يبتدئ بالنكرة- يلجأ إلى التّقرير الّذي يفيد الاختصاص"[5].

---

[1]- ينظر: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية: ص 272.

[2]- ينظر: أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 342.

[3]- ينظر :المصدر نفسه: ص 337.

[4]- سورة الصافات: الآية :47.

[5]- ينظر : أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 340،341.

إنّ نظرة متفحّصة، واعية، نابعة من فكرة مجملة حول مبحث التّقديم، والتّأخير تفضي بنا إلى القول: إنّ الهدف الّذي ترمي إليه البلاغة، وتنظيراتها المتعلّقة بقضية الرّتبة، وترتيب الكلمات في الصّياغات اللّغوية؛ هي الرّكوض، والسّعي إلى الاهتمام بالسّامع بما يشبه الرّكن الرّكين، والعمد والإصغاء[1].

في ظلّ الطّرح السّابق الّذي انبرى تحت تنظيرات البلاغة يغدو اللّعب بترتيب الألفاظ القائم على مستوى البنيات التّركيبيّة ذا طابع استعماليّ، مهمّته الأساسيّة تتبدّى في خلق تأثيرات ذات صبغة تداوليّة على المتلقّين، وتحقيق أهداف، ومقاصد أخرى أساسيّة، وثانويّة كالتّفاؤل والاستمتاع، وغيرها.

إنّ أوّل ما يلفت القارئ المتفحّص تاريخ البلاغة العربيّة، أنّ مبحث التّقديم، والتّأخير مبحث قائم على أبعاد تداوليّة تتنازعه نقطتين أساسيّتين[2]:

- النّقطة الأولى: يمكن إدراج مبحث التّقديم، والتّأخير ضمن إطار التّأثير الموقعيّ، الّذي يعتبر أحد أقطاب تأثير المقام في صناعة الكلام.

- النّقطة الثّانية: يتمّ من خلال الإتيان بترتيب معيّن للكلمات وفقا لما تمليه ملابسات الموقف أي أنّ عمليّة التّلفّظ، وما تحتويه من خصوصيّات تتعلّق تعلّقا شديدا بمقام التّلفّظ، وحيثياته ومميّزاته.

[1]- ينظر: مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل: الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 193،ص11.

[2]- ينظر: محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا: ص 142،143.

الجميل في الطرح أنّ أيّ رؤية متمعنّة، واعية لمسألة ترتيب الكلمات، تقودنا إلى استحضار ما أنجزته الدّراسات التّداوليّة المعاصرة ضمن تنظيراتها الخاصّة بالقوة الإنجازيّة للصّياغات الكلاميّة بحيث تعتبر أنّ لمسألة (تموضع) الكلمات في التّراكيب اللّغويّة دورا أساسيّا، وركنا ركينا في تحديد مدى القوّة الإنجازيّة لهذه الصّياغات المهمّة[1].

حاصل الكلام أن موضوع التّقديم، والتّأخير يبقى من الموضوعات الّتي تناولها الدّارسون بالعرض، والتّحليل للوقوف على مدى شجاعة اللّغة العربيّة في الخروج عن المألوف الّذي جاء في تركيبهم، والّذي لم يكن ضربا من الخطّ، والعشوائيّة ممّا كان له ما يبرزه، ودواع اقتضاها التّعبير، أو المقام، أو السّيّاق الّذي جاء فيه التّقديم، والتّأخير واسع لا يمكن أن يحصر في هذه الصّفحات القليلة؛ وكما نعرف أغراض النّحو، والبلاغة، وغيرها من العلوم الّتي وضعها علماؤنا، إنّما كان الهاجس الأوّل وراءها خدمة اللّغة العربيّة للحفاظ عليها من الدّخيل، والسّقيم.

2- الفصل، والوصل:

يعدّ مبحث الفصل[2]، والوصل من أهمّ مباحث علم المعاني الّتي حظيت باهتمام البلاغيّين العرب، وربّما يرجع سرّ الاهتمام إلى كونه يعدّ انعكاسا للمظاهر الخطابيّة الّتي يتبيّن من خلالها

[1]- ينظر: محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 69.

[2]- الفصل: ترك الربط بين الجملتين، إما لأنّهما متّحدثان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدثين، وإما لأنّه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى . السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص 221،222.

مدى تماسك الخطاب، وترابط أجزائه بعضها ببعض[1]، بطريقة تحقّق الحكم الصّائب على تمييز الخطاب التّواصليّ الناجح عن غيره؛ وتظهر الأهميّة الكبيرة الّتي حظي بها مبحث الفصل، والوصل في الدّراسات البلاغيّة العربيّة في ثنايا كتاب مفتاح العلوم لـ"السّكّاكي"- وهو في صدد سرد مجموعة من التّعريفات الّتي اختصت بها البلاغة العربيّة- إذ يقول: "أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة، وفصل جوهر معانيه في سمط ألفاظه، فحملته نحور الرّواة "[2]؛ممّا يعني أنّ البلاغة برمّتها قد قرنت بمعرفته .

الجميل في طرح "السّكّاكي" أنّ مدار الفصل، والوصل يكمن في ذكر العاطف، أو تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر، كما يتمحور الفصل، والوصل بين الجمل حول ذكر (الواو)، أو عدمه؛ ويشترط في العطف ب(الواو) مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾[3]،بحيث تحتلّ الجملة الثّانية محلّ التّابع من المتبوع من الجملة الأولى، فتصبح كأنها نعت لها، أو توكيد، أو عطف بيان، أو بدل[4].من ههنا تظلّ معرفة الفصل، والوصل في الكلام من أهمّ المعايير الّتي يستند إليها البلاغيّون العرب في تشخيص مدى

[1]- ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، لبنان بيروت، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي ص97.

[2]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 364.

[3]- سورة سبأ:الآية:2.

[4]- ينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 336.

نجاح الخطاب من حيث القبول، والحسن؛ وعليه فإنّ البليغ من استطاع أن يوصل، ويفصل بين أجزاء الكلام من غير خلط، فيكون بصيرا بمقاطع الكلام، وبمواضع وصوله، وفصوله؛"...فإنّ البلاغة إذا اعتزلتها للمعرفة بمواضع الفصل، والوصل كانت كالآلي بلا نظام"[1]،ومن ثمّة تبدو معرفة مواضع الفصل، والوصل مرآة عاكسة يتمّ بواسطتها الكشف عن القدرة التّواصليّة الّتي بصدد البليغ ،كما يعتبر من الآليات الإجرائيّة الّتي تندرج ضمن فكرة مقتضى الحال باعتبار أنّ هناك مواضع تقتضي الفصل بين أجزاء الكلام، وأخرى تقتضي الوصل.

لا مندوحة أن تكون إشارات "السّكّاكي" في منجزه إلى الفصل، والوصل الّذي يريد به كمال الاتّصال، والانقطاع؛ كلّها تعمل على تتويج المعطى التّداوليّ في مظريّته الشّعريّة، وفي السّيّاق نفسه يحضرنا قوله:" إنّ الجملة تفصل عن سابقتها إمّا لكمال الاتّصال، أو لكمال الانقطاع، وتوصل إذا توسّطت بين الكماليين، ولكلّ هذه الأنواع حالة تقتضيه، فإذا طابق ورودها تلك الأحوال وطبق المفصل رقى الكلام من البلاغة"[2].

يتبيّن لنا في طرح "السّكّاكي" أنّه ينحو في صور بيان الانقطاع بالإشارة إلى أنّ الجملتين تنفصلان متى اختلفتا خبرا، وطلبا؛ أو اتّفقتا خبرا، وليس بينهما جامع يجمعهما، فانصبّ اهتمامه في البحث عن الجامع بين الجملتين على طريقته، فهو إمّا عقليّ، أو وهميّ، أو خياليّ فالجامع العقليّ ما يدرك بالعقل من الكليّات كالاتحاد في المخبر عنه، أو الخبر مثلا. أمّا الجامع

[1]- أبو الهلال العسكري: الصناعتين "الكتابة والشعر" تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ،لبنان، بيروت منشورات المكتبة العصرية،دط،1986، ص 106.

[2]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 360.

الوهميّ: فهو أن يكون بين تصوراتهما شبه تماثل نحو: أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض وفي الثّانية لون صفرة، فإنّ الوهم يحتال في أن يبرزهما في معرض المثلين أي: أنّه يدرك بالخيال والوهم؛ أمّا الجامع الخياليّ إلى ذلك، فإنّ جميع ما يثبت في الخيال ممّا يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدّى إليه، ويتكرر لديه[1]، أي: ما يدرك بالحسن من الصّور.

بعدها ينتقل إلى الحديث عن التّوسّط بين كمال الانقطاع، والاتصال بين الجملتين، وذلك يكون لأمر يرجع إلى الإسناد، أو طرفيه، ويكون في حالتين: أن تختلف الجملتان خبرا، وإنشاء ولفظا، ومعنى نحو: (لا تدنُ من الأسد يأكلك)، أو معنى، لا لفظا كقولك:" مات فلان- رحمه الله-، أو أن تتّفق الجملتان خبرا، والمقام على حال الإشراك بينهما في جوامع[2]، ثم كلّما كانت الشّركة في أكثر، وأظهر كان الوصل بالقبول أجدر، ونجده يستشهد بآيات قرآنية لتوضيح الصّورة الأولى، ومن ذلك قوله تعالى ﴿**فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**{8} **يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**{9} **وَأَلْقِ عَصَاكَ** ﴾[3].فإن كان الكلام مشتملا على تضمين الطّلب معنى الخبر، وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿**وَألقِ عَصَاكَ**﴾ معطوف على قوله "**أن بورك**"، والمعنى فلما جاءها قيل: "بورك"، وقيل: "ألق عصاك". لمّا عرفت في علم النّحو أنّ "إنّ" هذه لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول[4]. فالفعل " ألق" فعل أمر طلبيّ معطوف

[1]- ينظر: المصدر السابق: ص 362-363.

[2]- ينظر: أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 370.

[3]- سورة النمل: الآيات 8،09،10.

[4]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 368.

ب(الواو) على الفعل بورك، وهو فعل ماض خبريّ؛ ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين في الإسميّة، والفعليّة، وفي الماضي، والمضارعة إلاّ لمانع كما إذا أريد بإحداهما التّجدد، وبالأخرى الثّبوت كقولك: "زيد، وعمرو قاعدان، ثم قام زيد دون عمرو"، وقلت: "قام زيد، وعمرو قاعد"[1].

وفي معرض حديث "أحمد الهاشمي" عن (الفصل، والوصل) يقول: "أحيانا تتقارب الجمل في معناها تقاربا تامّا، حتى تكون الجملة الثّانية كأنّها الجملة الأولى، وقد تتقطّع الصّلة بينهما إمّا لاختلافهما في الصّورة ،كأن تكون إحدى الجملتين إنشائيّة، والأخرى خبريّة، وإمّا لتباعد معناهما بحيث لا يكون بين المعنيين مناسبة"[2].يتضمّن النّصّ إشارة صريحة إلى دور (الفصل، والوصل) الخلاّق بوصفه قاعدة تداوليّة، كما يعتبر أنّ موضوع (الفصل، والوصل) أمر لا مناص منه بحيث يجب الفصل في كلّ موضع من المواضع المقدّمة؛ ثم نلفي إشارة أخرى تتعلّق بالفصل، ودورها في العمليّة التّواصليّة، ونحسب أنّ هذا التّصوّر العميق (للفصل) ينسحب على مضامين العمليّة التّواصليّة برّمتها يقول "السّكّاكي" ما نصّه: "إنّ من بين الحالات الّتي تقتضي الفصل تلك الحالات الّتي تستند إلى دواعي احتياطه، وتتم، عندما يكون الكلام السّابق بفحواه كالمورود للسّؤال، فتنزل ذلك منزلة الواقع، ويطلب بها الثّاني، ووقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام السّابق"[3]

[1]- ينظر :المصدر السابق :ص 368،369.

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص 224.

[3]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص 360.

على أنّ الفصل له دور أساسيّ في تحقيق عمليّة الإفهام الموجّه إلى المتلقّي بإبعاد الكلام عن الوقوع في اللّبس، والغموض[1].

ممّا يزيد في إثبات أحقيّة التّصور ما ذهب إليه "القزويني" يقول ما نصه: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه، وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ، منها عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علما يكنّه إلاّ من أوتي فهم كلام العرب طبعا سليما...ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفصل، والوصل"[2].فالمتكلّم البارع من أتاحت له كفاءته التّداوليّة من معرفة مقتضيات الفصل والوصل في الكلام التّواصليّ الّتي ترتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة الموضوع، وإفرازاته؛ فإذا اتّصلت معاني الجمل ببعضها بعضا وجب الوصل، أمّا إذا انقطعت فكان الفصل. يقول "العسكري" في هذا المضمار:"...وكان "الحارث بن أبي شمر الغساني" يقول لكاتبه "المرقّش" :إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء معنى غير ما أنت فيه فافصل بينه، وبين تبعته من الألفاظ"[3]، ويبدو هنا أنّ مقتضيات الفصل، والوصل ترتبط في البلاغة العربيّة بمكوّن المقام، وملابساته بوصفه معطى أساسيّا لابد من إشراكه في أيّ عملية تلفّظيّة، ولا أدّل على ذلك ممّا أورده "العسكري" في سّياق حديثه عن آليتي الفصل، والوصل إذ يقول ما نصّه:"...وقال "الأحنف ابن قيس":ما رأيت رجلا تكلّم، فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا "عمرو بن العاص"- رضي الله عنه- كان إذا

[1]- ينظر :محمد خطابي :لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :ص 113.

[2]- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبديع والبيان :ص 118.

[3]- أبو الهلال العسكري: الصناعتين: ص 408.

تكلّم تفقّد مقاطع الكلام، وأعطى حق المقام"[1]؛ وهكذا تسنىّ ل"العسكري" من خلال الصّناعتين معالجة مبحث الفصل، والوصل من خلال البحث في مقتضياته، كما اعتبره حقّا ينبغي عدم التّفريط فيه في مسلك تفقّد مقاطع الكلام، ولتوضيح ظاهرة الفصل يضرب "السّكّاكي" المثال الآتي، نحو قول الشاعر:[2]

وتظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِيْ أَبْغِيْ بِهَا ** بَدَلاً أَرَاهَا فِيْ الضَّلاَلِ تَهِيمُ**

يتبيّن لنا من البيت أنّ "سلمى" تظنّ أنّ محبوبها يحبّ امرأة غيرها، وهذا منافٍ للحقيقة حسب الشاعر؛ ويظهر ذلك في قوله: "أراها في الضّلال تهيم"، إذ أراد من خلاله نفي ظنّها لذلك فصل كلمة (أراها) عن الجزء الأوّل من الكلام ليقع جوابا لسؤال مقدّر بعد قوله "وتظن ... بدلا " مفاده :"فما رأيك فيما تظنّه سلمى"؟ وهكذا يكون قوله: "أراها "بمثيل جواب عن السّؤال المقدّر؛ وبالتّالي لم يعطف (أراها) على (تظنّ) كي لا يتوهّم السّامع أنّه معطوف على (أبغي) لقربه منه مع أنّه ليس بالمراد فيحتمل الاستئناف، فالملاحظ أنّه يقطع للاحتياط حين يخشى أن يتبادر إلى ذهن السّامع أنّ الجملة معطوفة على أخرى من شأنها إن عطفت عليها يفسد المعنى ،أمّا فيما يخصّ (البدل) قول الشّاعر:[3]

أَقُولُ لَهُ: "ارْحَلْ لاَ تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا ** وَإِلاَّ فَكُنْ فِيْ السِّرّ، وَالجَهْرِ مُسْلِمًا".**

[1]- المصدر السابق: ص 406.

[2]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 370.

[3]- المصدر نفسه: ص 376.

نجده فصل "لا تقيمَنَّ" عن "ارحل" لقصد (البدل) لأنّ المقصود من كلامه هذا كمال إظهار الكراهة لإقامته بسب خلاف سرّه العلن، وقوله "لا تقيمَنَّ عندنا" أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله "ارحل".

أمّا الإيضاح، والتّبيين قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ{8} يُخَادِعُونَ**﴾[1]، فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتّحادا تامّا يمنع عطف الشّيء على نفسه، ويوجب الفصل، فلم يعطف (يخادعون) على ما قبله، لكونه موضّحا له، ومبيّنا من حيث أنّهم حين كانوا يوهمون بألسنتهم أنّهم آمنوا، وما كانوا مؤمنين بقلوبهم، فقد كانوا في حكم المخادعين، وأمّا التّقدير، والتّأكيد نحو قوله-عز، وجل-:﴿**ألَمِ {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[2]،فنجده لم يعطف ﴿**لا رَيب فيهِ**﴾ على"ذلك الكتاب" حين كان وزانه في الآية وزان نفسه، بحيث جعل المبتدأ لفظة "ذلك"، وأدخل على الخبر(حرف التّعريف) فكان عند السّامع، فأتبعه ب :"لا ريب فيه "نفيا من وقوع التّوهّم، بحيث لا يوجد في كلامهم مسند إليه نكرة، ومسند معرفة في الجملة الأخرى، كذلك في قولك: "أخوك زيد"، فهذه الجملة تعبير لمن تعرّف أنّ له أخا، لكن لا تعرفه بالتّعيين فيتبيّن له طالبا منك الحكم على أخيه بالتّعيين وفي موضع آخر إذا قلت مثلا: "زيد أخوك قتله"، لمن يعلم (زيدا)، فأخّرت الأخ معرّفا له[3].

[1]- سورة البقرة: الآيتان: 8،9.

[2]- سورة البقرة:الآيتان :1،2.

[3] - ينظر: المصدر السابق: ص 376.

لا مندوحة أن تكون إشارات البلاغيّين العرب- وهم في إطار تعيين الأحوال المختصّة بمواقع الوصل، ورصدها- تعمل على تتويج أسس، وزرعها، وتحديد مبادئ ينهض عليها الخطاب التّواصليّ النّاجح، المنسجم الّذي يقدم للمقام، والمتلقّين عناية لا يستهان بها .

الجميل في طرح "السّكّاكي" رؤيته في أنّ الجملتين المختلفتين خبر، أو طلب يجب فصلهما عن بعضهما بعضا تفاديا لعطف الطّلب على الخبر، أو العكس، بمعنى أنّ الفصل هنا يرجع إلى اختلاف الأفعال الكلاميّة[1]؛ ومن أمثلة الانقطاع للاختلاف خبرا، وطلبا قوله:[2]"

مَلكْتُه حَبْلِي، وَلَكِنّهُ أَلقَاه * مِن زَهْدٍ على غَارِبِـــــي**

وقَالَ: "إنِّي فِي الهَوَى كَاذِبٌ * انْتَقَم الله منَ الكَاذِبِ**

البيت الثّاني مركّب من الخبر، والطّلب، ذلك أنّ الخبر موجود في الشّطر الأوّل في قوله:"إنّي في الهوى كاذب"، أمّا الطّلب فموجود في الشّطر الثّاني لأنّه أراد الدّعاء بقوله:" انتقم"[3]؛ ونتيجة لوجود فعلين كلاميّين مختلفين وجب فصل الشّطرين بعدم ذكر العاطف، وبهذا فإنّ (الفصل والوصل) يتنوّعان بتنوّع الأفعال الكلاميّة في الخطاب. مهما يكن من أمر فإنّ الحديث عن مقتضيات (الفصل، والوصل) تقودنا إلى القول:" إنّه لما كان الكلام يستوجب إمّا (الفصل، أو الوصل) بين أجزائه احتيج إلى أدوات تحقّق ذلك مثل:(الواو) ولكن...للفصل الّتي يمكن إدراجها ضمن الأفعال المتضمّنة في القول، ومن ثمّ، فنحن لا ننظر إليها على أنّها مجرّد دلالات، ومضامين

[1]- ينظر :محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ص 116.

[2]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ص 379.

[3]- المصدر نفسه : ص 379.

لغويّة، وإنّما هي فوق ذلك أفعال كلاميّة ترمي إلى صناعة أفعال، ومواقف اجتماعيّة، أو ذاتيّة بالكلمات؛ أي ترمي إلى التّأثير في المخاطب بحمله على فعل، أو تركه، أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده، أو التّشكيك فيه، أو نفيه، أو إبرام عقد من العقود...أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسيّة معيّنة، وهي معان كثيرة لا يمكن حصرها"[1]؛ وهكذا تسنّى لـ"مسعود صحراوي" من خلال الأفعال المتضمّنة في القول معالجة ظاهرة (الفصل، والوصل) معالجة نقديّة من خلال أنّها أفعال كلاميّة ترمي إلى التّأثير في المخاطب، أو الانصراف إلى مقاصد المتكلّم بكل ملابساتها السّياقيّة انطلاقا من مبدأ مناسبة التّراكيب للمقاصد.

3- الإيجاز، والإطناب:

يعتبر (الإيجاز، والإطناب) من الموضوعات الّتي نالت حظّا وافراً من الحديث، سواء من قبل النّحويّين، أو من قبل البلاغيّين، ومن المفاهيم المندرجة تحت "علم المعاني"، وينظر إليهما في الدّراسات البلاغيّة باعتبارهما أساسا للحكم على مدى دقّة الكلام، وروعة الأسلوب[2]، والبليغ النّاجح من استطاع استعمال هذين المفهومين استعمالا صحيحا يراعي فيه المواضع المقاميّة حيث أنّ هناك مواضع يصلح فيها (الإيجاز)، ولا يصلح فيها (الإطناب)، والعكس، وفي السّياق نفسه يقول "أبو الهلال العسكري":"...والقول القصد أنّ (الإيجاز، والإطناب) يحتاج إليهما في جميع

[1]- مسعود صحراوي: الأفكار المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه في اللسانيات مخطوط إشراف: عبد الله العشي، جامعة باتنة، 2004، ص289.

[2]- ينظر: مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2003 ص151.

الكلام، ولكل نوع منهما، ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى (الإيجاز) في موضعه كالحاجة إلى (الإطناب) في مكانه، فمن أزال التّدبير في ذلك عن جهته، واستعمل (الإطناب) في موضع (الإيجاز)، واستعمل (الإيجاز) في موضع (الإطناب) أخطأ"[1]، فالإيجاز وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ من المعهود عادة مع وفائه بالمراد، فإن لم يف كان (الإيجاز) إخلالا وحذفا رديئا، فلا يعدّ الكلام صحيحا مقبولا، كقول "اليشكريّ":

والعيشُ خَيرٌ في ظِلاْلِ * النَوكِ مِمّنْ عَاشَ كَدّا** [2].

فالمراد أنّ العيش النّاعم الرّغد في حال الحمق، والجهل خير من العيش الشّاقّ في حال العقل بحيث لا يعدّ كلامه صحيحا مقبولا.

وفق المنحى من التّصور؛ فإنّ للمقام دورا أساسيّا في العمليّة الإنتاجيّة للخطاب باعتبار أنّ صانع الخطاب يضع أمام عينيه موضوع الكلام من جهة، والمتلقّي، والأهداف الّتي يريد تحقيقها من جهة ثانية، وعليه يمكن القول:" إنّ الخطاب الّذي يتميّز بالحسّ، والقبول هو الّذي يستطيع فيه صاحبه خلق ملاءمة بينه، وبين الظّروف، والأحوال المقاميّة الّتي قيلت فيه؛ وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ للإيجاز، والإطناب شأنا كبيرا في الدّرس البلاغيّ العربيّ، إذ وصل هذا المقام الرّفيع أن فتح "السّكّاكي" بابا لهما يستهلّه بأنّهما نسبيان، فقد يكون ظاهر الكلام مطنبا، وهو موجز بالقياس إلى كلام أخر، ومن هنا رد الاعتبار فيهما إلى المتعارف في أوساط الأدباء يقول: "أما (الإيجاز

[1]- أبو الهلال العسكري :الصناعتين الكتابة والشعر :ص 171.

[2]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة :ص 242.

والإطناب) فلكونهما نسبيّين، لا يتيسّر الكلام فيهما إلاّ تبرك التّحقيق، والبناء على مجرى متعارفهم في التّأديّة للمعاني فيها بينهم"[1].

(الإيجاز) أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، أمّا (الإطناب) فأداؤه بأكثر من عبارات سواء كانت القلّة، أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير الجمل (فالإيجاز) وفق هذه الرّؤية هو قياس يستطاع على إثره الحكم على صاحب الصّناعة إذا ما كان عمله يرتقي إلى القبول، أو الرّفض، ويمضي في الاستشهاد بأدلّة قرآنيّة تخصّ (الإيجاز) نحو قوله – علت كلمته–:"﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[2]، فإنّ معناه كثير، ولفظه يسير، إذ المراد أنّ الإنسان إذا علم أنّه متى قُتل كان ذلك داعيا له قويّا إلى أن لا يقدم على القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره ويمكن أن تتّضح، وتظهر بلاغة (الإيجاز) إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه، وهو قولهم :"القتل أنفى للقتل"، فصار لفظ القرآن أعلى منزلة من هذا القول لزيادته عليه في الفائدة وهو إبانة العدل بذكر القصاص، وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه بذكر الحياة؛ وهذا أمر لم يغب عن بعض علمائنا؛ فالإمام "القزويني" ذكر أنّ بين قول العرب القتل أنفى للقتل، وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة، و(الايجاز)، ويظهر ذلك من عدّة وجوه منها، أحدهما: أنّ عدّة حروف ما يناظره منه – وهو في القصاص حياة – عشرة في التّلفّظ، وعدّة حروفه أربعة عشرة؛ وثانيهما: ما فيه من التّصريح بالمطلوب الّذي هو الحياة بالنّصّ عليها ؛فيكون أزجر عن القتل بغير حق

[1]– أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 387.

[2]– سورة البقرة: الآية:179.

لكونه أدعى إلى الاقتصاص؛ وثالثهما: ما يفيد تنكير "حياة" من التّعظيم، أو النّوعيّة، كما سبق. ورابعهما: اطّراده بخلاف قولهم؛ فإنّ القتل الّذي ينفي القتل: هو مكان على وجه القصاص، لا غيره..."[1]، وانطلاقا من التّفاوت الّذي يظهر بين القرآن الكريم، ولغة العرب تتجلى فكرة الإعجاز القرآني، ومن الإيجاز كذلك قوله تعالى:﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[2]، أي هدى للضّالين الصّائرين إلى التّقوى بعد الظّلال؛ ووجه حسنه التّوصّل إلى تسمية الشّيء باسم ما يؤوّل إليه ووجه حسنه قصد المجاز المستفيض نوعه، وهو وصف الشّيء بما يؤول، والتّوصل به إلى تصدير أولى الزهراوين[3] بذكر أولياء الله[4].

ثم يورد أمثلة قرآنية تخصّ (الإطناب) نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[5].ترك إيجازه، وهو أنّ في ترجّح وقوع أيّ ممكن كان على لا وقوعه لآيات للعقلاء ؛لكونه كلامًا لا مع الإنس فحسب، بل مع الثّقلين، ولا مع قرن دون قرن، بل مع القرون، كلّهم قرنا فقرناً، إلى انقراض الدّنيا[6] .

[1]- واضح أحمد :المفاهيم التداولية في البلاغة العربية :ص 134.

[2]- سورة البقرة :الآية: 2.

[3]- الزهراوان: البقرة وآل عمران .

[4]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم :ص 387.

[5]- سورة البقرة: الآية 164 .

[6]- أبو يعقوب السّكاكي :مفتاح العلوم :ص 393.

يقول "الجاحظ" في (التّرداد)، وهو نوع من (الإطناب):"...وجملة القول في (التّرداد) أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره (يحضر الخطيب يسمعه)من العوام، والخواص؛ وقد رأينا الله- عزّ وجلّ- ردّد ذكر قصّة "موسى، وهود وهارون، وإبراهيم، ولوط، وعاد، وثمود"، وكذلك ذكر الجنّة، والنّار ، وأمور كثيرة؛ لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب، وأصناف العجم ...وأما أحاديث القصص والرّقة، فإنّي لم أر أحدا يعيب ذلك، وما سمعنا بأحد من الخطّاب كان يرى إعادة بعض الألفاظ، وترداد المعاني عيا"[1]؛ أي أنّ (الاستراتيجيّة) الّتي يقوم عليها الخطاب البلاغي، الرّاقي تخضع لعنوان عريض مؤدّاه: تنزيل الكلام بما يراعي حالات السّامعين، وأوضاعهم الفكريّة، والحضاريّة، وغيرها ممّا يشكّل جانبا من الجوانب الّتي ترتكز عليها شخصيّة المتلقّي[2]؛ ومن بين البلاغيّين الّذين تعاملوا مع فكرة القصر نلفي "السّكّاكي" يقول[3]:"إنّه تخصيص الموصوف عند السّامع بوصف دون ثان، كقولك:(زيد شاعر لا منجّم) لمن يعتقده شاعرا، أو منجّما؛ أو قولك:"(زيد قائم، لا قاعد) لمن يتوهّم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح، ويسمى: (قصر إفراد) بمعنى أنه يزيل شركة الثّاني. وإذا قلت لمن يعتقد في "زيد" العكس، وأنّه منجّما، لا شاعرا كان ذلك (قصر القلب)، لأنك قلبت فيه حكم السّامع.يحيل "السّكّاكي" على طرق القصر وذكر أنّها أربعة:

[1]- الجاحظ :البيان والتبيين : ج1،ص 105.

[2]- واضح أحمد :المفاهيم التداولية في البلاغة العربية :ص 138.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 400

1-العطف ب "لا" و"بل" :

كما تقول في "قصر الموصوف على الصّفة" إفرادا، أو قلبا بحسب مقام السّامع، والشاهد الّذي يستعمله قولك:" زيد شاعر، لا منجم، وما زيد منجّم بل شاعر"؛ وتكون كذلك في "قصر الصّفة على الموصوف" بالاعتبارين، نحو قولك:" ما عمرو شاعر، بل زيد، أو زيد شاعر، لا عمرو"[1].

يتّضح من خلال ما تقدّم أنّ الفرق بين "قصر الموصوف على الصفة"، و"قصر الصّفة على الموصوفّ يتمثّل في أنّ الموصوف في الأوّل لا يمتنع أن يشاركه غيرة في الوصف، ويمتنع في الثّاني وأنّ الوصف في الثّاني يمتنع أن يكون لغير الموصوف، ولا يمتنع في الأوّل.

2 – النّفي، والاستثناء:

يكون في (قصر الموصوف على الصّفة إفرادا، أو قلبا) نحو: "ليس زيد إلا شاعرا"، وكذلك قوله: "ما زيد إلاّ شاعر"[2]، ومن الشّواهد القرآنيّة على قصر الإفراد قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ**﴾[3]، فـ "محمّد" مقصور على الرّسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك.

3–استعمال "إنّما": وتكون في (قصر الموصوف على الصّفة قصر إفراد) نحو: "إنّما زيد جاء"، أو (قصر قلب) كمن يقول: "زيد ذاهب لا جاء"، وفي تخصيص (الصّفة بالموصوف إفرادا)، نحو:

[1]– المصدر السابق: ص 400.

[2]– المصدر نفسه :ص 400.

[3]– سورة آل عمران: الآية:144.

"إنّما يجيء زيد" لمن يردد المجيء بين "زيد، وعمرو"، و(قلبا) لمن يقول:" لا يجيء زيد"، ويضيف إليه الذّهاب[1].

ومن الشّواهد القرآنيّة في استعمال "إنّما"، قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ** ﴾[2] ، أي حرّم عليكم إلاّ الميتة، والدم؛ وقد طبق فكرة (الإفراد، والقلب).

4- التّقديم:

ويكون (قصر إفراد) في مثل قولك: "تميميّ أنا"، كمن يرددك بين "قيس، وتميم"، أو (قصر قلب) كمن ينفيك عن "تميم"، ويلحقك ب"قيس"؛ أمّا بالنّسبة إلى (قصر الصفة على الموصوف) ،فيكون (إفرادا) في مثل: "أنا كفيتك مهمّك". بمعنى وحدي، لمن يعتقد أنّك، وزيدا كفيتما مهمّه.و(قلبا)، نحو: أنا كفيت مهمّك، بمعنى لا غيري، لمن يعتقد كافي مهمّه غيرك[3].

ما يمكن أن نخلص إليه أنّ دلالة الطّرق الثّلاثة تكون الأولى على القصر بالوضع أما دلالة التّقديم، فبوساطة الفحوى، وحكم الذّوق يقول[4]:"فالطّرق الأولى الثّلاثة دلالتها على التّخصيص بوساطة الوضع، وجزم العقل، ودلالة التّقديم عليه بوساطة الفحوى، وحكم الذّوق". فالطّريق الأول الأصل فيه التّعرض للمثبت، وللمنفي بالنّصّ كقولك: "زيد شاعر، لا منجّم" في (قصر الموصوف على الصّفة)، و"زيد شاعر، لا عمرو" في (قصر الصّفة على الموصوف)، أمّا الطّرق

[1]- ينظر:أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 400:

[2]- سورة البقرة: الآية: 173.

[3]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم: ص 400

[4]- المصدر نفسه : ص 404.

الأخيرة ،فالأصل فيها النّصّ ممّا يثبت دون ما ينفى، نحو: "ما أنا إلاّ تميميّ" في (قصر الموصوف على الصّفة)، و(الصّفة على الموصوف)، ويأخذ في بيان فروق استعمال هذه الطّرق مستنيرا بمّا كتبه الإمام "عبد القاهر الجرجاني"، والعلاّمة "الزمخسري"؛ فبالنّسبة إليه الطّريق الأوّل لا يجامع الطّريق الثّاني، فلا يصحّ قول "ما زيد قائم، لا قاعد"، ولا:"ما يقوم إلاّ زيد، لا عمرو"، والسّبب في ذلك هو أنّ (لا) العاطفة من شرط منفيها أن لا يكون منفيا قبلها يغيرها من كلمات النّفي نحو: "جاءني زيد، لا عمرو"، وكذلك نحو: "زيد قائم، لا قاعد"، كما يمتنع تحقّق شرطها هذا في منفيها إذا قلت: "ما يقوم إلاّ زيد، لا عمرو"، و"ما زيد إلاّ قائم، لا قاعد[1].

أمّا فيما يخصّ طريق النّفي، والاستثناء، فيسلك مع مخاطب تعتقد فيه أنّه مخطئ، وتراه يصرّ؛ وطريق "إنّما" يسلك مع مخاطب في مقام لا يصرّ على خطئه، أو يجب عليه أن لا يصرّ فلا نقول: "إنّما زيد يجيء"، أو "إنّما يجيء زيد"، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾[2] ويجب على السّامع أن يتلقاه بالقبول، فالأصل في "إنّما" أن تستعمل في حكم لا يعوزك تحقيقه إمّا لأنّه في نفس الأمر جلي، أو لأنه تدّعيه جليا[3].

بإمكاننا القول: "إنّ الإيجاز بنوعيه:(الإيجاز بالحذف)، و(إيجاز القصر) من الأساليب البلاغيّة تذكرنا بقواعد المحادثة الّتي طرحها "غرايس"، واعتبرها مسلمات أساسيّة يتعيّن على المشاركين احترامها، واستثمارها في أيّ محادثة كانت، وبالضّبط في مسلمّة (الكيف) الّتي توصي

[1]- ينظر :المصدر السابق ص 405.

[2]- سورة النساء: الأية171.

[3]- ينظر : أبو يعقوب السّكاكي :مفتاح العلوم:ص407

بالإيجاز في الكلام، وعدم الإطناب[1]. يظهر في صلب هذين الاتجاهين شعاع تداوليّ جلي يهدف بطاقاته الكامنة إلى اتجاه آخر محوره الأساسيّ المتلقّي، وحاجاته، وتطلعاته، و استعداداته العقلية والنّفسيّة .

نخلص من ذلك إلى أمر نراه على درجة بالغة من الأهميّة، وهو أنّ المقاييس، والمبادئ المتّبعة في البلاغة العربيّة لتعيين مواضع (الإيجاز، والإطناب) المعقّدة منصاعة لنفس المكوّنات الّتي يتشكّل منها السّيّاق بمفهومه التّداوليّ، إذ أنّه يتكوّن حسب "فان دايك" من كلّ العوامل النّفسيّة والاجتماعية الّتي تحدّد نسقيّا لكي تلائم أفعال اللّسان، وتتمثّل هذه الأفعال في المعرفة والرّغبات[2] ممّا يعني أنّ للبلاغة صلب مكنون بالومضات التّداوليّة الّتي تكاد لا تنضب، وتظهر في تلكم المساحة الّتي تسعى إلى رصد حركيّة المقام ذي الطّبيعة الفضفاضة المتغيّرة، ومعاينتها؛ ومن جهة أخرى يمكن القول: إنّ اللّغة العربيّة تميّزت بمجموعة من الخصائص التّركيبيّة، والصّوتيّة الّتي جعلت طرق الدّلالة تتنوّع بحسب المقامات، وهي دليل على غنى اللّغة، وسعتها، وقدرتها على التّطور وتحقيق التّواصل، وتنظيم الفكر في القضايا ذات الطّابع العلميّ، والأدبيّ، والفلسفيّ؛ فإذا كان الإيجاز عند أصحاب البيان يعدّ بلاغة لكونه يعتمد أسلوبا معنيّا، وطريقة خاصّة في الأداء يطلبها المقام، فإنّ (الأطناب) يعتبر كذلك بلاغة إذا كان الموضوع يحتاج إلى الإسهاب، والتّفصيل والبسط؛ والنّوعان معا ضروريان في تنوّع التّواصل.

[1]- ينظر:جاك موشلار ،آن رو بول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،تر:سيف الدين دعفوس،محمد الشيباني، ص 270

[2]-منذرعياشي:العلاماتية وعلم النص :المركز الثقافي العربي ،لبنان، بيروت ،2004،ط 1،ص 172

كان العرب في خطبهم الجامعة، وأقوالهم المأثورة، وأمثالهم السّائرة، وحكمهم الطّريفة يجمعون بين هذين اللّونين في التّعبير؛ وهذا ما لمسناها عند "السّكّاكي"، فبالنسبة إليه (الإيجاز) ينحو منحى بلاغيّا، وهكذا مع كل تراث بلاغيّ.

4- أسلوب الطلب، وما يتعلّق به من ظواهر كلاميّة:

اختلف العلماء قديما حول استعمال مصطلح "الطّلب"، ولاحظنا من خلال ما سبق أنّه كان يعبّر عن مصطلح "الإنشاء" في مؤلّفات بعضهم؛ وهو أسلوب لغويّ ذو مفهوم عامّ فحواه عند "السّكّاكي" أنّه:"ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"[1]،ففي نظره أنّ هذا ليس تعريفا له، وأنّ الطّلب لا يعرّف لأنّ حقيقته معلومة مستغنيّة عن التّحديد؛ وهو نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبة إمكان الحصول، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول.

لا مندوحة أن يميّز "السّكّاكي" بين الأغراض اللاّصقة بالصّيغ الجمليّة، والأغراض الّتي تدلّ عليها الصّيغ في طبقات مقاميّة معيّنة، فيطلق على الفئة الأولى من الأغراض مصطلح "الأغراض الأصليّة"؛ أمّا الفئة الثّانية فيسمّيها "بالأغراض الفرعيّة"، وتشتمل الأغراض الأصليّة عنده على خمسة أغراض فقط، وتتمثّل في: "الاستفهام، والنّداء، والتّمنّي، والأمر، والنّهي". تقوم الأغراض على أصلها إذا كان المقام مقتضى الحال ملائما شروطَ إجرائها على الأصل، وتكون شروط إجراء الأغراض على أصلها نسقا متماسك العناصر يمكن توضيحه من خلال المخطّط الآتي[2]:

[1]- أبو يعقوب السّكاكي : مفتاح العلوم: ص 414.

[2]- أحمد المتوكل :اللسانيات الوظيفية :ص 38.

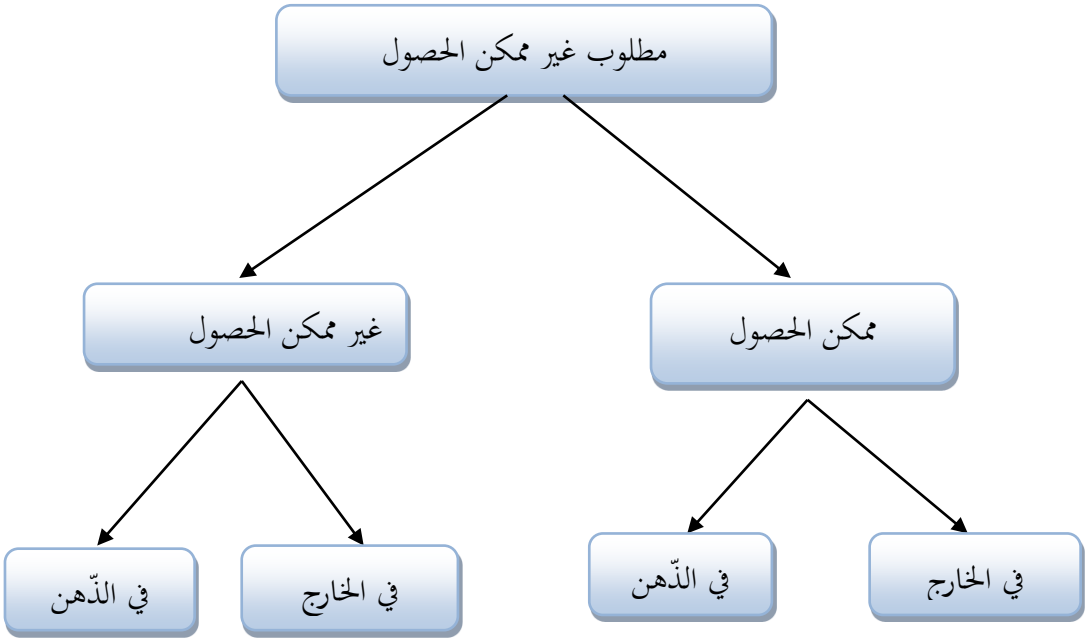

الاستفهام مثلا يقوم على أصله فيكون دالاّ على سؤال حقيقيّ إذا أنجزت الجملة الاستفهامية في مقام يطابق الشّروط: مطلوب غير حاصل وقت الطّلب ممكن الحصول، في الذّهن كما هو الحال بالنسبة إلى لجملة: "متى سيأتي محمد من الجامعة"؟

يمتنع إجراء الاستفهام على أصله، ولا يطابق المقام شروطه حين يختلّ أحد الشّروط وتنتقل الجملة من الدّلالة على الغرض الأصليّ إلى الدّلالة على الغرض الّذي من شروط إجرائه عكس الشّرط المختلّ، ومثال ذلك: "هل لي من شفيع في مقام لا يسع إمكان التّصديق بوجود الشّفيع امتنع"[1].

الملاحظ أنّه امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولد بمعرفة قرائن الأحوال معنى يفيد التّمنّي؛ فالدّلالة على السّؤال انتقلت إلى الدّلالة على التّمنّي لاختلال الشّرط "ممكن الحصول" وحلول الشّرط عكسه "غير ممكن الحصول محله"، بمعنى أنّ هناك شروطا يمكن اعتبارها مثل معايير

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم:ص 416.

تضبط إجراء أسلوب الاستفهام على أصله، فإذا ما توافرت الشّروط في إحدى الجمل ذات الصّيغ الاستفهاميّة؛ دلّت على الاستفهام الحقيقيّ، أمّا إذا لم تتوافر هذه الشّروط، أو تمّ خرقها تولّدت معان أخرى تخرج الاستفهام على أصله لتدلّ على معان أخرى يقتضيها السّيّاق .

بالإضافة إلى هذا نجده كذلك يستند إلى بعض الأمثلة الّتي يوضح من خلالها طريقة انتقال الاستفهام إلى معان، وأغراض أخرى مناسبة لمقام الحدث الكلاميّ، يقول :"إذا قلت لمن تراه يهجو أباه مع حكمك بأنّ هجو الأب ليس شيئا غير هجو النّفس "هل تهجو إلاّ نفسك"؟

* امتنع منك إجراء الاستفهام على ظاهره .

* لاستدعائه أن يكون الهجو احتمل عندك توجها آخر.

* وولد بمعونة القرينة الإنكار، والزجر[1]، فتحوّل الاستفهام إلى الإنكار، والزجر؛ مرّ بمراحل متعاقبة، إذ أنّ كل مرحلة استلزمت مرحلة أخرى، وقد كان هذا الانتقال الإستلزاميّ أثرا مباشرا من آثار الخرق الّذي لم يحافظ على الشّروط الّتي اعتبرها "السّكّاكي" من معايير إجراء الاستفهام على أصله، وأمام هذه التّصورات المنهجية الموجزة الخاصّة بتصور "السّكّاكي" نخلص إلى أنّ أهمّ تعالق (مفهوماتيّ) حاصل بين سحب الاستفهام، وخروجه إلى أغراض مقاميّة، وبين نظريّة الاستلزام الحواريّ يتراوح بين أمرين اثنين :

* الأمر الأوّل: اعتماد كلاهما على قواعد ضابطة، منظّمة الحدث الكلاميّ عموما .

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص 419.

* الأمر الثّاني: اعتدادهما المشترك لمفهوم الخرق الّذي يشكل مصدر إنتاج المعنى المستلزم .

لم يقتصر حديث "السّكّاكي" عن الاستفهام فحسب، بل امتدّ إلى كل أنواع الطّلب الّتي تخرج عن معانيها الأصليّة، والّتي وضعت لها في الأصل معان فرعيّة ، بحسب ما يقتضيه السّيّاق ويناسب المقام: (أسلوب الأمر) الّذي يعتبر"استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"[1]،إلاّ أنّه قد يخرج عن معناه الأصليّ إلى معان، ومقاصد أخرى تفهم من خلال المقاصد، والأحوال، أي "تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام "[2].

من الشّواهد الّتي اعتمد عليها "السّكّاكي" قوله[3] :"اشتم مولاك"، فالملاحظ أنّه امتنع إجراء الأمر على أصله، وولّد بمعونة قرائن الأحوال معنى يفيد التّهديد؛ وغير هذه المعاني كثير، فقد يخرج أسلوب الأمر عن أصله للدّلالة على مقاصد أخرى كالدّعاء والالتماس، والنّدب، والإباحة والتعجيز، والتّمنّي...[4]

من بين الومضات التّداوليّة الّتي نلفيها تفرض نفسها بقوة في استعمال أسلوب الأمر: مفهوم الكفاءة التّداوليّة، واللّغويّة عامة؛ وهكذا تتحدّد الأغراض البلاغيّة للاستفهام، والأمر بحسب تعدّد السّيّاق الّذي ترد فيه .

---

[1]- الهادي ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب: ص 340.

[2]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم :ص 428.

[3]- المصدر نفسه :ص 428.

[3]- ينظر : مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر دط،2004،ص 225و ما بعدها .

5- ظاهرة الأفعال الكلاميّة عند "السّكّاكي":

درست الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ ضمن مباحث علم المعاني، وتحديدا ضمن نظريّة (الخبر والإنشاء)، ومن النّحاة، والبلاغيّين الّذين اهتمّوا بدراسة هذه الظّاهرة الأسلوبيّة اهتماما كبيرا "أبو يعقوب السّكّاكي (ت 626هـ)" أثناء حديثة عن المتلقّي، والمقام، أشار ضمنيّا إلى قضيّة الأفعال الكلاميّة من خلال كلامه عن الأساليب الإنشائيّة، الّتي تعد جوهر "نظريّة أفعال الكلام المعاصرة" الّتي تندرج عنده ضمن مباحث علم المعاني، بحيث يعتبرها:" تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان، وغيره"، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام ما يقتضي الحال ذكره"[1].والاحتراز من الزّلل تمليه حالة المخاطب الّتي تلزمنا بالتأكيد المفضية بنا إلى تحقيق شرط الملاءمة، كفيل لإنجاح الفعل الكلاميّ، كما أنّه لا يقتصر على قصديّة المتكلّم، بل على الموقف الكلاميّ كاملا وفق ما تمليه حالات الخطاب، ظروفه الزّمانيّة، والمكانيّة؛ ثمّ يوضّح ما يقصده في قوله: خاصيّة التّركيب بأنّها"ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التّركيب جاريا مجرى اللاّزم له، لكونه صادرا عن البليغ، لا لنفس ذلك التّركيب من حيث هو، أو لازما له بما هو حينا."[2]؛ فالخطاب في تصوّر "السّكّاكي" تركيبة لغويّة لها علاقة وطيدة بالمعنى، الأمر الّذي يدفعه إلى ربط قصد المتكلّم بشكل اللّغة الدّال عليه، انطلاقا من افتراض عامّ هو أنّ لكل معنى شكلا لغويّا يدلّ عليه وفق مواضعة اللّغة؛ وعلى هذا الأساس يتأتّى

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم: ص247.

[2]- المصدر السابق: ص 248.

لنا الفرق بين المعنى الّذي يدلّ عليه الخطاب دلالة مباشرة، والمعنى الّذي يستلزمه؛ أي المعنى الّذي يقصده المتكلّم دون أن يكشفه في الخطاب .

ممّا يعني أنّ دراسة العلماء العرب ظاهرةَ الأفعال الكلاميّة مقتصرة على التّراكيب الّتي لها دلالات مفيدة سواء كانت دلالات حرفيّة، مباشرة، أو دلالات ضمنيّة غير مباشرة، وكلّها تفهم من المقام بحسب مقصد المتكلّم، وهذا ما تقوم علية الدّراسات التّداوليّة الحديثة القصد، والإفادة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك؛ والّذي تضمّن عند "السّكّاكي" خمسة أبواب، أما "سعد الدّين التفتازاني (ت792ه)" فيراهم ثمانية أبواب[1]. تندرج" ظاهرة الأفعال الكلاميّة" تحديد ضمن نظريّة "الخبر، والإنشاء"، أو الطّلب بتعبير ا"لسّكّاكي"، ذلك لتميّزها عن مجموعة من السّمات والخصائص الّتي تتشابه في كثير من الأحايين مع نظريّة أفعال الكلام؛ من حيث منهجها وتحليلاتها ودراستها اللّغةَ دراسة عامّة.

[1]– سعد الدين التفنازاني: المطول في الشرح تخليص المفتاح للخطيب القرويين ترتيب وتعليق: عبد المغتال الصعيدي، إيران منشورات دار الحكمة، دط (دس)، ،ج 1، ص84.

لم تكن رحلتنا العلميّة عبر هذه الصّفحات إلاّ محاولة الرّجوع إلى منابع التّراث العربيّ القديم لأجل مذاكرة رواده، وتذكير فكرنا المعاصر بضرورة مراجعة ذلك التّراث الغزير بلآلئه الخبيئة وجواهره الكثيرة، وبذلك يمكننا تعداد ما توصل إليه العمل من نتائج رأيناها مناسبة للحصر في هذا الموضع:

. التّداولية نظرية من النّظريات اللّسانيّة اكتست الدّراسات اللّغويّة الحديثة كونّها نشأت في أحضان الفلسفة التّحليليّة، وتغذت من روافد معرفيّة كالمنطق ،والفلسفة ،وعلم الحساب ...وبكل ماله علاقة بالمعنى، لكونّها تكمّل ما كان ناقصا في النّظرية اللّسانيّة البنيويّة.

. تهتمّ التّداوليّة بدراسة اللّغة في أثناء استعمالها دون إهمال المعنى ،مركزة في ذلك على عناصر العمليّة التبليغيّة الّتي يرمي إليها المتكلّم من خلال ما يقول، وكذا تحليل عمليّات الاستدلال الّتي يقوم بها المتلقّي، وهو يتلقّى الخطاب حتّى يصل إلى المعنى المقصود.

. شهد الدّرس اللّسانيّ من خلال التّداولية انفتاحا ملحوظا على المنطق، والحاسوب، والذّكاء الاصطناعيّ، وعلم النّفس الإدراكيّ، وعلم الاجتماع معرفيّا ،ومنهجيّا قصد فهم أمثل الظّاهرة اللّسانيّة، والملكة التّبليغيّة للكائن البشريّ.

. لقد نشأت التّداوليّة في غير استقرار، وتعدّدت روافدها ، مما أثرى مدوّنة تعريفها، وجعل منها تداوليّات عدّة.

. تقع التّداوليّة ضمن مفترق البحث الفلسفيّ، واللّسانيّ، وهذا ما يجعل تحديد مفهومها أمراً صعباً وذلك بسبب اختلاف المذاهب ، ووجهات النّظر الفكريّة والمعرفيّة.

. إنّ التّداوليّة تصلح لتكون منهجا إجرائيا مميزاً لمقاربة الخطابات، يتفرع عن حقل معرفيّ هو علم اللّسانيّات المحسوب على المنظومة المعرفيّة الغربيّة.

. إنّ اهتمام التّداوليّة بدراسة اللّغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم، والتّخصّصات الأخرى ذات الصّلة المباشرة باللّغة نحو: علم اللّغة النّفسيّ، والبلاغة، والأسلوبية، وعلم اللّغة الاجتماعيّ وغيرها.

. تشتمل التّداوليّة على مواضيع عديدة يصلح كلّها أن يكون موضوعا للبحث، والتّحليل، مثل: الوظائف التّداوليّة.

. اهتمّ العلماء العرب "بلاغيون، وأصوليّون، ونحويّون، وفقهاء "وبحكم طبيعة النّصوص الّتي كانوا يدرسونها اهتماما كبيرا بدراسة صيغ الأساليب الكلاميّة، والمعاني المتفرّعة عنها، فحاولوا تمييزها عن بعضها بعضا وفق معايير أقلّ ما يقال عنها أنّها معايير تداوليّة بحتة، فكانت دراساتهم، وتحليلاتهم اللّغويّة تقوم على أهمّ المبادئ التّداوليّة الّتي أسّس عليها التّداوليّون المعاصرون الاتّجاه التّداوليّ.

. توجد ثمّة ملامح تداوليّة في تراثنا العربيّ، ولاسّيما المباحث الأصوليّة، ولكن بمصطلحات تراثيّة ومن ثمّ نعتبر أنّ بريقها كطرح جديد محدود بالنّسبة إلينا.

. يمكن دمج الوظائف اللّغويّة مع الأفعال الكلاميّة، على الرّغم من أنّ اللسّانيّات التّداوليّة تنطلق من مبدأ مهمّ هو أنّ لسانيّات الكلام ترتكز على الفعل، في حين لسانيّات اللّغة ترتكز على النّظام.

. إنّ أهمّ ما لحظناه من تقسيمات العلماء العرب السّابقة لصيغ الكلام، وأغراضه؛ ذلك التّدقيق في التّمييز بين صيغة، وأخرى مراعين في ذلك قصد المتكلّم، وظروفه، وصيغة السامع باعتباره طرفا في العمليّة التّواصليّة، وطريقة تلقّيه الخطاب، وفهمه إيّاه حسب ما يقتضيه المقام الّذي يرد فيه.

. عدّت صيغ الكلام الحقيقيّة سواء كانت أمراً أو نهيا ، أو استفهاما صيغا أصليّة حقيقيّة، أو كما يسمّيها التّداوليّون المعاصرون أفعالا كلاميّة حقيقيّة، أمّا ما يتفرّع عن تلك الصّيغ الأسلوبيّة من دلالات، ومعان تخرج من مقتضى دلالتها الظّاهرة إلى أغراض، ودلالات، وإفادات تواصليّة بحسب ما يقتضيه المقام تعدّ أفعالا متضمّنة في القول، متفرعة عن القصد الّذي يحدّده المتكلّم من خلال خطابه، وتختلف مقاصده باختلاف المقامات الّتي يرد فيها، وباختلاف قرائن الأحوال.

. تميّز الدّرس العربيّ القديم من خلال تحليله النّصوص، ودراسته إيّاها بمنهج تحليليّ تداوليّ، وإن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أسبقيّة العرب لممارسة التّحليل التّداوليّ على نصوصهم الدّينيّة، والشّعريّة إن لم يصطلحوا على تسميّة "دراسة تداوليّة"، ويبدو ذلك ظاهرا من خلال دراساتهم، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

– كلّ قول في الأصل فعل يتحقّق في الواقع، وتكون نسبة تحقّقه متعلّقة بدرجة شدّة الملفوظ ودرجة ضعفه، وكلّما كانت درجة شدّة الملفوظ أكبر كانت نسبة نجاحه، وتحقّقه أكبر أو العكس.

– كلّ قول يمكن إنجازه، وتحقيقه بواسطة فعل، فكلّ قول فعل، ومثال ذلك صيغة الأمر، فبمجرد التّلفّظ بالأمر، وتنفيذه يكون ذلك عبارة عن إنجاز قول، وتحويله إلى فعل.

- كل فعل متضمّن في القول، ومثال ذلك صيغ العقود، والمعاهدات، فالفعل في الصّيغ لا يقع إلا عن طريق التّلفّظ بالقول المناسب له ، وما يترتّب عنها إنتاج فعل عن طريق التّلفّظ بقول وجلّ المبادئ تحدث عنها التّداوليّون المعاصرون نحو:"أوستين، وسورل"، وغيرهما في مؤلّفاتهم، بل عدّوها الأساس الّذي قامت عليه نظريّة أفعال الكلام.

- توصّل "أوستين" إلى نتيجة مفادها أنّه لا ينبغي الإهتمام بالتّمييز بين الخبر، والإنشاء مادام كلاهما يحمل فعلا كلاميّا إنجازيّا .

- تعدّ الأفعال الكلاميّة المتضمّنة في القول النّواة الأساسيّة لنظريّة الأفعال الكلاميّة.

- إنّ التّعديلات الّتي قام بها "سورل" على الأفكار الّتي طرحها أستاذه "أوستين" فيما يتعلّق بالفعل الكلاميّ تركّز في مجملها على الفعل الكلاميّ غير المباشر(المتضمن في القول) باعتباره الفعل الّذي يشكّل مرحلة مهمّة من مراحل بحث "سورل"، حيث يوضّح من خلاله كيفيّة انتقال الدّلالة من مجرّد، كونها دلالة حرفيّة (مباشرة) إلى دلالة مستلزمة (غير مباشرة) تفهم عن طريق استقصاء المقام الّذي وردت فيه.

- يبدي "السّكاكي" عناية كبيرة بالعلاقة التّداوليّة بين البنية، والوظيفة، فسلك منهجا متميزا في تحليل الظّواهر البنيويّة التركيبيّة كظواهر الفصل، والوصل، والتّقديم، والتّأخير ...والّتي لا تعدّ أن تكون أغراضا، وغايات تواصليّة يسعى المتكلّم إلى تحقيقها.

- يحظى طرف الخطاب (المتكلم، والمخاطب) باهتمام بالغ في تحليلات "السّكاكي" فلم يغفل عن العلاقة القائمة بين المتكلّم، والمخاطب؛ ويتمثّل اهتمامه في العناية بغرضه، وقصده من الكلام، أمّا اهتمامه بالمخاطب فيتمثل في الاحتفاء بالفائدة الّتي يجنيها السّامع من الخطاب.

- أشار "السّكاكي" ضمنيّا إلى ظاهرة الأفعال الكلاميّة ضمن مباحث علم المعاني من خلال الظّاهرة الأسلوبيّة (الخبر والإنشاء)، وقد أولى عناية كبيرة بالارتباط التّداوليّ بين الأسلوب (الخبري أو الإنشائي) ومعناه الإبلاغي، ووظيفته التّواصليّة مع حرصه القويّ على الاهتمام بالمعاني والأغراض الإبلاغيّة المتوخّاة من الخطاب، والظواهر الّتي درسها بلغة المعاصرين "أفعال الكلام" الّتي يراد بها تخصيص الخطاب أو تنبيه المخاطب...

- قد يكون المنهج الوظيفيّ بمقولاته، ومفاهيمه الأساسيّة كسيّاق الحال، وغرض المتكلّم، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، وإفادة السّامع أداة من أدوات قراءة التّراث العربيّ في شتّى مناحيه ومفتاحا من مفاتيح فهمه.

- إنّ ظاهرة التّقديم، والتّأخير تمثل نمطا تبليغيّا مؤسّسا على أحوال البنية الإسناديّة الّتي تحيلنا إلى التّحكّم في تأخير مكوّن من مكوّنات البنية، أو تقديمه حسب ما تقتضيه الشّروط التّداوليّة كانسجام المقال (المقدّم، أو المؤخر) مع المقام.

في الأخير لا أدّعي الإلمام، والإحاطة بكل الجوانب المتعلّقة بهذا الموضوع، وما دامت الكتابة النّقديّة في أرقى مستوياتها لا تعدو كونها احتمالا، نجزم أنّ ما ورد في بحثنا من رؤى نقديّة ما هو

إلا مقاربة خاصّة، يبقى المجال مفتوحا دائما، والأفق فيه أوسع لمن أراد التّغلغل في حيثيات هذا المنهج المتشعّبة، المتداخلة فيما بينها.

وفقنا الله لما يحبه، ويرضاه، وتجاوز عنا كلّ خطأ، أو زلل، والحمد لله ربّ العالمين.

الملاحق

ملحق الآيات القرآنية

الآيــة	السورة	الرقم	الصفحة
﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.	الفاتحة	07-06	150
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله وَكُنْتُمُ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾ .	البقرة	27	73-68
﴿أَتَأمُرُونَ النَّاْسَ بِالبِّرِ وَتَنْسَونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلونَ الكِتَاْبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.		44	72
﴿أُوْلَئِكَ عَلَىْ هُدَىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُوْلَئِكَ هُمْ المُفْلِحُونَ﴾.		05	145
﴿ أَلَمِ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.		02-01	-145 181
﴿ لَكُمْ فِيْ القِصَاصِ حَيَاةٌ﴾.		179	-151 185
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ﴾.		09-08	181
﴿ هُدًى لِلمُتَقِينَ﴾		02	186
﴿إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَيلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الّتِي تَجْرِيْ فِيَ الَبحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ،وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلَّ دَابَةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ		164	186

السَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ ﴾.			
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيِّتَةَ وَالدَّمَ﴾	173		189
﴿فَأَمَّا الذِّينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم﴾.	106		73
﴿وَلَيسَ الذّكَرُ كَالأُنْثى﴾	36	آل عمران	146
﴿ربِّ إِنّي نَذَرتُ لكَ مَا فِي بَطنِي مُحرّرا﴾	35		146
﴿وتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	140		20
﴿ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	171	النساء	190
﴿فَلَهُنَّ ثُلثا مَا تَركَ﴾	11		143
﴿اليَوْمَ أَكْمَلت لَكُم دّينَكم﴾	06	المائدة	147
﴿وَأَنَ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾	72	الأنعام	75
﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فيَشْفَعُوا لَنَا﴾	53	الأعراف	74
﴿فَاصْبِروا حَتَى يَحْكُم اللهُ بَينَنا وَهُو خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾	87		142
﴿قَالُوْا يَاْ شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَامُرُكَ أَنَّ نَّتْرُكَ مَاْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَل فِيْ أَمْوالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْت الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾	87	هود	72
﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾	31	يوسف	154
﴿وَرَاْوَدَتْهُ الَّتِيْ هُوَ فِيْ بَيْتِهَا عَنْ نَّفْسِهِ﴾	23		144
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	18		157

جنّاتِ عدْن يَدْخُلونَهَا	الرعد	23	153
﴿لا تَتَخِذُوا إِلَهَينِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	النحل	51	149
﴿يَاْ يَحْيَ خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾	مريم	12	65
﴿فَغَشِّيَهُم مِنَ اليَّمِ مَاَ غَشِّيَهُم﴾	طه	78	144
﴿أأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا بِإبْرَاهِيم﴾	الأنبياء	62	71
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾		30	22
﴿بَل فَعَلَه كَبِيرَهُم هَذا﴾		63	71
﴿قال بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِيْ فَطَرَهُنَ، وَأنَا عَلىْ ذَالِكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أصْنَامَكُمْ بَعْدَ أنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾.		57-56	82
﴿اَفَأُنَبِئَكُم بِبشَرٍّ مِنْ ذَالِكُمُ النَّارُ﴾	الحج	72	153
﴿وَاللهُ خَلقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾	النور	45	151
﴿ أهَذَا آلذِي بَعَثَ الله رَسُولاً﴾	الفرقان	41	165
﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُ لَهَاْ عَاكِفِينَ﴾	الشعراء	71	141
﴿ فلَمَّا جَاءَهاُ نُودِيَّ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ ومَن حَوَلهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعالَمِينَ*يا مُوسَى إِنَّه أنَا الله العَزِيزُ الْحَكِيمُ*وَألقِ عَصَاكَ ﴾.	النمل	08-09-10	177
﴿وَمَا هَذهِ الحَيَاْةُ الدُّنيَا إلاَ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ﴾	العنكبوت	64	145
﴿ وَلَئِنْ سَألْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَواْتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُّنّ اللهُ﴾.	لقمان	25	164

﴿وَلاَ تَمْشِ فِيْ الأَرْضِ مَرَحاً﴾		18	65
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذَ المُجْرِمُونَ نَاْكِسُوا رُؤُوسِهِم عِنْدَ رَبِّهِم﴾	السجدة	12	143
﴿اَفتَرىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِباً أمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾	سبأ	08	61
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِّجُ فِيْ الأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾		02	175
﴿لافِيْهَا غَولٌ وَ لَاْهُمْ عَنْهاْ يُنزَفُونَ﴾	الصافات	47	172
﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْد إنَّهُ أَوَّاْبُ﴾	ص	30	80
﴿لَوْ أَنّ لِيْ كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِّنِينَ﴾	الزمر	58	65
﴿أنّى لَهُمْ الذِّكْرَى وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينُ(13)ثُمّ تَوَلُّوا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونُ﴾	الدخان	14-13	74
﴿وَلَقدَ أهْلَكْنَا أشْيَاعَكُم فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾	القمر	51	74
﴿أَلَمْ يَأنِ للّذِينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ اللهِ﴾	الحديد	16	74
﴿هُوَ اللُهُ الخَالِقُ البَارِئُ الّمُصَوِّرُ﴾	الحشر	24	148
﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلْىَ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَىْ فَلِلَهِ وَلِلرَّسُولِ، وَلِذِّيْ القُرْبَىْ وَاليَتَامَىْ وَالمَسَاكِينِ، وَابْن السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُوْلَةَ بَيْنَ الأغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه ومَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَقُوا الله إنّ الله شَدِيدُ العِقَابِ﴾		07	20
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَوَرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثِلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَارَا		05	81

﴿بِيسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِيْ القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	الجمعة		
﴿إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّك لَرَسُولَهُ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾	المنافقون	01	60
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالدَيَّ﴾.	المزمل	28	74
﴿كَمَا أَرسَلنَا إِلَى فِرعَونَ رَسُولاً فَعَصى فِرْعَونُ الرَّسُولَ﴾		16-15	146
﴿أَلَمِ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾	المرسلات	16	73
﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾.	الشمس	02-01	165
﴿والضُحَىْ والَّليلِ إِذَا سَجَى مَاْ وَدّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَىْ﴾	الضحى	03-01	165
﴿ وَمَاْ أَدْرَاكَ مَاْ هِيَّه نَارُ حَامِيَّةُ﴾	القارعة	11-10	139
﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ﴾	العصر	02	147
﴿لَكُمْ دِّينَكُم وَلِيَّ دِّينِ﴾	الكافرون	06	162
﴿تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾	المسّد	01	144
﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ الله الصّمَدُ﴾	الإخلاص	02-01	154

ملحق الشواهد الشعرية

فَيْومًا عَلَيْنَا، وَيَومًا لنَّا	21
أَتَانِيِّ هَوَاها قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الْهَوَى	63
إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا	63
فَتْحٌ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاْءِ لَهُ	65
جَزَاكُمُ الْجَلَالُ بَيْنَ دِمَشْقِ	65
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زَعْنَفَةً	68
عَسَى الكَرَب الَّذِيْ أَمْسَيْتُ فِيْهِ	81
كَمْ نَفْخَةٍ لكَ لَمْ يُحْفَظْ تَذَّمُهَا	83
قَالَ لِيْ : كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ	139
أَنَا المرْ عَثُ لاَ أَخْفَى عَلَىْ أَحَـدٍ	142
يَا بْنَ الأَكَارِمِ مِنْ عَدْنَانَ قَدْ عَلِمُوا	142
هَذَا أَبُو الصَّقْرِ فَرْدًا فِيْ مَحَاسِنِهِ	145
هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانِيِينَ مُصْعِدٌ	147
إِذَا كَوْكَبُ الخَرْقَاءِ لاَحَ بِسَحْرَةٍ	147
مَتَى تَهْزُزْ بَنِيْ قُطْبٍ تَجِدْهُمْ	153

جَلُوسٌ فِيْ مَجَالِسِّـهِم رَزَانٌ	153
كَمْ عَاقِلً عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ	154
هذَا الّذِيْ تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرَةً	154
قَالَتْ، وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِي مَنْ بِهِ؟	156
تَحْتَ رَأسِي سَرجٌ، وَعَلى أبِيهِ دِّرع	162
وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِيْ أَبْغِيْ بِهَا	180
أَقُولُ لَهُ: ارْحَلْ لاَ تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا	180

معجم المصطلحات

المصطلح	المقابل الأجنبي	الصفحة
إجراء عرفي	Conventional Procedure	94
الإخباريات	Assertifs	118
الاختلاف في اتجاه المطابقة	Direction d' Asustement	112
الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل	Illocutionary Point	112
الاختلاف في المحتوى القضوي	Propositional Content	115
الاستلزام الحواري	Implication	23
الاستلزام الحواري	Implication Conversationnelle	120-40
الاستلزام العرفي	Conventional Implicatur	39-40
الإشارات	Deixis	23
الإشاريات الاجتماعية	Social Deictics	43
إشاريات الخطاب	Discouse Deicties	43
الإشاريات الزمانية	Temporal Deictics	43
الإشاريات الشخصية	Personal Deictics	43
الإشاريات المكانية	Spatial Deictics	43

42	Deictique	الإشاريات
120	Declarations	الإعلانيات
36	Actes Illocutoires	أغراض إنجازية
36	Presupposition	الافتراض السابق
23	Presupposition	الافتراض المسبق
103	Les Verdictifs	أفعال الأحكام
91	Les Énonces Constatives	الأفعال الإخبارية
92	Les Énoncés Per Formative	الأفعال الأدائية
109	Performatifs	الأفعال الأدائية
116	Les Actes Illocutionnaires Directs	الأفعال الإنجازية المباشرة
116	Les Actes Illocutionnaires Indirects	الأفعال الإنجازية غير المباشرة
103	Les Expositives	أفعال الإيضاح /العرض
103	Les Commissives	أفعال التعهد
103	Les Conductives	أفعال السلوك/السيرة
35	Les Actes De Language	الأفعال الكلامية
103	Les Executives	أفعال الممارسات/القرارات

98-35	Actes lecutoires	أفعال قولية
119	Commissifs	الالتزاميات
27	Performance L'inguistique	الإنجاز اللغوي
19	Emetteur	الباث
27	Pragmatique Radicale	التداولية الأصلية
26	Pragmatique Intégrée	التداولية التكاملية
27	Pragmatique Universelle	التداولية الكلية
17-16	Pragmatique	التداولية
119	Expressifs	التعبيرات
109	Intonation	التنغيم
118	Directifs	التوجيهات
26- 15	Pragmatisme	الذرائعية
17	Sémiotique	السيميائية
25	Formal Language	الصورية أو الشكلية
31	Phénoménologie Du Langage	الظاهرتية اللغوية
55	Ordinary	العادية

109	Ponctuation	علامات الترقيم
17	Syntaxe	علم التراكيب
17	Sémantique	علم الدلالة
23	Sciences De l'homme	علوم الإنسان
23	Sciences Cognitive	العلوم المعرفية
35	Actes Peslocutoires	غايات تأثيرية
101	Persuader	فعل الاقتناع
100-35	Acte Illocutioire	الفعل الإنجازي
107	Acte Illocutionnaire	الفعل الانجازي
101-37	Acte Perlocutoire	الفعل التأثيري
95	Acte Phatique	الفعل التبليغي
107	Acte De Prédication	الفعل الحملي
99	Acte Rhétique	الفعل الخطابي
98	Acte Phonétique	الفعل الصوتي
105	Acte Propositionnel	الفعل القضوي
105	Acte D’énonciation	فعل القول

98	Acte Locutoire	فعل القول
97	Act Locutionnary	فعل الكلام الأصلي
101	Acte Illocutoire	الفعل المتضمن في القول
101	Acte Perlocutoire	الفعل الناتج عن القول
25	Natural Language	فلسفة اللغة الطبيعية
33	Philosophie Du Langage Ordinaire	فلسفة اللغة العادية
111	Règle De Sincérité	قاعدة الإخلاص
111	Règle Essentielle	القاعدة الأساسية
110	Règle D’introduction	القاعدة التمهيدية /التقديم
110	Les Règles Du Contenu propositionnel	قاعدة المحتوى القضوي/الإسنادي
109	Intention	القصد
27	Compétence L’inguistique	الكفاءة اللسانية
120	Le Principle De Cooperative	مبدأ التعاون
104	Intentionnalité	مبدأ القصدية
23	Réalité Agissante	مبدأ الواقع الفعال
19	Recapture	المتلقي

41	Modal Maxim De	مسلمة الجهة
40	Quantité maxim De	مسلمة الكـم
40	Maxim De Inter Subjective	مسلمة الكيف
23	Descriptive Fallacy	المعالجة المشتركة بين الذوات أو البيّن الذاتية
26	Composant De Travail	المغالطة الوصفية
109	Accent	مكون العمل
18	Système L’inguistique	النبر
101	Theorie De La Pertinence	النظام اللساني
44	Systematique	نظرية الملاءمة
112	Minimale Unité	نظرية منتظمة
31	Positivisme logique	الوحدة الصغرى

1-ترجمة موجزة لأبي يعقوب السكّاكيّ:

"سراج الدّين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكّاكي الخوارزمي الحنفي"، ولد في قرية من قرى (خوارزم) سنة (555 هـ،1160م)،عاش في ظل الدولة الخوارزمية وسلطانها الرابع "أيل أرسلان بن أتز"، اخترع صناعة المعادن حتّى الثلاثين من عمره، ثم وقّر في قلبه أن يخلص للعلم فتفرغ له، وانكبّ على دراسة الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، والفقه، وأصوله، وعلوم اللغة البلاغية حتى أتقنها[1] .

2- شيوخهّ ومصنّفاته .

ذكرت كتب التّراجم أنّه تتلمذ على يد "سديد الّدين الخياطي" و"ابن صاعد الحارثيّ" و"محمد بن عبد الكريم التركستاني"، وهم جميعا من فقهاء المذهب الحنفيّ، وقد أشاد في مباحثه البلاغيّة بأساتذة الحاتميّ، وله مصنّفات شتّى منها: شرح الجمل، والتّبيان، وكتاب في الطلسم باللغة الفارسية، رسالة في علم المناظرة، ومن أهمّها كتاب "مفتاح العلوم" ويظهر أنّه كان يشتهر في عصره شهرة واسعة حتّى إنّ "ياقوت الحموي" يقول عنه :"ففيه متكلّم متفنّن في علوم شتّى، وأحد أفاضل العصر الّذين سارت بذكرهم الرّكبان"[2].توفي بخوارزم سنة 626هـ رحمه الله رحمة واسعة.

[1]- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم:ص 14.

[2]- المصدر نفسه : ص 14.

3- أثر السّكاكي في البلاغة العربيّة :

يعد "أبو يعقوب السّكاكي" من أعيان رجال البلاغة العربيّة في القرن السّابع، اشتهر في عصره شهرة واسعة، والواقع أنّ "السّكاكي" لم يقصد في البداية إلى تأليف كتاب في البلاغة بمفهومها الخاصّ المتداول، وأوّل شاهد على ذلك عنوان الكتاب: "مفتاح العلوم" فالكتاب ليس مفتاحا لكل العلوم، بل مفتاح لعلم واحد سمّاه "علم الأدب"...وعلم الأدب، أو علم الأدب العامّ على الإطلاق هو حصيلة عدة أنواع، أو علوم أدبيّة تبدأ من علمي الصّرف، والنّحو، ثم تتوسّع إلى علمي المعاني، والبيّان، وما يقتضيانه، أو يطلبانه من مباحث الاستدلال والشعر"[1]،ويتضّح من خلال كلامه "وقد ضمّنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللّغة ما رأيته لابدّ منه، وهي عدة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصّرف بتمامه ....وأودعت علم النّحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان"[2].كما يعتبر "كتاب المفتاح" غرّة مصنفات السّكاكي ،قسّمه إلى ثلاثة أقسام أساسيّة ،خصّ الأوّل منها بعلم الصّرف، والاشتقاق بأنواعه الصغير، والكبير ،والأكبر، وجعل القسم الثّاني لعلم النّحو، أمّا القسم الثّالث فخصّ به علمي المعاني، والبيان ،وألحق بهما نظرة في الفصاحة، والبلاغة، ودراسة المحسنات البديعيّة اللّفظية، والمعنوية، ووجد أيضا أنّ من يتدرّب على علمي المعانيّ والبيان يحتاج إلى الوقوف على علمي العروض، والقوافي؛ فأفرد

---

[1] - www .alfaseeh.com

[2] -محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،لبنان ،بيروت، إفريقيا الشرق،(دط) 1999،ص 479،480.

لهما المبحث الأخير في الكتاب [1] ،وبذلك اشتمل المفتاح على علوم الصّرف، والنّحو، والمعاني والبيانّ، والمنطقّ والعروض، والقوافي .

يبدو أنّ شهرة "السّكاكي" دوت بالقسم الثّالث من الكتاب الخاصّ بعلمي المعاني، والبيان ولواحقهما من الفصاحة، والبلاغة، والمحسنات البديعية اللّفظية، والمعنوية، فقد أعطى الصّيغة النّهائيّة الّتي عكف عليها العلماء من بعده يتدارسونها، ويشرحونها مرارا، إذ استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغيّة قبله إلى عمل ملخص دقيق جمع فيه بين أفكاره الخاصّة، وأفكار البلاغيّين من قبله، وصاغ ذلك كلّه صياغة مضبوطة، محكمة بقدرته المنطقيّة في التّعليل، والتّجريد والتّعريف، والتّفريغ، والتّحديد....[2].

ونظرا إلى ما قدّمه "السّكاكي"، فقد كان موضع اهتمام البلاغيّين العرب، والباحثين، لأنّ بلاغته تجمع بين النّحو، والمنطق، والشعر، وبهذا يعتبر "السّكاكي".....اليوم موضع عناية من قبل اللّسانيّين التّداوليّين، والمناطقة، فضلا عن البلاغيّين، والمقعدين..."[3]

ومن خلال هذه الجولة السّريعة في كتاب مفتاح العلوم، يتضح لنا أنّ الجهاز الواصف عند "السّكاكي" يتألف من أنساق القواعد الآتية:[4]

- قواعد صوتيّة صرفيّة تهتمّ بتكوين المفردات.

---

[1]-أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم:ص 19.

[2]- شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ:مصر ،القاهرة ،دار المعارف ،ط2(دس)، ص 287،288.

[3]- عبد العزيز عتيق:في تاريخ البلاغة العربية:لبنان ،بيروت، دار النهضة العربية،(دط)،(دس)،ص 271.

[4]- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،لبنان، بيروت ،إفريقيا الشرق ،(دط) 1999،ص 27.

- قواعد نحويّة تتكفّل بتأليف المفردات فيما بينها لتكوين الجملة .
- قواعد تداوليّة (علمي المعاني، والبيان) تهتمّ برصد الرّابط القائم بين الجملة خارج القواعد النّحويّة، والطّبقات المقاميّة الممكن أن تنجز فيها مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ–المصادر:

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع

1. **ابن خلدون: المقدمة،** دار الكتب العلمية ط1، 1413 هـ، 1993م.

2. **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر،1997،ج2، مادة (خ، ط، ب) .

3. **ابن منظور:** لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، ط 1، 1999، مج،11 مادة:(د، و،ل).

4. **أبو سريع ياسين عبد العزيز:** الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، الأردن، عمان مطبعة السعادة، ط 1،1410هـ، 1989.

5. **الإستراباذي رضي الدين** : شرح الكافية في النحو: تح: رجاء عكاوي، لبنان، بيروت دار الفكر، (دط) 2000.

6. **التهاوني:** كشاف اصطلاحات الفنون: وضع حواشيه: أحمد حسن، لبنان بيروت منشورات دار الكتب العلمية، ط1، 1991،المجلد 3.

7. **الجاحظ عمرو بن بحر:**البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مصر، القاهرة مكتبة خانجي، (دط)1983.

8. **الجرجاني عبد القاهر:** دلائل الإعجاز، شرح وتعليق :محمد التنجي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2005.

9. **الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:** الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، (د.ت) لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر ج2.

10. **الزهري نعيمة:** الأمر والنهي في اللغة العربية: الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجيدة ،1997 .

11. **السبكي بهاء الدين:** عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: مصطفى البابي الحلبي مصر، القاهرة، دط ، 1948.

12. **السكاكي أبو يعقوب:** مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت دار الكتب العلمية، ط 1،2000.

13. **السيوطي جلال الدين عبد الرحمان:** الإتقان في علوم القرآن، لبنان، بيروت، دار المعرفة، (د ت)،(دط) الجزء 2 .

14. **العسكري أبو الهلال:** كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر" :تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، بيروت، المكتبة العلمية، (دط) 1988.

15. **القرطبي أبو عبد الله محمد الأنصاري:** الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، دط ، 1963، الجزء 18.

16. **القزويني الخطيب:** الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع :تح: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، بيروت دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ 2003.

17. **القزويني الخطيب:** الإيضاح في علوم البلاغة: تعليق محمد عبد المنعم خفاجي لبنان بيروت، دار الجيل، ط3 ،1993، ج1.

18. **الهاشمي السيد أحمد:** جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تح: محمد التونجي لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف، ط4 ،1428هـ ،2008م.

19. **الوردني أحمد:** قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني، ط01،2004.

20. **سيبويه: أبو بشر بن عثمان بن قنبر:** الكتاب: تح: عبد السلام هارون، لبنان، بيروت ط 3،1983، ج1.

21. **ضيف شوقي**: البلاغة تطور وتاريخ: مصر، القاهرة، دار المعارف، ط2(دس).

22. **عبد القاهر الجرجاني**: أسرار البلاغة: راجعه وعلّق عليه عرفان مطرجي، لبنان، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ط1 ، 2006.

23. **عبد القاهر الجرجاني**: دلائل الاعجاز: تح: محمد رشيد الرضا، لبنان، بيروت، دار المعرفة، دط، 1992.

24. **عبد القاهر الجرجاني**: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2005

25. **عطية مروان**: المعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم ، قدم له وراجعه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7 ،1995 .

26. **فارس بن أحمد**: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: تح: أحمد حسن بسج، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2،2007.

27. القرآن الكريم بهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيجني مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري.

28. **مصطفى إبراهيم، حسن الزيات**، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، (د ت)مصر، القاهرة، ط3،دس، ج1.

29. **هارون عبد السلام محمد**: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 3، 1981.

ب– المراجع:

30.**ابن ظافر الشهري عبد الهادي**: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، لبنان بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1 ،2004.

31.**آيت أوشان علي**: السّياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ،ط1، 2000.

32.**الرويلي ميجان، اليازغي سعد**: دليل الناقد الأدبي، لبنان، بيروت، المركز الثقافي العربي ط 2،2000.

33.**الصبيحي محمد الأخضر** :مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، لبنان، بيروت الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2008،1429هـ.

34.**المتوكل أحمد**: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط1 ،1985 .

35.**المتوكل أحمد**: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، دار الأمان .2001م.

36.**المتوكل أحمد**: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط دط،1987.

37.**النيفر نور الدين**: فلسفة اللغة واللسانيات، تونس مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر ط1،1993.

38.**العمري محمد**: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، لبنان، بيروت، إفريقيا الشرق (دط) 1999.

39.**بغورة الزواوي** :الفلسفة واللغة ::نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة ،لبنان، بيروت دار الطليعة ،ط1 2005.

40.**بوجادي خليفة**: في اللّسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم الجزائر، ديوان المطبوعات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ،ط1،2009.

41.**بوقرة نعمان**: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، عنابة، الجزائر، منشورات جامعية . 2006

42.**تمام حسان**: الأصول: الدار البيضاء، دار الثقافة،1421هـ.

43.**جميل عبد المجيد**: البلاغة والاتصال مصر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،2000.

44.**خطابي محمد** :لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، لبنان بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1،1991 .

45.**ذهيبة حمو الحاج**: لسانيات التلفظ، وتداولية الخطاب، الجزائر، جامعة تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات مخبر تحليل الخطاب،2005 .

46.**زيدان محمود فهمي**، في فلسفة اللغة، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية دط،1985.

47.**شرشار عبد القادر**: تحليل الخطاب الأدبي وهران، دار الأديب باستانيا، 2006.

48.**صحراوي مسعود**: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، لبنان، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 ،2008.

49.**صلاح إسماعيل عبد الحق**: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: لبنان، بيروت دار التنوير للطباعة والنشر، ط1،1993

50.**طه عبد الرحمن**، اللسان والميزان، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي (دط) 1998.

51.**عبد الرحمن طه**، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1998

52.**عبد المطلب محمد**: البلاغة والأسلوبية : دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، 1994.

53.عتيق عبد العزيز: في تاريخ البلاغة العربية: لبنان، بيروت، دار النهضة العربية (دط)،(دس).

54.**عطية مختار**: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط ،2004

55.**عيد رجاء:** فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: مصر، الإسكندرية، منشأة المعارف،ط1998،2

56.**فضل صلاح:** بلاغة الخطاب وعلم النص، دار نوبار، لبنان، بيروت، ط 1،1996.

57.**قاسم حسام أحمد:** تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب البنيوي الشريف، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 2007.

58.**محمد محمد يونس علي:** مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1،(دس).

59.**محمد محمد يونس علي:** وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وضلال المعنى، ليبيا، دار الكتب الوطنية، منشورات جامعة الفتح،(دط)1993.

60.منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص: المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1 2004 .

61.**ميهوب جعيرن وخالد بوزياني:** البلاغة بالأمثلة والتطبيق، علم المعاني، علم البيان علم البديع، منشورات الشهاب.

62.**نخلة محمود أحمد:** أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مصر الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002.

63.**يوسف أحمد:** سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، الجزائر، دار الرشاد منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، دط،2004.

ج – المراجع المترجمة:

64.**أرمينكو فرانسواز:** المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، لبنان، بيروت، مركز الإنماء القومي،دط، 1986 .

65.**أوستين**: نظرية الأفعال الكلاسيكية .تر: عبد القادر قنيني، المغرب، الدار البيضاء إفريقيا الشرق،1991.

66.**بلانشيه فليب**: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، سورية اللاذقية ، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

67.**بول جورج**: معرفة اللغة، تر:محمد فراج عبد الحافظ، مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

68.**براون ج.ب، يول و.ج.** :تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التركي، دار النشر والمطابع، الرّياض ،1997.

69.**دايك فان**: النص والسّياق: استقصاء البحث في الحطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قينيني، لبنان، بيروت، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب،(دط)2000.

70.**دلاش الجيلالي**: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها تر:يحياتن، الجزائر بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية.

71.**سيرفوتي جان**: الملفوظية: ترجمة: قاسم المقداد، سوريا، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (دط)1998.

72.**مانغونو دومنيك**: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر:محمد يحياتن، الجزائر منشورات الاختلاف، 2008.

73.**موشلار جاك، روبول آن**: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، لبنان، بيروت، دار الطليعة،2003.

د- الرسائل الجامعية:

74.**بعيطيش يحي**: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي: قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة منتوري قسنطينة، 2005 ،2006، رسالة دكتوراه دولة مخطوط، تحت إشراف: عبد الله بوخلخاج.

75.**بلقندوز هواري**: التداوليات النصية، مقاربة في فهم الخطاب وتأويله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران،2008، 2009، رسالة دكتوراه، مخطوط ،تحت إشراف: أحمد يوسف.

76.**بوقصة عبدالله**: تداوليات الخطاب الصوفي في ديوان أسرار البلاغة لمصطفى محمد الغماري:قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة مستغانم .2009، 2010،رسالة ماجستير مخطوط ،تحت إشراف :حنيفي بناصر.

77.**حلوفى قدور** :الجهاز المفاهيمي المصطلحاتي للدرس التداولي المعاصر :نظرية الأفعال الكلامية نموذجا ، قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة مستغانم .2009، 2010،رسالة ماجستير ،مخطوط ،تحت إشراف : إشراف لزعر مختار.

78.**خفيف علي**: شعرية الخطابة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2007، 2008 رسالة دكتوراه في تحليل الخطاب، مخطوط، تحت إشراف: عبد المجيد حنون.

79.**صحراوي مسعود**: الأفكار المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي جامعة باتنة، 2004، رسالة دكتوراه في اللسانيات، مخطوط، تحت إشراف :عبد الله العشي.

80.**واضح أحمد**: المفاهيم التداولية في البلاغة العربية: جامعة مستغانم،2008،2009 رسالة ماجستير في تحليل الخطاب ،تحت إشراف لزعر مختار.

هـ–الدوريات:

81.**آن بونيه** :الذكاء الاصطناعي :تر:علي صبري فرغلي ،الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ،العدد : 1995172.

82.**باديس لهويمل**: السّياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم: متابعة تداولية مجلة المخبر العدد التاسع، 2013.

83.**عبد الحكيم سحالية**: التداولية امتداد شرعي للسيميائية: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب الجزائري، جامعة الطارف، العدد الخامس، 2009.

84.**ناصف مصطفى**: اللغة والتفسير والتواصل: سلسلة عالم المعرفة الكويت العدد193.

و–الويبوغرافيا:

85.**صالح الشاعر**: ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي www.salihahshais.com بتاريخ :15-08- 2013 على الساعة 11سا 30د.

86.**عبد الكريم الدخيسي**: التقديم والتأخير في بلاغة العرب www.salihahshais.com بتاريخ :15-08- 2013 على الساعة 11سا 30د.

ج–المراجع الأجنبية:

87. GF.Francisejaques, pragmatique,Encyclopaedia,universalis 2000 CD,Rom.
88. Austin (John.Langshaw): quand dire c'est faire, traduction française, gilles lane postface de :Françoise Récanati, Editions du seuil Paris 1970.
89. Cf .Hachette dictionnaire du français, Ed Mair Ga tard paris 1995(pragmatique).
90. GF. Maingueneau les termes clés l'analyse de discours, Ed seuil paris:1996.
91. GF.J. Moschler, Anne Raboul, Dictionnaire encyclopédique depragmatique, Ed Seuil paris
92. Mainguneau Dominique:pragmatique pour le discoure ,littéraire édition :collection lettre,sup,dunod paris France 1997.
93. Oswald Ducrot ,le dire et le dit,Edition de minuit ,1984.
94. Searl John:les actes de langage:essai de philosophie de langage ,Hermann ,paris,1972.
95. Searle John: expression and meaning :studies in the theory of
96. speech acts. Cambridge university,press,1981.

الفهرس

دعاء

كلمة شكر

إهداء

مقدّمة.....أ

المدخل: الدرس اللّسانيّ: الماهيّة ،والموضوع

1-التّداوليّة: المصطلح ،والموضوع.....12

1-1-التّداولية في الثقافة العربيّة 19

1-2- التّداوليّة: النشأة، والتطور.....23

2- الفلسفة التّحليلية: النّشأة، والتّأصيل.....28

3- محاور اللّسانّيات التّداوليّة.....34

3-1- الأفعال الكلاميّة 35

3-2- الافتراض المسبق.....37

3-3- الاستلزام الحواريّ 39

3-4 – الإشاريّات 42

3- 5- نظريّة الملاءمة.....44

الفصل الأول: نظريّة الأفعال الكلاميّة بين التّأسيس والتّأصيل

المبحث الأول: الأفعال الكلاميّة عند التّراثيّين اللّسانّيين العرب.....47

1- معايير التّمييز بين الخبر ،و الإنشاء عند العلماء العرب 52

1-1-المعنى عند "ابن فارس".....54

1-2-المعنى عند "أبو يعقوب السكاكي".....55
2-الخبـر.....58
2-1-أضرب الخبر 62
3-الإنشاء.....65
3 -1-أقسام الإنشاء.....66
3-1-1- الإنشاء الطّلبيّ 66
3-1-2-الإنشاء غير الطّلبيّ.....78
المبحث الثّاني: الأفعال الكلاميّة عند اللّغويّين المعاصرين.....88
1- أفعال الكلام عند جون أوستين.....89
1-1- المرحلة الأولى :التّمييز بين الأفعال الإخباريّة ،والأدائيّة.....91
1-2- المرحلة الثّانية: تقييم معايير نجاح الفعل الكلاميّ 95
1-3- المرحلة الثّالثة: نظرية الأفعال الكلاميّة.....98
2- إسهامات "جون سورل "في تطوير نظريّة الأفعال الكلاميّة 104
2-1- مرحلة الأفعال الكلاميّة المباشرة 105
2-2- مرحلة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة وإسهامات بول غرايس 116
الفصل الثّاني: الظّواهر الكلاميّة في مفتاح العلوم لـ "أبي يعقوب السّكاكي"
المبحث الأوّل: الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالإسناد.....127
1- الإسناد الخبريّ وأحواله 131
2- الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالمسند إليه 137
3- الظّواهر التّداوليّة المتعلّقة بالمسند.....155
المبحث الثاني: آليات علم المعاني ،وأبعادها التّداوليّة.....167
1- التّقديم والتّأخير 169

2-الفصل، والوصل.....174
3- الإيجاز والإطناب.....183
4-أسلوب الطّلب، وما يتعلّق به من ظواهر كلاميّة..... 192
5- ظاهرة الأفعال الكلاميّة عند "السّكاكي".....196
خاتمة..... 198
الملاحق.....205
قائمة المصادر والمراجع.....224
فهرس الموضوعات.....233

ملخص باللغة العربية:

التّداوليّة "La pragmatique " علم لغويّ، يقوم على دراسة استعمال اللّغة في إطار العلاقة بين المتكلّم، والمتلقّي بكل ما يكتنفها من ملابسات، ومقامات، ومن أهم مفاهيمها المركزية، وقطب رحاها نظريّة الأفعال الكلاميّة (Les actes de langage) التّي نظّر لها الفيلسوف الانجليزيّ (**أوستين 1970**) ،ثم عمّقها تلميذه (**سيرل 1972**)، وقد بدت ملامح الدّرس التّداوليّ، و مبادؤه واضحة المعالم في الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، بحيث أشار "السّكاكي" ضمنيّا إلى ظاهرة الأفعال الكلاميّة ضمن مباحث علم المعاني من خلال الظّاهرة الأسلوبيّة (الخبر والإنشاء)، و أولى عناية كبيرة بالارتباط التّداوليّ بين الأسلوب الخبري أو الإنشائي، ومعناه الإبلاغي، ووظيفته التّواصلية مع حرصه القويّ على الاهتمام بالمعاني ، والأغراض الإبلاغيّة المتوخّاة من الخطاب، والظواهر الّتي درسها بلغة المعاصرين "أفعال الكلام" .

Résumé:

Pragmatique délibérative La connaissance de la langue, basé sur une étude de l'utilisation de la langue dans le contexte de la relation entre le locuteur et le récepteur avec tout enveloppé dans les circonstances et les sanctuaires, et des concepts les plus importants qui font rage théorie des actes centraux et pôles de mots qui ont été indiquées par le philosophe anglais (**Austin 1970**), ensuite son élève (**Searle**, **1972**), l'avait approfondie et il est apparu, propose leçon de délibération et de principes clairement définis dans les études linguistiques ancien arabe, si. indique « **Alsakaki** » implicitement au phénomène des actes linguistiques au sein Détectives sémantique à travers le phénomène construction sémantique de l'information et le rédaction stylistique et le premier grand soin en collaboration délibératif entre les nouvelles de style informées ou rédigées et démontrées son rôle communicatif avec

son engagement à un fort intérêt pour les significative et les fins des obligations de déclaration et les phénomènes discursifs étudiés par la langue contemporaine " actions parlent " .